أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

مختارات وشهادات: عدد تذكاري



العدد

٢٠٠

إبريل

٢٠٠٢



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
تأسست عام ١٩٨٤ /السنة الثامنة عشر/ العدد ٢٠٠/ ابريل ٢٠٠٢

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الاهالي
القاهرة / هاتف ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها

البلاد العـربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

يمكن إرسـال الأعمـال على العنـوان البريدي أو البريد الالكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

محتويات العدد

● رسامو العدد

الغلاف الأول: الفنان على دسوقى .الغلاف الأخير : الفنان محمد على /الرسوم الداخلية للفنان محمود بقشيش والفنان مصطفى النحاس والفنان مصطفى أجماع

أول الكتابة

فريدة النقاش

أن أكتب عن ما تمثله «أدب ونقد» بالنسبة لى وهى تحتفل بصدور مائتى عدد هو شئ صعب، إذ أشعر بالحرج والفرح معا ، الحرج لأننى كأنما أكتب عن أبنائى وأحفادى الذين أحبهم وأجدهم أروع بشر فى العالم رغم معرفتى بكل عيوبهم أو هكذا أظن، والفرح لأنهم كبروا وأصبحوا يسبغون على نوعا من حماية كانوا يحتاجونه منى فى السابق «أدب ونقد» قطعة منى لم تغادرنى أو أغادرها أبداً ، أحبها وأغضب منها، وهناك دائما مساحات من التوتر بيننا.

أحبها لأنها مفعمة بالصدق الذى أراه أساسا لاغنى عنه لأى عمل شريف ، وأغضب منها لأنها لا تلبى طموحى العريض ولا تستجيب لكل أحلامى رغما عنها وبسبب شح الامكانيات ورداءة الورق . أما التوتر فيعود للشوق الزائد لتطويرها باستمرار لتكون منبرا لكل مغامرة إبداعية مهما تطرفت ولكل فكر نقدى يخاصم السائد وينقضه ويتطلع إلى تجاوزه للأفضل مع شعور دائم بأن دورها فى هذا السياق يظل ناقصا، وكل نقصان هو نشدان للكمال وفى كل كمال نقصان كما يقول المتصوفة.

طالما حلمت« لأدب ونقد» بالدور الذى لعبته فى ثقافتنا «الرسالة» لأحمد حسن الزيات» و«الكاتب المصرى » «لطه حسين»، «الثقافة الوطنية» و«الطريق» و«الآداب » فى لبنان . مع سعى إضافى لمساعدة المبدعين على استلهام الحياة الشعبية كمنبع ثرى للخلق الفنى والإطلال على نقاط النور فيها على حد تعبير «بها طاهر» حيث تضامن

البشر يعصمهم من الانهيار رغم صغائرهم وعنفهم وطمعهم الذى يبرز أحيانا فى صراعاتهم كأنه الحرب.

كانت تلك هى رسالة الكاتب الفنان الراحل «محمد روميش» عضو أول مجلس تحرير «لأدب ونقد» ، وصاحب المجموعة القصصية المميزة «الليل .. الرحم» ، وأول من رد على رسائل المبدعين وقرأ قصصهم وأشعارهم لإختيار ما ينشر منها وهو الذى قدم لنا القاص والروائى «سعد القرش» ، ولم يسأم تكرار القول: إن لكل من تعرفه قصته من جيرانك وأصدقائك وأبناء حيك من هؤلاء البشر البسطاء ، قصة بوسعك دائما أن تكتبها لكن شرط الكتابة هو المعرفة والمحبة والاجتهاد والصبر.

وحين أستعيد المراحل المختلفة التى مرت بها المجلة عبر مسيرتها التى تقترب من العشرين عاما بدءا برئاسة تحرير الدكتور الناقد «ألطاهر مكى» وحين كانت المجلة الثقافية الوحيدة فى مصر سنة ١٩٨٤ التى واصلت الصدور فى أصعب الظروف أجدها قد أصبحت منذ ذلك الحين فى رأيى منبر شجاعا للدفاع عن حرية الفكر والتعبير والاعتقاد، وصوتا لمن لا صوت لهم حين خاضت المعركة ضد التيارات الاستهلاكية التجارية العدمية وضد الظلامية والسلفية لا فحسب كما تمثلها بعض جماعات الإسلام السياسى وإنما أيضا كما يمثلها مفكرون عقلانيون وقفوا مع حرية الفكر وخاصموا حرية الإبداع، كما دافع بعضهم عن حرية الفكر دون حرية الاعتقاد بدعوى عدم الاصطدام بالمجتمع متخذين موقفا زجريا أبويا من مغامرات الشباب التى كنا غالبا نسعى لتفهمها وإستكشاف بواعث الألم والتردد والريبة والإحباط ، والإقدام والإحجام ، الحزن العميق والسخط الدائم فيها حتى المجانى منه ، والتى بدت لنا جميعا مضمرة أو سافرة ذات وشائج غير مرئية أحيانا مع الأزمة السياسية والاقتصادية الاجتماعية الخانقة وأفقها المسدود ،من لعبة «منصور محمد» «العبقرية إلى« الصكار» «لسمير غريب على» ومن « الأحلام المحرمة» لمحمود حامد إلى «أبناء الخطأ الرومانسى» لياسر شعبان مع عشرات من النصوص والمعالجات وكنا نراهن على أن المبدعين الجدد فى شوقهم المؤلم للتجاوز سوف يحررون وعيهم من ثقل هذه

الأزمة فى الإبداع ذاته مترجمين مفهوم الكتابة كفعل تحرر وهو ما عبر عن نفسه فى أصالة المعالجة لا فى مضمون مجرد وإنما أساسا فى تحولات الشكل السردى والمسرحى والشعرى التى أفزعت المحافظين من كل حدب وصوب حين حاكمت كل سلطة وساءلتها وأسقطت هيبتها الباردة وهى تخلخل ركائزها الثابتة وتطيح بها.

وأخذنا نرقب معا هذا «الخراب الجميل» ناتج عملية التقويض التى نثرت العالم شظايا وملأت السموات بالغبار فحجبت صفاء هابل والشمس أحيانا ولكن هل يجوز أن نهدم دون تصور لبناء جديد؟.

كان هذا وما يزال هو سؤال الالتزام الكبير الذى جدد نفسه بعد انهيار التجارب الإشتراكية وتفتت النموذج الجاهز لها مع صعود الموجات ما بعد الحداثية التى إحتفت بهذا التفتت وبدا كأن الإنسان متروك وحيدا أمام مصيره الذى أصبح حلم السيطرة عليه أبعد فأبعد إذ بات هو الإنسان مهجورا ويائسا ، محروما كما فى السابق وأكثر من دفء الجماعة وحمايتها، تلك الجماعة التى أفلت منها حلمها الكبير فى التحرر وأصبحت تلهث وراء اليومى لتؤمن خبزها وقد تفتتت بدورها بين نفط الخليج وهوس الجماعات الدينية المحلية الدينية ومشروعات الخصخصة وبيع القطاع العام وتسريح عماله حيث تلقت الطبقة العاملة ضربة موجعة شأنها شأن الفئات الوسطى التى إنحدرت غالبيتها بعد إنحسار موجات الهجرة للخليج والتركيز الشديد للثروة فى أيدى الرأسمالية الاحتكارية الكبيرة ودولتها القمعية وقد باتت هذه الدولة تواجه حركة شعبية ممزقة لا مشروع لها ،فتدفعها دفعا بوعى أو بدونه إلى أحضان الإسلاميين ، وفى هذا الصراع يجرى تهميش المبدعين والفكر النقدى معا ومحاصرتهم فى جيوب صغيرة معزولة، والزامهم حالة دفاع عن النفس ضد قتل فعلى أو محتمل بعد أن كانت قاعدتهم الاجتماعية قد تخلخلت .

فماذا تفعل مجلة واحدة مثل «أدب ونقد» بل ومجموعة مجلات أخرى أخذت تصدر تباعا لتملأ مساحات هزيلة من الفراغ الشاسع الذى تزحف إليه بكل قوة الثقافة التجارية الاستهلاكية جنبا إلى جنب قوى الظلام والخرافة والتدين الشكلى والقمع الروحى المركب وهيمنة ثقافة الصورة.

كيف سيكون شكل التزام المثقفين إذن والذى طالما دعتهم «أدب ونقد» إليه دون كلل ومنذ اللحظة الأولى لصدورها ، وحيث تفرض نفسها الآن إشكالية الانعتاق الأولى من قبضة هذه اللحظة التراجيدية بما تتضمنه من عنف منظم واستعباد واستبعاد .. وهم- أى المثقفون- مضطرون تحت وطأتها للدفاع عن وجودهم الشخصى المادى حرفيا حتى أن فكرة الدور قد أصبحت موضوعا للسخرية ، فما بالنا بالالتزام الذى يحتاج منا الآن وفى المستقبل إلى إسهام فكرى نقدى جديد وربما يكون هو سؤال المائة عدد القادمة خاصة فى ظل المقولات الجديدة التى تنظر لإنتهاء دور مثقف التحرر الوطنى وترى فى المثقفين الفلسطينيين الاستثناء الذى يؤكد القاعدة.

وسوف تتفرع عن هذا السؤال المحورى أسئلة جديدة إشكالية بدورها لعل أولها وأهمها هى ذلك التوزع الطبقى فى أوساط المثقفين والمبدعين الجدد الذين أصبحت غالبيتهم عاجزة عن تأمين دخل يقيم الأود فما بالنا بالإمكانيات لتكوين ثقافى متطور ومتجدد دائما تتوفر له مصادر المعرفة الجديدة التى تربطه بالعالم والتغيرات العميقة فيه كل لحظة مثل الكمبيوتر والانترنت ونحن ندرك أن مجلة واحدة أو عدة مجلات جادة لا تكفى فى هذا الميدان وما زلنا فى أمس الحاجة للإبتكار وأعمال الخيال.

ونحن ندرك أيضا بحكم علاقتنا بالمبدعين والمثقفين الجدد هذه الفروق النوعية بين تكوين من تتوفر له الإمكانيات وتكوين الآخرين الكادحين بكل معنى الكلمة من أجل خبز يومهم ، والذين يجرى إهدار جل طاقاتهم فى هذا الكدح، وليس نادرا ما تتبدد مواهبهم مع إهدار هذه الطاقة ، وسعيد الحظ حديدى الارادة وحده هو من يفلت بموهبته من الضياع ، ويكون قادرا على تطوير نفسه وفك الحصار واستلهام التجربة الحياتية فى خلق كتابة جديدة، وفى هذا الصدد فإننا نعتز أيما اعتزاز بالقاص« محمد الرفاعى» الجنوبى العامل فى أحد مصانع مدينة السادس من أكتوبر والذى نشر أول ما نشر فى «أدب ونقد» وواصل الكتابة الجميلة رغم ظروفه وبسببها كما أن« أدب ونقد» ستواصل الصدور رغم ظروفها وتحدياً لها متطلعة إليكم كمنبع لأمل لا يموت.

وكل مائتى عدد وأنتم بخير.

المحررة

افتتاحيات

أنا و « أدب ونقد »

حلمى سالم

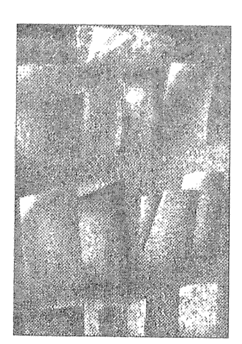
قضيت فى « أدب ونقد » ، حتى الآن ، خمسة عشر عاماً ، وهى أطول فترة مكثتها فى عمل ، على مدى حياتى . فلم أستقر فى عمل ، قبل « أدب ونقد » ، أكثر من عامين ، لأسباب مختلفة.

وحينما أفكر فى أسباب هذا الاستقرار الطويل فى أحضان « أدب ونقد » ، أرى أن أسبابه عديدة : منها أننى لست فيها بيتاً حميماً لى. ومنها أننى وجدت نفسى ، فيها ومعها ، أؤدى دوراً مهماً : سياسياً وأدبياً وإنسانياً . ومنها أنها منحتنى صحبة عمل رفيعةً (بدءاً من رئيسة التحرير ، مروراً بكل أعضاء مجلس المستشارين ومجلس التحرير ، وإنتهاءً بكل المساهمين فى الدورة الفنية والتقنية الشهرية لكل عدد) تعدت الصلة معها مستوى شركة العمل إلى مستوى شركة القلب والروح والعقل والمحبة . ومنها أنها وضعتنى فى موضع مكننى من أن أعرف العديد من المبدعين الشباب ، بشخوصهم ونصوصهم ، فتتوثق بينى وبينهم روابط المودة الصادقة (التى أعتبرها ثروتى الحقيقية الباقية) ويتسع إدراكى للخريطة الأدبية المصرية (والعربية) ، وهو ماأفادنى إفادة ذاتية ملحوظة.

على أن أهم ماأود ذكره ، هنا ، بعد هذه السنوات الطويلة من الاندماج فى « أدب ونقد » ، هو أن العلاقة بينى وبينها كانت علاقة تجادل مثمر ، أعطى فيها كل طرف للآخر شيئاً منه وأخذ شيئاً:

فقد « طعّمت » « أدب ونقد » حداثتى المسرفة بقدر من الضبط الملتزم ، وأنا « طعّمت » التزام « أدب ونقد » المسرف بقدر من الحداثة المتحررة ، لينشأ من ذلك التأثير المتبادل (الذى كان لروح فريدة النقاش الرحبة الدور الأول فيه) ذلك المزيج المتوازن غير المنحرف ، من الالتزام والحداثة ، فى قلب المجلة وفى قلبى على السواء . وهو المزيج الذى أزعم أن « أدب ونقد » تتميز به (لا أقول : تمتاز) عن قريناتها من المجلات الأدبية ، والذى أزعم أننى أشترك فيه مع بعض أقرانى من الشعراء.

شبكرا « لأدب ونقد ».


محمود بقشيش

أنتظر شيئاً يمتعنى

غادة نبيل

كنت أحب أن أبدو إيجابية أكثر وأنا أتكلم عن الإبداع الذى أرى أن مجلتى ومجلتكم -أدب ونقد- مسئولة عن تقديمه ومنذ فترة ..لعل هذه بداية صادمة ولكنى من قالت فى ندوة تقييم للمجلة عقدت بمقرها أواخر العام الماضى أو بالأحرى فى النصف الثانى منه وفى الصيف ..أن مستوى الإبداع المنشور على صفحات المجلة نادراً ما يرضينى شخصياً وذلك منذ فترة طويلة.

لكن رأى هو رأى واحد، مع أنى أتصور أن هناك من يتفق معى لأننى أفهم من

الناحية العملية ظروف وتوقيت الاضطرار للالتزام بموعد الصدور وضغوط ذلك وغيره على مستوى ما تعرضه أو تقبل المجلة نشره على صفحاتها من إبداع – وعبر أعداد كثيرة متصلة.

ليس معنى عدم فرحتي أو استمتاعي بالكثير الذى أراه يثقل المجلة والقارئ باسم الإبداع أننا فى« أدب ونقد» لم ننشر شيئا جميلاً أبداً .. لا ليس معنى كلامى هذا ولا أحبه أن يستقبل هكذا .

فالحقيقة أننى أعرف أن واحدة من أفضل – إن لم تكن أفضل– كاتباتنا فى تقديرى وأقصد الروائية نورا أمين بحسب علمى بدأت نشر إبداعها على صفحات أدب ونقد، ولا أذكر إن كان ذلك قبل انضمامى للمجلة أم تزامن مع بداية ذلك الانضمام. ولو كنت مخطئة أرجو تصحيحى لأننى أتصور أن غير نورا ، وأمثال مىّ التلمسانى وربما رانيا خلاف كن من أوائل من احتفت المجلة بتقديمهن بالبواكير على سبيل التعارف مع القراء قبل أن تنتبه إلى قيمتهن المجلات والمطبوعات الأخرى على الساحة الثقافية . وبنفس الوقت فإن الإبداع المنشور كانت وما زالت الترجمة تحتل قسماً كبيراً منه منذ قررنا أن لا نقصر «الديوان الصغير»على نشر الرفيع والمتميز من الشعر وإنما امتد ليشمل ملفات تخص آداباً وثقافات أخرى، فقد يكون الديوان مخصصاً بأكمله لقصة قصيرة مترجمة لكاتب مجهول من إفريقيا مثلما فعلت لأننا نملك الحرية والقناعة التى بها نشعر أن من حق القارئ التعرف على غير الأوروبى ، وعلى الذين لم يعرفهم بعد، وعلى الذين يكتبون عن أشياء تتماشى مع واقعه وإن انتموا لثقافات أخرى غير ثقافتنا العربية.

والجميل دائما هاجسى .عن نفسى ودون افتعال سأذكر تقديمى لملفات عن الأدب الإفريقى ، وأدب الهنود الحمر والأدبيات الدينية الهندوسية ،كما قدم الزميل مصطفى عبادة ملفاً عن الأدب أو بالأحرى الشعر الأفغانى، وقدمنا ملفاً إبداعياً تضامنياً مع الإبداع المحاصر فى فلسطين والعراق ، وقدم الزميل أشرف أبو اليزيد ترجمات فى الديوان لمأثورات الأقوال للزعيم غاندى ، والزميل طلعت الشايب أمتعنا بالجمال السابق على كل إيديولوجيا فى القصة القصيرة التى ترجمها لماركيز منذ فترة« **Balthazars' Wonderful Afternoon"** » .التى لدىّ منذ سنوات بالانجليزية لكنى أحببت

طلعت الشايب بعد ماركيز لأنه جعلنى أحبها بالعربية.

والجمال لا يعلو على الايديولوجيا . الجمال الإيديولوجيا.

لكن لا يصح أن ألوم مجلتى وحدها فهى أى نحن نختار فى النهاية مما يصلنا فهل كلامى حاد؟.

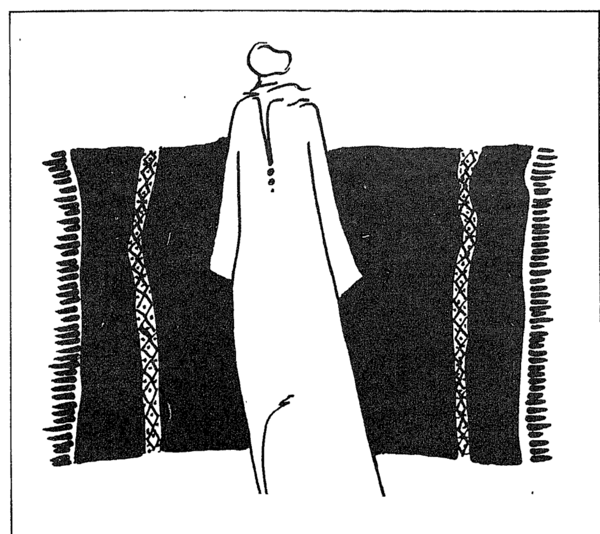
ليكن حاداً إذن واعذرونى لأن الحقيقى أننى أتمنى أن أقرأ ما يهزنى وربما يكون ذلك مطلباً عسيراً وشخصيا وما أتمناه هو أن نتحرر من ضغوط واعتبارات كون المطبعة تستعجلنا من ناحية ، ومن إلحاح القارئ الذى كثيراً ما يتصور ويفترض أننا« نركن» ما يبعثه لصالح نشر عمل غيره .والشكوى التى يشهرها البعض فى وجهنا قد ترقى أحيانا فى تقديرى إلى حد الابتزاز الهادف إلى دفعنا لاتخاذ موقف دفاعى فيتدهور– بالنتيجة وبالضرورة –مستوى ما ننشره من إبداع أكثر وأكثر .

المسئولية مشتركة فأرجو ألا يتصور أحد أننى أهاجم أحداً بعينه .ما أهاجمه بهذه الكلمات ضمن هذه الفرصة التى أنتهزها للإيضاح أن مسئولية نشر ما هو ردئ أو متوسط لا يمكن أن تكون مسئولية المجلة وحدها منذ بدأت وحتى هذه اللحظة . ولابد من قول هذا دون مواربة .ولو بخشونة فأنا أعرف أن كل أعضاء هيئة التحرير من الذين يكتبون الشعر مثلا يتعففون عن استخدام صفحات المجلة لنشر أحدث قصائدهم وإن فعلوا عادة ما يكون ذلك بطلب وإلحاح من اطراف خارجي مثلاً ..

ويتعمدون إرجاء أعمالهم شهراً تلو الآخر تفضيلا منهم لنشر إنتاج القراء وإن لم يكن فى مستوى ما يكتبه بعض أعضاء هيئة تحرير أدب ونقد . لأننا لا نملك هذه المجلة أو هى لا تصدر ليملأها أعضاء هيئة التحرير بإنتاجهم ثم إننا نصدق أن الأفضل والأجمل لم يصلنا بعد وربما لم يكتب بعد. مسئوليتنا ستتضاعف عندما يأتى بالتأكيد .

فأين دوركم أنتم معشر المبدعين ؟.

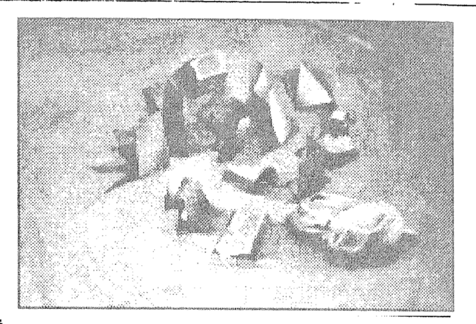
ما حاولت رصده عبر أعداد كثيرة من أدب ونقد على مستوى الإبداع المنشور اعتمدت فيه على الذاكرة لكنى أتذكر أن استمتاعى – إبداعياً –دائما ما كان قليلاً حتى إزاء القضايا التى كانت تجعلنا نشعر أنه «يتحتم» أن ننشر الإبداع المرتبط بتلك القضايا والثقافة التى تنتمى إليها تلك القضايا ولا أستثنى الأسماء المرموقة فى الإبداع



المرتبط بتلك القضايا .ولكن هذه قضية متورطة فيها مطبوعات ثقافية أخرى إلى جانب مجلتكم« أدب ونقد» ومسئولية ذلك مرة أخرى تصبح مشتركة بين المستوى الذى وصل إليه إبداع المبدع المرموق والجهة التى تقوم بالنشر.

وهناك نقطة دعونا لا ننكرها ..كل واحد وواحدة منا يتصور ويؤمن أنه يكتب ما لم ولن يكتبه بشر.. ولا أستثنى نفسى من النقد هنا ولكنى مثل كثيرين أعود فلا أجدنى شديدة الإعجاب بما كنت معجبة به، بما كتبته وأصدرته ولا أستطيع أن أكف عن الكتابة بعده وهكذا.

أخيراً لن أحيد عن طلبى .قليل من المزاحمة والكثير- رجاءً- من التأمل والتقييم الموضوعى لما نكتبه .. كلنا .



محمود بقشيش

ترابها زعفران.. وقصصها أيضًا!

أشرف أبو اليزيد

عن أي إسكندرية يكتبون؟

هل يكتبون عن ناسها، متخذين منهم تكئة للحديث عن ناس المحروسة والعالم؟ هل يغمسون ريشتهم في مداد البحر؟ (يا له من تعبير ساذج) هل يتنفسون رائحة الحارات القديمة، ويقرأون الشوارع التي تصل الشاطيء بقلب المدينة كما يصل الأورطي دم البحر بصدر البلد؟ أين هم من تجارب مثل لورنس داريل وليسلي كروكسفورد وإدوارد الخراط وإبراهيم عبد المجيد وقسطنطين كفافي؟ الأسئلة كثيرة وأنا هنا أقرأ معكم نماذج من شباب مبدعي القصة في عروس المتوسط، أحاول في هذه السطور أمرين: أن أواصل مسيرة مجلة (أدب ونقد) في تقديمها للأصوات الجديدة والتبشير بالواعد، والترحيب بالمتحقق، وأن أجد فيما وصلني من نصوص ملامح جدية وجدة.

والأسماء التي تقرأون لها في هذه السطور منها من ينشر للمرة الأولى في مجلة (قاهرية) إن صح التعبير، ومنها من نشر خارج مصر في دوريات عربية مثل "الطريق" و"أبواب" رغم ندرة ما له في الدوريات داخل مصر. وأجدني معه في البداية والنص للكاتب علي عوض الله كرار عاشق الفنون المرئية الذي قرأ الديوان الصغير لمختارات (ناظم حكمت) في (أدب ونقد) فكتب قصة أهداها إلى الشاعر التركي الكبير، وجعل لها فاتحة مغوية: بنت تجالسني فتنسيني أن أمامي كوب شاي يود التخلص من حرارته الملونة، يقول علي:

[ألذ بنت فى الوجود هى تلك التى جلست إلى جوارها مرة فرأيتها حبيبتى .. وأخرى فرأيتها ابنتى.. فثالثة فرابعة رأيتها أمى .. وخامسة فرأيتها أختي .. وسادسة فرأيتها مؤامرة محبوكة لصالح صديق قديم يجلس معها فى المرة السابعة ليستريح على صدرها فيما هى تخيط رأسي في رقبته ليرانى كل صباح أمامه في المرآة التي يتشاجر معها محدثا بهجة افتقدها لسنوات خلت.

(انتهى الفصل الأول .. ندخل على الثانى)

وحين تبتهج حبيبته لبهجته وتحتضن ظهره، يصمت لثوان محدقا فى المرآة .. ثم بهدوء يسحبها من ذراع آتيا بها امامه، وهو من خلفها يحوط خصرها بذراعيه وصدره الذى – بعد قليل – يتراجع عن ظهرها، وقبل أن تستغل هى تراخيه المؤقت، وتستدير لتنضغط داخل ضغطاته المتوقعة، يكون هو أمسك بشعرها ضاربا وجهها فى وجهى ، فتتناثر شظايا.

(انتهى الفصل الثاني .. ندخل على الثالث)

تناثرنا شظايا توحدنا حرارة يلونها دم غزير ليس لطفل موهوب إلا الشيئ اليسير منه يعبئه داخل أنبوبة تنطلق منها أمى وأختى وإبنتى جنب ألذ بنت جلست إلى جوارها فرأيتها حبيبتى تذكرنى أن أمامى كوب شاى يود التخلص من حرارته الملونة.

(انتهىً الفصل الثالث .. ندخل إلى فصل رابع)

حبيبتى تغلق سترتها الجلدية ، فأعرف أن الفصل الرابع مفصول مؤقتا عن جسد النص، ولأمر لا يعلمه أحد سوى صناع السوست والسترات الجلدية].

سيناريو

إذا استعرت لغة الكاتب نفسه فسنتعرف إلى سيناريو سينماني جيد الحبكة، لا يترك فيه السيناريست الحرية حتى للمخرج، لذا يرسم بدقة متناهية دقائق المشهد. وفي نصوصه العديدة نلمح روح التجريب التي تسيطر على قالب القص مثلما تغوي الكاتب أحيانا في معالجة فنون أخرى، مثل دراسة قرأتها له قرأ فيها سيميانيا غلاف كتاب أصدره الناقد الراحل غالي شكري. المهم أن هذه التقنية السردية نقرأها في غير موقع في نصوص أخرى للكاتب حاتم علي الذ يقسم قصته وعنوانها (مشاهد من فيلم الانتظار) إلى مقاطع سينمائية أيضا، بل ويضيف بعد لقطات من مشاهد النهاية مشهدا خاصا بالمخرج. ومرة أخرى نجد هذا المونتاج القصصي في أكثر من نموذج، حتى لنكاد نعدها سمة فيما بين أيدينا من قصص.

اليومي والفني

اللقطات اليومية الحية تحتاج عينا حادة الذكاء، وهو ما يتبدى لنا داخل عدد من النصوص، أولها (مجرد شخص وحيد ومقعد خال) الذي تحاول فيه الكاتبة كسر رتابة المشهد، الذي يبدو الأمر كحكاية مكرورة ومعتادة يمكن أن نسمعها كل يوم، حين تصعد فتاة حافلة بها (شاب وحيد بجانبه مقعد شاغر)، تقول أميمة عبد الشافى:

[سأتبع كل النصائح التى لم تذكرها الكتب فلن أعطيه رقم هاتفى وسأخبره عن الكلية التى أدرس بها وأتجاهل الشعبة أو الفرقة وعندما ننتهى من الكلام فى كل المواضيع الممكنة سأصمت تاركة له فرصة ليعبر عن مدى جرأته حتى تكون الحكاية جميلة تثير ذكرياتها فى النفس شعورا جميلا صنعه شخص وحيد ومقعد خال.]

وفي قصة (إعلان) يكتب خالد السروجي ضمن مجموعته القصصية زهرة الدم) عمن تستنجد بشركات الاعلان (سواء كانت السيدة في القصة أو الوطن في الواقع) لتعالج زوجها، وهي التي تنفق على أولادها الأربعة، نقرأ في المقطع الأخير:

[ثم جاءوا بالمصور والمذيع إلى المنزل ليصوروا الرجل الراقد على الفراش وهى وأولادها الأربعة من حوله .. وعندما بدأت الكاميرا تدور ، تذكرت أنها يوما رفضت أموال الصدقة فى الخفاء. كانت الكاميرا تدور والمذيع يسأل، وهى تجيب وذهنها شارد. ناولها المذيع المظروف الذي يحتوى على مبلغ الألف جنيه المقدمة من الشركة الكبيرة، فابتسمت كما قالوا، وابتسم أيضا الرجل المريض وتضاحك الأطفال، وعندما توقفت الكاميرا وانطفأت الأنوار وذهبوا جميعا، انزوت هى حيث لا يراها أحد فى ركن مظلم .... وبكت بغير صوت.]

وهكذا نبكي مع الكاتب الوطن الذي يمد يده لشركات الاعلان.. كل يوم! ونستمر مع نفس الروح الملاحقة لليومي والاعتيادي حين نجدها في (خط أصفر)، مع حضور الآخر في المخيلة حتى دون أن نراه، من منا لا يفكر في هذه اللحظات اليومية التي يراقبنا فيها القدر والأخ الأكبر والعسس والآخرون؟ يكتب محمد عبد العظيم علي:

[اسرعت قليلا فى الخطر علنى ألحق به. لابد انه انحرف فى أحد الشوارع الجانبية. هل كان يكرهنى ؟ انا لا أعرفه. وجهه ليس مألوفا بالمرة. لماذا فوجئ بى؟ انشغلت لكنه تسلل إلى تلافيف عقلى وظل هناك يطفو بين احاسيسى كلما وقفت على الخط الأصفر المزدوج.]

وهي اللحظات نفسها – أحلام اليقظة التي نعيشها لتنسينا كوابيس الواقع – والتي يتذكرها الشربيني المهندس في (درب الصمت الهمجى)، يقول:
[أحرك كتفى من جديد لأهرش خدى .. أكرر المحاولة وقد ارتعشت أهداب العيون بينما اليدان قد انهمكتا فى العمل .. غاب الأب الذى يعطيك ما فى قلبه وجيبه ويتمنى رضاك أيه يا أبى كنت تحلم برؤيتى عالم كبير .. كم أفتقد الأم وكيف كنا نسوق الدلع ونحن تحت جناحى حبها والحنان .. كم كانت تتمنى أن تحمل أحفادى .. تخبو دقات القلب وتمضى لحالها خلف ابتسامتى الغائبة مع آخر نظرة إزدراء من الحسناء ذات الشعر الكستنائى التى تزوجتها ذات مساء مع أول نظرة..

أو يكتبها أحمد فوزي في (ابتعاد) دون أن ينسى – أو ننسى – معالجته التي تتماس مع نفس الوتيرة السينمائية:

[ابتعدت نحو الفتحة غير البعيدة ، فى منتصف حركتها تحرك الزحام ببطء. توقفت . أعادت العيون الصغيرة تقدير الزمن. الأم والصغير يتقدمان ببطء مع الزحام. مازال بإمكانها اللحاق بهم. تكمل الطريق الأكثر طولا. تتبادل النظرات مع شرطى المرور وهى تعبر الشارع وحدها ، تستعيد الزحام مع الرصيف المقابل. تعجز عن الأختراق وراء أمها المبتعدة. تتوقف تمسك بفستان تلك السيدة البدينة كى تخترق وراءها. السيدة البدينة تسير ببطء. تحاول الأمساك بأخرى تسير بسرعة. كان فستانها أقصر من أن تمسك به. تمسك بفستان تلك السيدة غير البدينة. تتوقف السيدة كى تشترى شيئا. اختفت الأم تماما. تحاول أن تستمر بنفس الطريق الذى ذهبت منه. تتوقف وعيونها تتمزق بين النساء جميعا. كفتاة كبيرة ، أمسكت بفستان خيالى وسارت وحدها بين الزحام.]

وأنهي هذه المعالجة لليومي والفني بمقطع لشاعرة تحاول أن تكتسب القصة فتمزج العالمين معا، وكان صعبا أن أختار من بين نصوصها مقطعا أكثر سردية. تقول بعنوان (هدوء):

[أدرت إصبعيى العاريين من طرف الشراب الممزق ولخوفى وخوفها اقتربت حذرة من قدمى حتى التصقت .. ثم بهدوء "تخللت" بين اصابعى .. التهمت بعض الدقائق "المتفتتة" عن رغيفى المقدد وغطائها الكيتونى يحك بين اصبعى .. سكنت لحظة .. أدارت إلىّ عينين وهميتين .. ثم بعد وقت .. وبين دفء أصابعى .. استلقت.]

المونولوج

يمكنني هنا أن أجد سطوة المونولوج القصصي على معظم قصص المجموعات التي قرأتها، وهو معادل موضوعي لهاجس التردد في الكتابة والحياة، حيث ينتظر الكاتب تحققه لتتعدد الأصوات داخل نصوصه، لا يزال يردد مونولوج ذاته، حتى يحصل على الثقة في التعامل مع الأصوات السردية الأخرى، اقرأوا معي أحمد فوزي مرة أخرى في (ابتعاد)، وأضيفوا هذين النصين، ولا مانع من تجربة إضافة نصوص أخرى من النماذج التي أقتطف منها في هذا التقديم القصير، تقول أمل عبد العال في نصها (بالرغم من أحساسك الدائم بالوحدة):

[تمشى على الكورنيش مرهقا .. متعبا. دائما تمل من الأشياء ، كل الأشياء تبدؤها بحماس شديد .. ويدخل عليك الإنهاك سريعا. تجلس على الرصيف. ملامحه القاسية امامك لا يتغير أبدا .. يشدها إليه بعنف .. يضربها بالأيدى والأرجل .. وهى مغلوبة على أمرها تتحمل من أجلك. فى ركن من الحجرة تجلس تلضم الأبرة ، تعيد ترقيع الشرابات وتثبيت بعض الأزرار. وأنت ترى الحزن العميق يتدفق من عينيها، وأثار الضرب على وجهها وكتفيها ورأسها المحنى دائما عبر حياتها. تقف أنت مستلب الإرادة. ولا تستطيع أن تفعل أى شيء .. لكن تدفن عداءك للعالم داخلك وتزداد وحدة.

البحر أمامك، تدخن سجائرك، وأقراص الصداع فى جيبك، تفرد ذراعيك وتضرب الأرض بقدميك. وبالرغم من ذلك على "المقهى" تجلس، ابتسامتك تملأ وجهك. وأصدقاؤك لا يستطيعون التوقف عن الضحك.]

وفي (ضفدع واقف على طرف بحيرة) مونولوج آخر تكتب رحاب ابراهيم في مقطع منه: [أعود بعد أيام لأجده قابعا عند طرف البحيرة يحترق فى صمت وثورته تطوقه .. يرانى فيبتسم فى وداعه ، اربت على رأسه .. فيبدأ فى تحريك رجليه ، يدفعهما بعناء ليبدأ قفزا بطيئا ما يلبث ان يتسارع ، ويعود يطرطش المياه حوله .. يفرد كفيه حاملا حبوبا للطيور التى تألفه .. يعود للنقنقة مصدرا أصواته تلك التى تصيبني بصداع وفرح فأضع يدى على قلبى متوسلة أن يتأخر مجيء النوبة القادمة .. ثم أرفع رأسي لألمح من خلال الماء المتناثر حوله عينيه الصافيتين تبتهلان إلى السماء حتى تمنحه فرصة أخرى.]

الاحساس بالمكان

هل هناك نص سكندري؟ لا أحب أن تكون هناك إجابة بنعم. أريد أن يكون هناك نص قصصي إنساني، ربما تنضح فيه رائحة المكان. لكنه النص الذي يستثير المدن كلها عبر مدينة واحدة. لذا عندما تكتب إيمان عبد الحميد عن شوارع مدينتها. إنما لنقرأ فيها كل الشوارع التي عشنا فيها، في نص بعنوان (أقول فى المدن) نقرأ في أحد المقاطع هذه السطور:

[لم يكن لى يد فى سكنى أبى فى شارعنا الموحل، الخالى من أعمدة الإنارة، الملىء بالوجوه والأنفاس المتململة الخانقة. لم أختر مدرستى المتهدمة، أو زملاء الفصل الذين أعتادوا مضايقتى لصغر حجمى وتخاذلى المدعو أدبا. لم أختر بنت الجيران المحدودة الجمال، ممتلئة الجسم بإستفاضة، لم أخترها، ولكن لموقع نافذتها الجغرافى، (المذكور فى كل كتب التاريخ بشكل مفصل)، كانت هى فتاة أحلامى لفترة طويلة، وقد التزمت بكل ما جاء فى الكتب أو على لسان أصدقائي عنها، ويبدو أنها كانت تقرأ الكتب ذاتها، فجاءت فى أخر مرة، وهى فى ملابس المدرسة التجارية باكية فى توتر، تخبرنى بذلك العريس الجاهز الذى يظهر دائما فى الوقت المناسب، كى ما نتخلص من حكاياتنا السرية بشكل رومانسي مؤثر.

وفي قصتها (باب بيتنا وشارعنا وأشياء أخرى) تكتب جيهان عبد العزيز المكان لنعيد اكتشافه مرة بعد أخرى:

[بيت وحيد حسدته كل البيوت الأخرى ، صندوق وحيد افتقدته كل الصناديق الأخرى .. بيت الشحتة – مبروك الشارع – هو البيت الوحيد الذى لم يوضع أمامه صندوق جديد للمهملات ، ربما لأن الشحتة غادره ثانية حين أحاطه الأولاد فى الشارع بعبارات السخرية ، قذفوه بالأحجار والمهملات. (أولئك الأولاد الذين لم يروه أبدا فوق السطوح أو ذاقوا العنب المر من شجرته التى لم يعد لها أثر) أو ربما لأنه تحول إلى مستودع للنفايات منذ زمن بعيد.

شارع البقلى، ذلك هو اسم شارعنا، تراه مكتوبا على لافتة خضراء مصلوبة فى أوله أو آخره – يتوقف ذلك على الجهة التى تختارها للولوج إليه أو الخروج منه – مكتوب أيضا فى البطاقة الشخصية، وبطاقة التموين .. فى الاستمارات التى نملأها .. والفواتير التى ندفعها، على مظاريف الخطابات التى نرسلها أو نستقبلها ... يخطئ فى كتابته من يجهلونه فيكتبونه (البكرى) .. أما نحن، من نعلمه جيدا .. لن نستطيع أن نخبرك عن معناه .. لأننا نعلمه.

واقعية سحرية

ضمن المجموعة نصان يستلهم أولهما وكتبه حاتم علي بعنوان (عودة الجندى الوحيد) سيرة عودة غائب، قد يكون غريبا أو مسافرا أو مجهولا أو جنديا، الثيمة التي رأيناها فيَ أكثر من عمل روائي وقصصي، بمعالجة واقعية وسحرية في آن واحد يقول الكاتب:

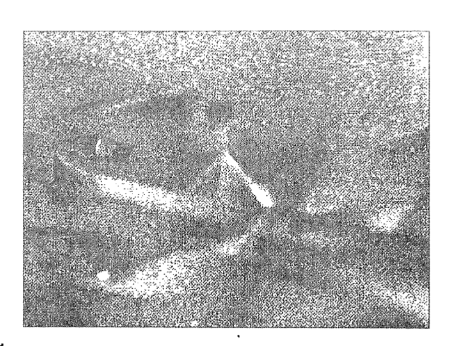
[اخترعت الزيارة لأستطيع أن أمر من أمام القهوة، وأرى ساعديه القويين يخرجان من فتحات ملابسه ليبرقا تحت الشمس. عندما نظرت فى المرآة وجدت أننى ودون أن أدرى قد ارتديت أجمل ما عندى. عندما فتحت الباب لصديقتى التى دعوتها للذهاب، كانت تبدو هى الأخرى فى أبهى صورة. تبادلنا النظرات وابتسمنا دون كلام. طوال الطريق كان هناك هم واحد يؤرقنى: "هل أبدو أجمل من صديقتى أم أنها تبدو الأجمل؟" عند القهوة اختلسنا نظرات سريعة . أرجعت بصرى برعشة كبيرة تهزنى. لا شك أنه مختلف عن كل رجال القرية. مختلف عن زوجى، أخى وحتى ابنى. مختلف عن الجميع. إنه جندى ... جندى منتصر.]

وفي النص الثاني تكتب سماح مرسي مقطعًا أخيرا في نص عنوانه (على غير العادة):

[ألفت عينى الضوء فقررت أن اكتب اسمى على صدره بريش العصافير ويكون هذا الابتكار مكافأة له على ما منحنى اياه من سَعادة بدأت اكشف عن صدره .. وهو مسالم ولا شئ سوى تلك الابتسامة .. وجدت توقيعات كثيرة لأسماء نساء كتبت كلها بريش العصافير .. نزعت سُترته .. جردته من ملابسه . تملأ جسده توقيعات كل نساء البلدة ... بينهن أمى.]

ملمح أخير

هكذا في عجالة سريعة قرأت معكم مشاهد قصصية (سكندرية) جديدة وشابة، قدمها علي عوض كرار وخالد السروجي ومحمد عبد العظيم علي وحاتم علي وأحمد فوزي وأمل عبد العال ورحاب إبراهيم وهبة يونس النيل وجيهان عبد العزيز وسماح مرسي وإيمان عبد الحميد. وحاولت أن أضع يدي عَلى ملامح قد لا تكون موجودة إلا لدي، أسقطتها على نصوص أحببت أن أقدمها وأتمنى أن نلتقي مع أصحابها في احتفالية (أدب ونقد) بمئوية ثالثة، وقد حققوا طموحهم في طرح إبداع قصصي جديد.



محمود بقشيش

عن اليسار .. والنقد والتفكيك

على مبروك

جسد يتكور على الطوار أمام الباب .. جسد مهمل تغطيه البقايا والرقاع ، ملقى هناك بلا ملامح ، على طوار الشارع الهادئ ، حيث المقر الرئيسى لحزب اليسار يا لمفارقة المشهد .."بؤس" يسخر من "حلم" ، لوهلة بدا وكأنه الجسد يتكور ويتهيأ لينطلق ، أو ينفجر صفعة غاضبة ، ناطقة وزاعقة بعجز اليسار وإخفاق ثقافته.

من قلب هذا المشهد الزاعق كان لابد أن يتبلور ما ينبغى الطموح إلى طرحه على أجندة تفكير" أدب ونقد" ، ليس فقط فيما يتعلق بعلل إخفاق أطروحات اليسار السابقة ، بل-والأهم- فيما يتعلق بمصائر ما يطرحه ويضعه الآن على أجندة تفكيره ومسعاه.

وهنا يشار إلى أن اليسار بنفسه قد كان جسوراً فى ادراك أصل أزمته وجذرها . فقد مضى أحد الأقطاب يقرر فى مصارحة كاشفة: "أصبحنا تماما كأصحاب التأسلم

السياسى للذين يخلطون بين ذواتهم ونموذجهم ومركزهم ،وبين العقيدة ، فإذا هاجمت النموذج أو المركز فإنما أنت عدو للدين، وعلى أية حال .. ولأسباب عديدة لسنا بحاجة إلى تكرارها -فلعلهايكن رصدها بقليل من التأمل- افترض شيوعيو العالم أن واجبهم هو الدفاع وليس النقد ، هو الحماية ليس الهجوم ، هو التمجيد وليس الرؤية النقدية.. وتحولت عبارة «النقد والنقد الدولى» إلى قناع قد يطبق وقد لا يطبق ، لكنه خاص فقط- وعلى أية حال -بالموالى وليس بالسادة أصحاب المركز الذين لا يصح انتقادهم ، بسبب بسيط ، وهو أنهم لا يخطئون ، ولا يمكن أن يخطئوا .. ومن ثم اختفت فى الواقع الفعلى العلاقة الأممية ، وبقيت منها صورة «المراكز» ،وما يتبعه من« موالى » وفى أحسن الأحوال موالين؟(١).

وبالرغم من أن هذا الإدراك للتماثل مع النقيض (الذى هو التأسلم السياسى) كان لابد أن يدفع بإتجاه إدراك الوحدة العميقة للآلية المعرفية التى ينتج بها كل منهما خطابه ، على نحو يمكن معه التمييز بين« التعدد الإيديولوجى» على سطح الخطاب العربى الحديث، وبين التوحد الابستمولوجى» فى عمقه ، والذى كان يمكن أن تتبلور منه نقطة البدء الحقة ، لا لمجرد نقد حالة اليسار فحسب ، بل ولنقد الخطاب بأسره نقدا يتجاوز سطحه إلى أعماق بنيته ، وعلى نحو يسمح بتجاوز مأزقه حقاً ،فإن ذلك لم يحدث لسوء الحظ ، وهكذا فإنه إذا كان النقد قد أدرك أصل الأزمة وجذرها ، فإنه -وبسبب من إنشغاله بالسياسى والإيديولوجى ، وبتقديمه له على المعرفى والابستمولوجى -قد حصر حدود اشتغاله ضمن إطار «التمركز» بمعناه الإيديولوجى ، وليس الإبستمولوجى ، ولهذا فإنه قد أدرك فقط إختفاء «العلاقة الأممية» وتبديها كعلاقة «مركز» من جهة «وموالى أو موالين» من جهة أخرى . ولو أنه قد تحول إلى ما وراء الإيديولوجيا لأدرك أن يمتثل له «وعى وواقع فرع» من جهة أخرى . وهنا فإنه ، وإذ تنبنى هذه العلاقة المعرفية «الأصل- الفرع» على آلية يقارب عبرها الوعى ما ينبغى أن يكون موضوعا له يحتويه ويتجاوزه ، بوصفه نموذجا يخضع له ولا يقدر على الإنفلات من سطوته ، فإن ذلك يحيل إلى إنعدام شروط انتاج المعرفة الحقة التى يصعد فيها الوعى من الواقع إلى نموذجه المعرفى ، ثم

يتنزل به مختبراً لكفاءته التفسيرية فى الواقع ، ثم يتصاعد به، ثانية ، فى ضوء اختباره لتلك الكفاءة مطوراً له ومضيفا إليه .. وهكذا أبداً فى مراوحة مستمرة لا يكف فيها الواحد منهما عن التأثير فى الآخر وإغنائه والاغتناء به ،والإتساع به وله فى آن معاً.

وبالطبع فإن معرفة يقع فيها الوعى تحت سطوة موضوعه- النموذج، على نحو تنعدم معه شروط المعرفة الحقة، هى معرفة «إمتثالية» من غير شك ، ولعل هذه «الإمتثالية» لابد أن تدنو بها من تخوم «الإيديولوجيا» ، التى لا تعرف شكلاً لحضورها فى العالم إلا مجرد الامتثال والاخضاع . وهكذا فإنه ، وبالرغم من أن علاقة المركز- موالى «الإيديولوجية» إنما يتجاوب مع السياسى ويتفاعل معه ، بل وحتى يؤسسه ، وذلك من حيث إن إنتاج العلاقة السياسية (مركز -موالى) لا يرتبط بسطوة المركز وإنتاجه لنفسه هكذا ، أعنى المركز ، بقدر ما يرتبط -فى العمق- بعجز الموالى أنفسهم عن ادراك العالم الا ضمن إطار الشكل المعرفى (أصل-فرع) ، على نحو لا يكتفون فيه فقط بإنتاج الآخر -الأصل (كمركز) بل وينتجون أنفسهم- الفروع (كموالى) أيضا ، فإنه يلزم التنويه بأن هذا الشكل المعرفى أصل- فرع يظل، هو نفسه ، يخايل بحذر إيديولوجى يأتيه من كونه ينبنى على «الامتثال» الذى يجسد شكل حضور الإيديولوجيا فى العالم كما سبق الإلماح ، وهكذا فإن تحدد لإيديولوجى أو السياسى بالإبستمولوجى أو المعرفى والثقافى . لا يلغى أبدا أن هذا الابتستمولوجى وإن كان قد تعالى ضمن فضاء راح يسعى فيه للتنكر لأى شروط أو تحديدات ، ليمارس على الوعى هيمنة غير مشروطة -قد تحدد ، هو نفسه ، بالإيديولوجى وعلى تخومه ، ولو فى لحظة راح يقطع بعدها معها ، ليمارس تحديده للسياسى والإيديولوجى على نحو خفى وغير منقطع وعلى أى الأحوال ، فإنه يبقى أن آلية التفكير بالنموذج التى تلازم الشكل المعرفى ، التى بدا وكأنها تؤسس لأزمة اليسار بأسره!.

وبالطبع فإن ذلك كان يقتضى صوغ استراتيجية تستهدف تفكيك هذه الآلية والوعى بحدودها ، توطئة لتجاوزها الذى يستحيل من دونه إلا إعادة إنتاج العلاقة المركز -موالى أبداً ، وذلك من حيث لا يعرف الوعى ، ضمن سياق هذه الآلية ، إلا أن يتحرر من نموذج

ولكن ليقع فى قبضة آخر ، ومن دون أن يتحرر من سلطة النماذج كلياً ،ولسوء الحظ فإن صوغ مثل هذه الاستراتيجية لم يكن ليقبل التحقق ضمن حدود هذا النقد، لا بسبب من سياسورته فقط، بل -والأهم -لأنه لم يتبلور إلا بعد سقوط المركز وإنهيار سلطته بالفعل ،ومن دون أن يكون إنهيارهما من إنتاج هذا النقد وفعله . فبدا -وللغرابة -أن سقوط النموذج هو الأصل فى نقده ، وليس العكس ، ومن هنا ، لا محالة ، أنه لم يكن بمقدور هذا النقد أن يتمخض عن السعى لتفكيك آلية التفكير بالنماذج وتجاوزها ، بقدر ما كان له أن يتمخض عن السعى لتفكيك آلية التفكير بالنماذج وتجاوزها بقدر ما كان له أن يتمخض عن نوع من التحول عن سلطة نموذج إلى سلطة آخر ، كان ، هذه المرة ، هو نموذج التنوير.

وبالرغم من أنه قد بدا ، وكأن اليسار قد أدرك ، أخيراً ، إستحالة حرق مراحل التاريخ ، وأن التثوير(من الثورة) إنما يستحيل من دون أن يكون مسبوقا بالتنوير، فإن المأزق كان يتأتى من أن هذا التنوير قد انبثق ، بحسب آلية التفكير بالنموذج ، كسلطة مهيمنة وليس كفعل تحرر ، وهكذا فإنه بصرف النظر عما يعنيه هذا الإدارك من الخروج على أصول الماركسية التقليدية ، وذلك من حيث يجعل التغيير فى «بنية المجتمع» مشروطاً بالتغيير فى« بنية الوعى» أولا ، وبكيفية يكون معها التغيير ضمن ما جرى الإصطلاح على تسميته «بالبنية الفوقية» هو الشرط المنتج لأى تغير فى« البنية التحتية» على العكس تماما مما تقول به الماركسية التقليدية ، فإنه يبقى أن هذا الادراك إنما كان يضع اليسار فى قبضة النموذج الأوروبى على نحو كامل ، وذلك من حيث راح يفرض عليه ضرورة أن يكرر نفس مراحل التاريخ -النموذج ، وهكذا فإنه إذا كان سقوط المركز قد أتاح للوعى أن يخرج على مقولات هذا المركز ، فإن هيمنة آلية التفكير بالنموذج لم تسمح له إلا بأن يقع فى قبضة نموذج -مركز آخر. ولو أنه قد أتيح للوعى بلوغ هذا الادراك الذى يخرج فيه على مقولات النموذج- المركز قبل سقوط المركز بالفعل ، لكان قد أمكنه بلوغ عتبة التحرر **من سلطة النماذج كلياً**، لكن إدراكه لذلك بعد سقوط المراكز ، لم يجعل أمامه من سبيل إلا أن يلوذ بنموذج-مركز آخر . إذ لحق أن التنوير الذى جرى

إدراكه كشرط «للتنوير» قد ظل يستدعى نفس مقولات التنوير الأوروبى ، بل ونفس لحظاته ، وهو ما يعنى أن النموذج الأوروبى للتنوير يظل هو المهيمن على وعى اليسار ،الأمر الذى كان لابد أن يحيله إلى« سلطة» راحت تفرض نفسها بديلاً لسلطة سقطت بفعل عوامل ذاتية ، ولم يكن اليسار هو الذى أسقطها ، ولعل ذلك يرتبط بجملة الشروط التى فرضت اللجوء إلى التنوير والإلتياذ ببابه.

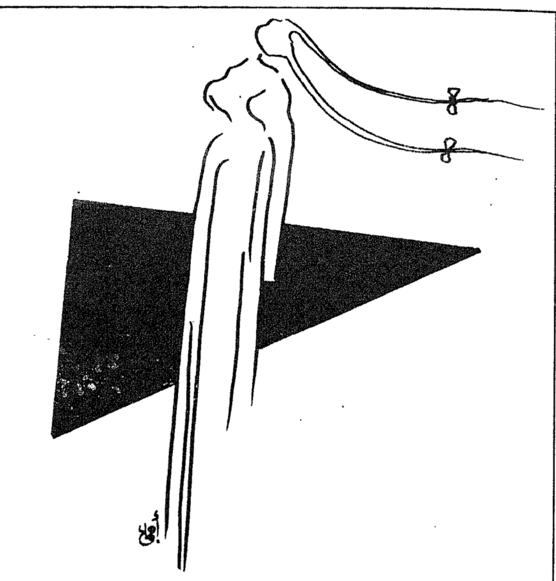
فقد بدا التنوير، وكأنه المخرج من الأزمة الشاملة لليسار التى راحت تعتصره وتعصف به مع انهيار المركز وإختفاء النموذج ، وبقاء الموالى من دون سادة ، والذى ارتبط على نحو ما، مع تبلور مأزق دولة الحداثة العربية الراهنة الذى انبثق ، فى الجوهر ، عن انعدام **مبدأ ذاتى تؤسس عليه هذه الدولة وجودها** ، وإتكائها لذلك على إرادة أصحاب الهيمنة والسيادة فى المركز ، وهو الأمر الذى كان لابد أن يجعلها دولة تابعة ومرتهنة لإرادة الخارج وشروطه ، وبحيث باتت لا تعرف سبيلاً لفرض وجودها على مجتمعاتها ، مع هذه التبعية والإرتهان للخارج ، إلا بالتسلط عليه بالسخرية والقمع ، وهكذا راحت شروط التنوير تقوم خارجه ، وأعنى فى مركز أو نموذج منهار، أو فى مأزق دولة لا مخرج لها منه إلا عبر تجاوز ما يؤسسها، وإلا فإنها بسبيل الإنهيار بدورها ، وبالطبع فإن التنوير ،إذ ينبثق ، هكذا ، كفعل يقوم شرطه خارجه ، فإن ذلك يعنى أنه يستمد سلطته من خارجه ، ومن دون أن يصنعها أو ينتجها.

والحق أن ذلك ما يتكشف عنه تحليل المقولة التى تجسد روح التنوير فى سياقه الأوروبى ، والتى لا يتوقف الكثيرون عن الثرثرة بها فى العالم العربى الآن ، وأعنى بها تلك المقولة الذائعة :« إنه لا سلطان على العقل إلا العقل نفسه ،فإذا يكشف التحليل عن كونها قد تبلورت، فى سياق تجربة التنوير الأوروبية ، كنوع من الإعلان الكاشف عن عقل خاض معركته ، وانتهى بعد صراع طويل مع ضروب من السلطة (السياسية واللاهوتية) الجامدة المتكلسة والمترابطة إلى تأسيس سلطته وتوكيد سلطانه ، فإنها قد راحت ، فى المقابل،-وأعنى **ضمن سياق عقل ، لم يخف معركته -ناهيك بالطبع عن أن يحسمها -ضد كل ضروب السلطة القامعة (سياسية ولاهوتية وغيرها) -تستحيل إلى**

مجرد زخرف يغطي به العقل خضوعه لتلك السلطات التي تحاصره وتقمعه ، وبمعنى أنها تستحيل -وللمفارقة-إلى أن تكون ، هى نفسها ،مجرد قناع لسلطة ، ولعل الدرس الجوهرى ، هنا يتلخص فى أن هذه المقولة عن «سلطان العقل» إنما تتبلور كنتاج لفعل متعين ينجزه هذا العقل فى الواقع والتاريخ اقصاء الكل ما يضاده وإزاحة له من مسار التطور ،وعلى نحو يغدو فيه العالم محكوماً بالعقل فعلا وأما من دون هذا الإقصاء والإزاحة ، فلن تكون هذه المقولة أكثر من شعار جميل يثرثر به العقل ، ويغطى به خضوعه ويزخرفه.

وإذن فإنه لا سلطان أبدا لعقل لم يفعل فى كل من الواقع والتاريخ إلا خاضعا لسلطة ،إذ يبقى شرط تأسيس السلطة وتأكيد السلطان مرتبطا بفاعلية العقل فى تقويض كل سلطة تحاصره وتقمعه ، بل وتعمل حتى من داخله ، حيث العقل قد يستلب كليا فى أجولة السلطة ، وإلى حد أنها تستحيل إلى جزء من صميم بنائه ، تتلبسه وتعمل من خلاله ، وبحيث لا يصبح من سبيل لتفكيك هذه السلطة ، التى هى الأخطر والأعتى بالطبع ، إلا عبر تفكيك العقل لذاته.

وهنا يشار ، من جهة أخرى ، إلى أن العقل ليس أبدا معطى مطلق ، بل هو تكوين تاريخى داخل ثقافة ، ومن جهة أخرى ، يشار إلى أن الثقافة كانت هى المجال الذى تعالت إليه ، فى التجربة العربية الإسلامية ، سلطة «السياسى» لتنتج نفسها فيه بتوسط «الدينى» ، وذلك بقصد أن تضع نفسها ضمن فضاء تخايل فيه بقداسة تستعصى معها على أى اختراق . وإذن فإنه المسار الطويل لسلطة راحت ، عبر ضروب من الإلتواء والمراوغة ، تكرس وجودها وتؤبده، وأعني عبر ضروب من التحول المراوغ والملتبس من سلطة المستبد «السياسى» إلى سلطة الأصل «المعرفى والثقافى» ، ودائما غير وساطة «الدين» ، وليس من شك فى أن عقلاً تكوّن داخل مثل هذه الثقافة ، التى تكاد -فى جوهرها -أن تكون مجرد قناع لسلطة ، لن يفعل إلا أن يكون مجرد قناع لها بدوره ، حتى وهو يخايل بتقويضها وأزاحتها ، ولعل المثال الأبرز على ذلك إنما يأتى -وللمفارقة -من ابن رشد الذى لا يكف دعاة التنوير **كسلطة ، لا كفعل تحرر ، عن استهلاكه**



والثرثرة به ، والذى يعكس خطابه حضوراً للسلطة (بأصلها السياسى وقناعها المعرفى) لا يتلاشى أو يغيب(٢).

وبالطبع فإنه من دون تفكيك هذا المسار الطويل من الإلتواءات والمراوغات التى تعالت عبرها «السلطة» إلى فضاء القداسة الذى تمكنت من رحابه الواسع والمفارق تحويل العقل إلى مجرد قناع لها ، فإنه لن يكون بمقدور العقل تأسيس سلطته وتأكيد سلطانه إلا عبر مجرد الثرثرة.

---

(١) رفعت السعيد- كتابات عن الماركسية ، (الأمل للطباعة والنشر والتوزيع) القاهرة ١٩٩٨ ، ص٦٧ -٦٨.

(٢)لمزيد من التفصيل أنظر دراستنا :الانكسار المراوغ للعقلانية ..من ابن رشد إلى ابن خلدون .

الدكتور رفعت السعيد:

من واجبكم التفتيش في التراث المصري وتقديم مفكرين جدد

حاوره: أشرف أبو اليزيد

الحوار مع الدكتور رفعت السعيد ينقلك إلى الفعل بعيدًا عن الافتعال، ويجعلك تدخل في الموضوع بلا مقدمات، لفرط صراحته. والسطور التالية التي تأتي في عدد نحسبه تذكاريا، ونتمناه انطلاقة جديدة لأدب ونقد سنجد إضاءة ووجهة نظر لثلاثة وجوه يمثلها السعيد: كمثقف له تحفظاته على المجلة وكرئيس مجلس إدارة يشارك في دعم مسيرتها، وكأمين عام لحزب التجمع، الحزب الوحيد في مصر الذي يصدر مجلة ثقافية، سألته عن ذلك:

الدكتور رفعت السعيد:

حزب التجمع يخاطب وعي الجمهور لذا يعتبر الثقافة جزءا من دوره، لقدرتها على مخاطبة الوعي. وهذا جزء من مهمة الحزب؛ فالارتقاء بوعي المواطنين هو السبيل الأساسي للنضال من أجل التغيير، إضافة لكون الأدب نفسه أداة لهذا التغيير. والأدب مع الفن نسيج واحد في معركة الحياة والتغيير. ولذلك كان من الضروري أن يكون للحزب سبيل أو أداة تحاول أن تصل بالثقافة التي نعتقد أنها إيجابية، وبالفن الذي نعتبر أنه جزء من مكونات الحياة، بل وجزء من أسلحة المواطنين للتغيير. ولذلك كانت (أدب ونقد) جزءا من معركتنا من أجل التغيير.

- هل تعتقد _ كمسئول _ أن (أدب ونقد) أدت هذا الدور؟

الدكتور رفعت السعيد:

أفضل أن يوجه هذا السؤال للجمهور. ولكن إذا جاز لي أن أقترح فأنا أرى أن (أدب ونقد) تحصر نفسها في مجال الأدب والنقد الأدبي، وكم أتمنى أن تتسع _ ولو قليلا _ لأفكار ومواقف ودراسات تهم المثقفين الآخرين من خلال أبحاث يمكن أن تكون قادرة على التنوير وتقديم رؤية مستنيرة للمجتمع، وهذا جزء من واجب (أدب ونقد) أتمنى أن تقوم به أكثر من الآن.

- لكن (أدب ونقد) قدمت هذا وبأكثر من نموذج، فخصصت ملفات لبعض من رموز التحرر (مثل فرانز فانون) وساندت بعضا من قضايا حرية التعبير في الوطن (نصر حامد أبو زيد ونوال السعداوي)..

الدكتور رفعت السعيد:

غالبية الأفكار التي تقدمها (أدب ونقد) تحاول أن تكون غربية الملمح، وأنا لست ضد ذلك، ولكن جزءا من واجب (أدب ونقد) التفتيش في التراث المصري وتقديم مفكرين جدد، بالاضافة إلى خوض معارك التنوير. بالاضافة للاهتمام بقضايا العالم العربي.

- هل تعتقدون أن هناك في المستقبل ما يمكن أن يقدمه الحزب لدعم مسيرة (أدب ونقد) في تطوير أدواتها؟

الدكتور رفعت السعيد:

لا، لأن ما يقدمه الحزب من إمكانيات ربما يكون أكثر من طاقة الحزب. نعم نعلم أن المنافسة صعبة، أمام مجلات تنفق عليها الدولة، والحل أن تكون المنافسة عبر تقديم الأفضل والأكثر جودة.

- وأنا أتفق أنه قد يبدو شكلها فقيرة لكنها غنية المحتوى. ولكن القاري يتطلع وقد ساندنا طوال هذه الفترة (١٨ سنة) أن نقدم له جديدا.

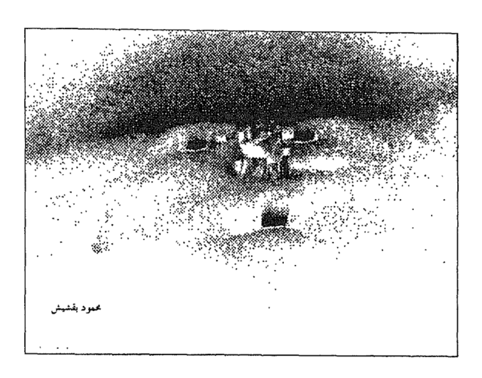
الدكتور رفعت السعيد:

لقد نجحت (أدب ونقد) في ماراثون طويل (٢٠٠ عدد)، وهذا الاستمرار عمل إيجابي سواء من هيئة التحرير أو من الحزب، الذي يقدم ما هو متاح من امكانيات. فالحزب لا يستطيع أن يزهو بأنه حزب غني، ولكنه حزب يحاول أن يدبر هذه الامكانيات، وأن يستخدمها أفضل إستخدام. وكانت أمي تردد كثيرا [الشاطرة تغزل برجل حمار] ، ونحن نحاول الغزل بأي شيء، وعلينا توظيف مالدينا من امكانيات لتحقيق أكبر قدر من أحلامنا.

- هل هناك ما يجمع بين ما تقدمه (أدب ونقد) من ثقافة وما تقدمه جريدة الحزب الاسبوعية (الأهالي)؟

الدكتور رفعت السعيد:

هذا هو ما يسمى بالفارق بين التكتيك والاستراتيجية، هناك فارق بين الخبز اليومي والصناعة الثقيلة، ولا يمكن أن تحل أحدهما محل الأخرى.



الآن .. أو الطوفان

سيد القمنى

إن العصبية هيَ أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.

أحمد بن الخطيب

أصبح «الإسلام المعدل المطلوب أمريكيا » عنواناً لمناقشات منوعة فى الإعلام العربى والإسلامى والعالمى بعد ضربة الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وعزوم الولايات المتحدة الأمريكية على التدخل فى ثقافات المسلمين ، ضمن حملتها الدولية المتوسعة على الإرهابَ العالمى ،من أجل إعادة صياغة المفاهيم التى يسلك بموجبها المسلمون مع

أنفسهم أو مع العالم . لضمان ما تراه استقراراً أمنيا لها ولنا وللعالم من وجهة نظرها ، بعد أن عاشت زمنها السابق وفق حسابات مصالحها ومصالح شعبها فقط، فحالفت شرار الأرض كما هو حالها مع العنصرية الإسرائيلية ، وصادقت أعتى الأنظمة القمعية في دول العالم الثالث بغض النظر عن أحوال شعوبه . وأدامت سلطان هذه الأنظمة التى نشرت الفساد فى مواطنها مع قهر العباد ، وشجعت عزل تلك الشعوب عن الحداثة وحجبتها عن التطور بتشجيع السلفيات المنوعة ،وهى الخط النظرى الذى يجمع الشعوب مع سلاطينها استجابة لحميمية رغبة هذه الشعوب فى عدم تسرب أى غريب إلى خصوصيتها الثقافية العزيزة عليها . بغرض إبقاء تلك الشعوب فى حالة سكونية خارج حركة التاريخ المتسارعة ،مع الاعتماد على الأنظمة الحاكمة للحفاظ على المصالح الأمريكية فى مناطقها .وهو ما أدى إلى انتشار الجهالة المعممة الضامنة للاستبداد السياسى ، لكنه زرع فى الوقت نفسه حقداً حضاريا متناميا فى تلك المواطن ، خاصة مع مواقف الحليف الأمريكى من القضايا العزيزة على الشعوب.

ومولت المخابرات الأمريكية الحركات السلفية الفكرية والمسلحة ، وأقامت فى العواصم الإسلامية المؤتمرات المغذية للخصوصية الثقافية كمؤتمرات ما يسمى بالعلوم الإسلامية . فكان أن أفرزت لها تلك المواطن إرهابا دوليا عقرها فى عقر دارها الذى تصورته آمنا من كل سوء ، مما وضعها للمرة الأولى أمام مسئولياتها كسيدة للعالم ، من أجل تجانس هذا العالم ثقافيا ، وربما سياسيا ، لتكون العولمة صادقة المعنى والمضمون ،وحفاظا بالطبع على أمنها ومصالحها فى المقام الأول.

وإزاء هذا الهول العظيم «الإسلام المعدل المطلوب أمريكيا» والذى ما خطر على قلب مسلم (وإن خطر لنا وكتبنا بشأنه وحذرنا على مدى العقد الماضى لإصلاح البيت من الداخل دون سامع ولا مجيب حتى أزفت الأزفة) ؛ يجدر وضع الأمر على مائدة بحث مكشوفة وعلنية فى بيت أصحابه ، لمناقشته واتخاذ المناسب بشأنه بيد أصحابه ، للوصول إلى مشتركات بين المختلفات تؤدى إلى النتائج الأقرب إلى مصلحة الوطن والمواطن قبل أى أمر آخر.

وكان الأساس الذى سبق وطرحته ولم أسلم بسببه من الأذى (من محاكمات رسمية

إلى محاكمات أمام أمن الدولة إلى إدانات أزهرية إلى تشنيع صحفى مصحوب بالتخوين الوطنى والتكفير الدينى) هو الذى ما زلت أصر عليه ، وهو وجوب إعادة النظر فى مناهجنا سياسة أو تشريعا أو اجتماعا أو إعلاما أو تعليماً ، والأهم فى فهمنا للإسلام وطرق تدريسه وشروحاته وقواعد التعامل معه وبه من تشريع وتحليل وتحريم وقواعد فقهية بل وثوابت نظنها كذلك، أو نريدها كذلك. وعلاقة هذا كله بالعصر الذى نعيشه باعتبار ذلك مطلبا وطنياً قبل أن يكون أمريكيا، وأنه قد أصبح ملحا وضروريا لصلاح أحوالنا ،وفى الوقت ذاته –ببعض الواقعية– توقيا لعصف الدولة العظمى الكبرى القادرة الغاضبة ومعها كل دول العالم تقريبا، إزاء أوطان ضعيفة متهالكة لا تملك لنفسها رداً ولا دفعاً سوى استمطار اللعنات من رب السماء بالدعاء على الأمريكان آناء الليل وأطراف النهار، وهو ما لم يغن عنا شيئا حتى الآن ، ولأن أصحاب منهج الدعاء لم يحسموا لنا الموقف حتى الآن ويحددون لنا موعداً نهائياً لهذا التدخل الإلهى ،وحتى يحدث أو لا يحدث فلا سبيل إلا ما بأيدينا وما فى مستطاعنا.

وإن مخاطر عدم الوضوح وصراحة الطرح والمناقشة رهبة أو خوفا ستكون نتائجها على الأجيال المقبلة هى الأوخم والأسوأ ،خاصة مع ما وصلت إليه أحوالنا النفسية والعقلية وأوهامنا الرافضة لأى تغير مهما حدث من كوارث ، غير العابئة بأى نتائج مهما تراكمت النوازل والمصائب والتراجعات ، ناهيك عن أولئك النفر المستفيد من استلقائنا الخامل خارج التاريخ نجتر أساطيرنا ،وهم نفر كثير وله نفير . وهى الأمور التى أدت بنا إلى عدم التحرك إلا إلى الخلف وإلى مزيد من الخسائر مطمئنين إلى حصوننا الكلامية ووعودنا العقدية منحدرين من منزلق إلى منحدر ، حتى أصبح من مواهبنا بين الشعوب اتخاذ القرار غير المناسب فى التوقيت غير المناسب وأمست القضايا العربية بين قضايا العالمين هى النموذج الأمثل للخسائر الأمثل . رفضا لمواجهة الذات بعوراتها ، وإيمانا بأننا شعوب مختارة بعناية فهى لا تخطئ ،وغيرنا دوما هو المخطئ.

وعندما يصبح الأمر هو البقاء فى ساحة الفعل التاريخى أو الخروج من التاريخ إلى الزوال الحتمى ،فإنه لا يبقى لدينا وقت للمراوغة اللغوية واستخدام الشراك اللفظية للتحايل على القول ، فى ظل تحريمات سائدة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا التعامل

بالأساليب الملتبسة للإجابة عن الأسئلة المصيرية المطروحة علينا ، لملاحظة رأى عام غير سوى ولا رشيد ، أو توقيا لعصف سلطة سياسية أو غضب سلطة دينية.

وإذا كان النوم ثقيلا فإن الصحو سيحتاج إلى النهر والزجر وتشديد النكير، لأن الهزيمة التاريخية المروعة التى نعيشها لا تتمثل فقط فى الهزائم العسكرية أو التراجع الحضارى ، لكنها تكمن فى كوننا لا نصدق أننا شعوب مهزومة على كل المستويات حتى النخاع ، ومتخلفة على كل الأصعدة ، وفى كوننا لا ندرى لماذا هزمنا ولا كيف هزمنا ؟! لأننا لا نملك فضيلة المكاشفة والشفافية والصدق مع الناس ومع الذات ، وهى الآن أبرز الفضائل الكونية فى الدنيا المتقدمة المتفوقة . علما أن البداية الصحيحة والناجعة هى الاعتراف بالهزيمة المروعة وأن بدء العلاج يكون بقبول النقد والاتهام ، الذى ربما كان علقما أو موجعا أو يحتاج لجراحات كبرى ، لكنه الضرورى بلا بديل آخر ، محاكمة للذات وفحصا للمسلمات ، للوعى من خدر الغيبوبة ونقد ما نظنه بدهيات لاسترداد العافية ، لأنه -وهذا هو الأخطر- لا توجد خدمة يمكن أن نقدمها لقوى العنصرية الإسرائيلية أكثر من الاستمرار فيما نحن فيه من هلاوس ، ناهيك عن كون تلك الأسباب هى التى حالت بيننا وبين التوصل إلى لغة يفهمنا بها العالم ونفهمه ، هذا مع الأخذ بالحسبان أننا لا نفهم بعضنا بعضاً.

وجذر المشكلة يتموضع فى نظرتنا لكل شأن من خلال الهويات (دينية ، قومية، عرقية ، لغوية ، ثقافية ..إلخ)، ومدى اتفاق الآخر معنا أو إختلافه ، وفقها وحسب شروطها . وتتحزم هذه الهويات جميعا برباط الدين الإسلامى الذى لا نرى أمراً إلا من خلاله ، حتى اصطبغت به حياتنا حتى فى تفاصيلها الدقيقة(كيف نأكل وماذا نقول عندما نشرب أو عندما ننتهى من هذا أو ذاك، وبماذا ندعو ونستعيذ عند الغائط وعندما نتجشأ، مع دعاء الركوب سواء كانت الركوبة حماراً أو طائرة لافرق ، وبم نبدأ الجماع من أدعية وبم نحمد عند الانتهاء ..إلخ) ، ثم نتعامل مع المختلف وفق رأى ديننا فيه وليس كما هو ، لذلك ننفيه ولا نعترف له بحق أن يكون مختلفا عنا ، بحسبان ديننا مصدر كل حق وكل معرفة ممكنة ، وكل فضيلة كاملة ، ومن ليس تحت مظلته فاقد لكل هذا بالضرورة.

وبينما العالم لا يرانا إلا فى تخلفنا المزرى ، نطلب منه أن يتعامل معنا باعتبارنا أصحاب أرفع الأديان أو بالأحرى أصحها على الإطلاق ، وبحسباننا وارثى مجد حضارة كبيرة ، بينما لكل الأمم والشعوب أديانها ومآثرها وحضاراتها السالفة ، ولا يعطيها ذلك مزية أو أفضلية على غيرها بالدين والمآثر السوالف ، إنما هى تصنع أفضليتها بتأمين حريات المواطنين وإحقاق حقوق البشر التى تصنع مناخا يسمح بالتوسع المعرفى والابتكار والاختراع والمساهمة فى المنجزات الإنسانية لاحتلال موقع كريم تحت الشمس. أما نحن فانشغلنا عن الهم المعرفى بحسبان كل معرفة قد تمت معرفتها مسبقا فى مقدسنا ، فلم يتعشقنا هوى المعرفة والإبداع ، قدر ما حكمتنا النصوص والأصول والموروثات . ولم نضع ضمن أهدافنا السعى لمعرفة ما لم نكن نعرف ، قدر ما سددنا فى إعادة إنتاج ما سبق وعرفنا ، لتبرير ثوابتنا وثباتنا عند نقطة زمنية تبعد إلى الوراء ماينوف بقرون على عشرة قرون ، لذلك لم ننتج أى معرفة حية سواء حول النص أو الواقع ، وكيف ذلك وشاغلنا وهمنا يفصح عنه دعاؤنا المرعوب إلى رب السماء «اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا» (؟!!) ..أليست تلك هى المصيبة عينها ؟!.

وكى نثبت جدارتنا فى عالم يسجل كل ليلة آلاف الكشوف والاختراعات قام جهابذتنا اللواذع يشمرون عن هممهم لتعريفنا معلومة واحدة فيها الكفاية والغنى ،وهى إننا علماء الأكوان لآخر الأزمان . بالكشف فى مأثورنا عن كل علم سبق اكتشافه .والصرعة الجديدة الآن هى ظاهرة الشيخ الدكتور زغلول النجار الذى تعدى القرآن إلى الحديث النبوى يستكشف فيه آخر النظريات العلمية ، رغم ما فى علوم الحديث من مآخذ على الحديث . ليس لفائدة البلاد والعباد بكشف ما لم يسبقنا إليه المتفوقون فى السنة أو القرآن ، لكن ليثبت لنا صدق ما بيدنا من مقدسات وتقييمها بقيمة العلم الغربى الذى يكفرونه سلفا . ويؤكد لنا عبر حلقات طوال أن الله قد أنزل الحديد من السماء إلى الأرض إنزالا عملا بظاهر الآيات، وبعمليات حسابية حول عدد ذرات الحديد والألفاظ القرآنية بأساليب الحواة البهلوانية ، إثباتا لجدارتنا بين الأمم ،بالخبئ داخل نصوصنا النظرية الذى كان ينتظر كل تلك القرون مجئ السيد زغلول ليكون بطل الكشف ونجم العلم ودرة الإيمان . بدلا من أن يستخدم إجازته العلمية لدخول المختبر وتقديم ما يمكن

أن يفيد به وطنه من هذا الحديد ، بغض النظر عن كونه قد هبط أم صعد أم قعد . خاصة أن النصوص الدينية ليس من وظائفها إنجاز الكشوف والاختراعات والنظريات العلمية ،لأن زمنها وبيئتها لم تكن بعد مهيأة لهذه المعانى ، ولأن مثل هذه المنجزات تتم بجهد الإنسان وكده وراء المعرفة ولا يمطرها الله على أحبابه من السماء . ثم أن لها منهجا يعتمد على الملاحظة والمشاهدة الحية والتجربة المخبرية ولا يحكم فيها إلا العقل الإنسانى وحده ولا محل فيها لغير الإنسان والتذاكر وباستذكار سالف العصر والآوان بعلماء كانوا فخر زمانهم فى العصر الذهبى للإمبراطورية الإسلامية لا يصنع شيئا فى أى شئ ، ناهيك عن كون المنتج العلمى لهؤلاء لا علاقة له بدين الإسلام بل لمكان المسلمين فى الشرق حينذاك ، ونماذج علوم ومنجزات حضارات البلاد المفتوحة داخل الإمبراطورية الإسلامية ،فأثمرت علوما ليس من العلم أن نصفها بأنها كانت علوما إسلامية فليس للعلم دين ولا وطن .. كانت علوما فقط.

وقبل زغلول كان أصحاب لعبة العلم والإيمان قد أرسوا فى عقول شبابنا خلطا عظيما بين مفهوم القدرة الإلهية وبين القدرات السحرية ، بمحاولاتهم تفسير كسر قوانين الطبيعة بالمعجزات فى مأثورنا على ضوء ما انتهت إليه النظريات العلمية ، وهو ما كان كفيلا بإسكات صوت العقل ،لأن قدرة الله تتجلى فى ثبات قوانين الطبيعة وليس فى كسرها ، ولأن من يزعم خرق هذا الثبات هو العقل السحرى السابق للعقل الدينى زمنا وكيفا وفهما . وهو ما يعنى أننا انتكسنا إلى مراحل ما قبل ظهور الأديان . ولم يعد هناك فرق بين مشايخنا وعلمائنا وبين عوام الناس الذين كانوا يخرجون عند تأخر فيضان النيل خارج أبواب قلعة محمد على ، يتلون صحيح البخارى ويختمونه احتسابا لتأثير الكلام فى قوانين الطبيعة ،وما زلنا نتصور أن مجرد الكلام لابد أن يؤثر حتى فى كبرى قضايانا السياسية مع العالم . بينما الإسلام يعد أبرز الأديان التى حاربت السحر والسحرة ، ولا يرى أفاضلنا هؤلاء أى تناقض بين الموقف الإسلامى وبين ما يفعلون ، ولا يلتفتون إلى أن علوم الصواريخ والأجنة والهندسة الوراثية هى منجزات متراكمة لجهود إنسانية من كل ملة وموطن ، ولم يعرفوها من القرآن ، ولم يعلموا بوجودها خبيئة طى ألفاظ تحتاج من يؤملها ويسقط عليها ممكناته المعرفية التى تعلمها من زمنه ، فهى فى النهاية ممكنات

المفسر وزمنه وليست أبعد من ذلك.

ولا شك أن إخيولتنا التى تركبنا وتصور لنا أننا قد حققنا فى ماضينا كل ما حققته البشرية من تقدم هائل كما ونوعا فى حاضرها ، تعمل على تخليق مستمر للعامل القديم الجديد فى تخلفنا ، بالركون إلى وهمنا فلا نرى ما نحن فيه حاضرا ولا ماضيا ، وهو ما يؤدى إلى عدم بذل أى محاولة للانتفاع بما لدى المتقدمين من فلسفات ونظر ومناهج أدت إلى تقدمهم ، وظلت اجتهاداتنا محصورة فى كيفية الحفاظ على ما نحن فيه حرصا على أصالتنا ، وهو حاضر موحش أصبح رميما منذ أزمان . وآخر إنجازات شبابنا المهاجر الذى عاش ثقافة البلدان الحرة، هو ما يسمونه بالاعجاز الرقمى (الديجيتال) للقرآن فى الكمبيوتر ، ذلك الجهاز الذى لم يساهم فيه عباقرتنا بأى شئ بدءاً من التيار الكهربائى (الذى سيدخل صاحبه جهنم لأن اسمه إديسون وليس أحمد أو على) وانتهاء بالتصنيع والبرمجة . لكن نصيبنا فيه أو قل مصيبتنا هى اجتراح المعجزات السحرية من خلاله ، بينما اخترعه أصحابه لتسهيل تخزين وتسريع المعلومة وسيولتها وتحليلها وتركيبها وتصنيفها ..إلخ. ومن الأمثلة الفواضح لهؤلاء الأفذاذ ما نشرته صحيفة العالم اليوم فى يناير ٢٠٠٢ ،وكيف أمكن لعلمائنا أخيرا إعلان العالم بمكتشفاتهم باستخدام كمبيوتر علاء الدين السحرى ، ومعرفة أن الآية (١١٠) فى سورة التوبة وترتيبها (٩) بين سور القرآن ، قد تنبأت بتحريق الأمريكان داخل الأبراج جزاء وفاقا لما قدمت أيديهم . ويحيطوننا علما نافعا مفاده أن عدد كلمات سورة التوبة (بعد إسقاط أحرف الجر والعطف والذى منه حسب المطلوب) هو (٢٠٠١) كلمة بالتحديد المبين ، ولو رتبنا الأرقام لنطقت بالمعجزة وهى(٩/١١ /٢٠٠١) يوم ضرب أشاوسنا مركز التجارة العالمى بنيويورك .والآية المقصودة تقول : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عزيز حكيم» .وفى أسباب النزول نعلم أنها قيلت فى شأن بعض الصحابة الذين بنوا مسجداً بغير رضا النبى فأسماه مسجد ضرار وأمر أصحابه بهدمه وتحريقه فوق رؤوس المجتمعين فيه، ولأن الأمريكان مثل أصحاب مسجد ضرار (لا تعرف كيف؟) فقد استحقوا الموت حرقا داخل بنيانهم كأصحابهم الذين بنوا مسجد ضرار . ويبدو أن جهابذة بحور علمنا الديجيتال لم يعلموا أن الترقيم الذى اعتمدوه للآيات وترتيب السور لا

علاقة له بالشأن الإلهى ولا بصلب الآيات ولا تاريخيتها ، لأن عملية الجمع والترقيم والتبويب والترتيب كانت كلها بشرية من الألف إلى الياء . اللهم إلا إذ نسبنا المعجزة إلى اللجنة التى شكلها الخليفة عثمان برئاسة زيد بن ثابت لتدوين القرآن وترتيبه فى مجمع واحد ومدد يا زيد(!!). ..الأهم فى تلك الأمثلة هو إقرارنا بالعجز عن الفعل الإنسانى المبدع المنتج ..فقط حضراتهم يقومون بتأكيد صدق مقدسنا ، مما يعنى شكهم العميق والمسبق فى هذا الصدق ، وإلا ما بذلوا وراءه جهداً بلا طائل سوى التباهى بما لم ننجز وما لم نبدع . هو إقرار فصيح بعجزنا عن استخدام العقل فى إنجاز مبدع خلاق ، لأن المبتدعات فى بلادنا أول المكروهات ، ولأنه لا مجال لعلم لم يعلمه ربنا وكفانا بذلك احتسابا.

وهكذا نروح ونجئ لتأكيد أنه لا جديد خارج ما علمه ربنا وأسلافنا من الأصحاب والشراح والفقهاء من موتى التاريخ ، غير مدركين أن إنجاز المجتمعات القديمة لابد أن يكون متخلفا بالضرورة عما أنجزته عجلة التطور فى المجتمعات الحديثة ، وأن من يقول بغير ذلك هو معتوه كبير . وغير عابئين بأوضاع التاريخ وشروط سيره وتعاقب أطواره ، ولا مكترثين بالتمييز بين الصور البسيطة للأفكار التى أنتجها الأسلاف وتمت صياغتها فى عموميات وبين الصور المعاصرة المعقدة والمركبة من متراكمات وتفاصيل تند عن الحصر فى جمل مأثورة ، ولاقادرين على التمييز بين النصائح الدينية الأخلاقية المرسلة التى لمَ تجد طريقها إلى إصلاح الواقع فى زمانها وبين الصيغ القانونية الحديثة التى تناسب تعقيدات مجتمعنا الحديث.

وهكذا تعززت نظرتنا للغرب المتقدم بكراهية أصيلة فينا له منذ الاستعمار التقليدى حتى الآن ، وزكاها الخطاب القومى للعسكر المحلى عند استيلائه على السلطة فى بلادنا ،حتى أمست كراهية أمريكا على وجه الخصوص هى مقياس وطنية المواطن ، وهى كراهية يفخر عناترنا بإعلانها بسفور مدهش ، فهذا صحفى يدعى (زياد أبو غنيمة) يعقب على ضرب أمريكا فى قناة الجزيرة بقوله :«إننا نكره أمريكا ونكره أصدقاء أمريكا .. ونعمل على محاربة أمريكا ، وهذا أمر لا نستحى منه ولا نخجل منه / فى ١١ /١٢/ » ولا نفهم سر اختيار أبو غنيمة أكبر قوة فى العالم ليعلن الحرب عليها .. ولا تعقيب!!.

إن ما يجب أن نلتفت إليه ونحن فى نشوة الكراهية التفريق بين هذه الكراهية وبين مناهجهم فى التفوق ، رغم أنى لا أظن شعبا لديه المبرر لكراهية أمريكا أكثر من الشعب اليابانى الوحيد فى العالم الذى تعرضت مدنه لتجربة الإبادة النووية على يد الأمريكان . ومع ذلك فإن الشعب اليابانى تبنى المنظومة الفكرية للغرب المنتصر ، لإدراكه أنها كانت عامل انتصاره ، ولا أحد يمارى فى أن أهل اليابان قد فازوا بها فوزا عظيما ، وفزنا نحن فقط بالكراهية إضافة إلى أصالتنا .التخلف .

ويختصر الكاتب الإسلامى الأستاذ (غازى القصيبى) موقفنا من الغرب فى قوله :« بوسعنا أن نبغض الحياة الغربية أو نحبها، لكن ليس بوسعنا أن نزعم أننا نستطيع العيش بدون منجزاتها ..فإما أن نتابعهم أو نبقى متخلفين عن ركب المدنية . وقد علمتنا حرب حزيران ١٩٦٧ أن ثمن التخلف قد يكون كرامتنا وآراضينا واستقلالنا السياسى / من هنا وهناك ص(٢٣)».

ونظراً لما يسره المنتج التكنولوجى الغربى وإبداعاته من راحة ورفاة وعلاج وسعادة لبنى الإنسان ، فقد قبلنا منتجه التقنى فى كل مناحى حياتنا ، لكننا رفضنا الأهم، منهجه الذى أدى به إلى هذا الإنتاج والإبداع الهائل والرفيع حرصا على تخلفنا أن تصيبه جرثومة الغير بالتلوث . ورفضنا الأساس التحتى لحضارته المتمثلة فى حريات مدنية فردانية كاملة ، كانت هى ما أفرز تفوقه لا لشيئ إلا أن مبادئ الحريات عنده لا تصلح فى بلادنا على إطلاقها .فماذا –مثلا– سنفعل بمساواة الجنسين فى الحقوق ؟ وكيف سنسمح بحرية الاعتقاد مع مبدأ قتل المرتد؟ أو كيف سنسمح بحرية النقد أن تطال ما نظنه ثوابت غير قابلة حتى للفحص ؟ .. وإن حدثتهم عن ثقافة الغرب المتقدم كمطلب للتقدم أجابوك بأنه الغزو الثقافى ، فثقافة التقدم مرفوضة لأنها تمارس علينا عمليات غزو.. أن تصبح المعرفة محايدة يمكن أخذها والاستفادة منها دون أن ندفع فيها المليارات .. هذا غزو (؟!!) .. ولا يلتفت الصناديد الواقفون لمواجهة هذا الغزو صفا مرصوصا للحفاظ علينا حفرية حية لكائنات إنقرض مثلها .. لا يلتفتون إلى كون موقفهم هو اعتراف للثقافة المرفوضة بأنها الأقوى ، رغم كل التطبيل والتزميرلثقافتنا الفريدة فى العالمين . وأحيانا لا يفهمنا البعض لإصرارنا على ثقافة لا تستطيع مواجهة الجديد بقواها الذاتية ولا أن

تفرض ذاتها على ثقافة الآخرين وتغزوهم كما يغزونا (إذ جاز استخدام هذا المصطلح الأبله)؟.

ولأننا على يقين من وهننا الثقافى أمام الثقافات العصرية فى الغرب ، نضع للثقافات الأخرى مناطق حظر استيراد جمركية نفتش فيها العقول عن أى مهربات ثقافية ونحاكمها ونديننها.. والحل لدينا لما آل إليه حالنا هو الانتظار ، لأننا سنسود الدنيا بالتأكيد بحسباننا خير أمة أخرجت لناس ، ليس بعملنا وإنجازنا ولكن لأن الغرب المتقدم سينهار (أنظر غاية أمانى الكراهية لدينا .. أن ينهار المتقدم؟!) وسوف ينهار فى فلسفة فلاسفتنا بسبب تخمته المادية ، فهذا الدكتور عماد الدين خليل أستاذ التاريخ بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة دبى يحيطنا علما نافعا يقول: «إن الحضارة الغربية بتجاوزها للقيم ذات العمق الروحى الوجدانى الإنسانى الخلقى الدينى ..ستؤول إلى نوع من التفكك والعجز والشلل /الجزيرة فى ٢٠٠١/١٢/١٦» ومن ثم تعقب الدكتورة الجامعية(؟!) نوره السعد على ما قام به تنظيم القاعدة فى أمريكا بقولها :«إن الإسلام هو الوحدانية التى يحتاجها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التى لابد لو استمرت أن تنتهى بالإنسان إلى ضياع .وكان لابد من هذه المواجهة ..الآن بدأت الصحوة الحقيقية /الجزيرة/ فى ٣ /١٢/ ٢٠٠١ » . وهو الوهم المريض الذى تكذبه كل الظواهر الحادثة والتى تشير إلى أن كل من يتعامى عنها هو بلا شك يعانى من خلل عقلى ولأنهم كمن يرفض الاعتراف بشروق الشمس لأنها لم تشرق من قريته .

باختصار اخترنا التخلف حرصا على الموروث وعلى الأخلاق الحميدة وعلى الشرف الذى لابد كى يسلم من الأذى أن يراق على جوانبه الدم، فهم يعلنون توجسهم من أساليب الحضارة الحديثة لأنها حضارة مادية شريرة، هى انحراف وضلال وفجور، مع تفاؤلهم الشرير الذى يتمنى أن تقتلها حضارتها المادية وعطشها الروحى حتى يعلو الإسلام دون تعب أو مشقة أو علم ولا هم يحزنون ، ويظل التمنى مجرد نبوءة كاذبة لأن حضارة الغرب تملك كل عناصر الاستقرار والقوة وأهمها ذلك الذى لا نفهمه : قدرتها على نقد نفسها باستمرار .وفى سياق أحاديثنا عن الشرف والأخلاق نتغافل عن المستور فى سلوكياتنا غير العلنية وأننا أكثر مادية من أهل الغرب وأوغل فى الحسية. وأننا ننفق الأموال فى

أدنى ألوان المتع المادية واللذات الجسدية منذ فجر إمبراطوريتنا تحت مظلة الشرعية الدينية العلنية وتغص به مأثوراتنا التاريخية.

ويبدو أن تشديدنا على الفارق الأخلاقى يعود إلى عدم امتلاكنا ما نتميز به من فعل أفضل أو إنتاج أو علم ، لذلك نلجأ إلى العامل الوحيد المحايد الرجراج الذى لا يمكن تحديد مقاييسه وضبطها لأنه معيارى قيمى تتوقف مقاييسه على وجهة نظر كل مجتمع حسب ظروفه وثقافته ودرجة تطوره أو اختلافه عن المجتمعات الأخرى . ولو راجعنا الأمر على أصوله لوجدنا الرقى الخلقى والمسئولية عن الفعل وهى الجانب الأهم فى فلسفة الأخلاق والتى تبنى على الاختيار الحر، تترافق مع التقدم لا مع التخلف والتقييد والتحريم والمنع ، وهو ما يعنى تفوق المتفوقين حتى فيما نريد سلبه منهم تميزاً وترفعا . خاصة وأن الدنيا تعرفنا بخصائصنا التاريخية وعلاقتنا بالمال والسلطة والجنس، هذه الشهوات الثلاث التى حارب المسلمون بعضهم بسببها عبر التاريخ . وعن الهاجس الجنسى وهو الكامن وراء كل نقد للغرب ، فحدث عنه فى بلادنا وتاريخينا ولا حرج ،فقد أباحت الشريعة لذكورنا مساحات اللذة على مصراعيها ،من بعد الزوجات الأربع ملك اليمين والتسرى والاستمتاع بأى عدد ، وأقمنا من قبل امبراطورية للمال والجوارى،وسخرنا المساحة الروحية التى نزعمها لتحقيق شهواتنا الدنيوية وإكسابها الرضى القدسى . هذا ناهيك عن كون المبادئ الأخلاقية المطلقة غير موجودة بالمطلق لا عندنا ولا عند غيرنا إلا فى السجلات النظرية ، وأن هذه السجلات لم تضع لها القواعد إلا لأن البشر يخالفونها ، وكل ابن آدم خطاء.

وإضافة للعامل الأخلاقى كأساس لنبوءة دمار المتفوقين حتى يتخلفوا مثلنا ، يتحدث مفكرونا عن أسباب أخرى ليقينهم ، فالدكتور خليل المشار إليه آنفا ، يشرح لنا هذه العوامل والأسباب بما لديه من أثقال علم على كاهله يحملها أسفارا فيقول:« هذا حدسى يبنى النتائج على أسابها ومقدماتها فى الفعل التاريخى ..فهل شهد التاريخ البشرى نظاما يقوم على القطبية الأحادية؟ .وفى المنظور القرآنى عندنا: ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » فحدس الرجل ينبنى على أن التاريخ لم يشهد العالم محكوما بقوة كبرى واحدة (وهو أستاذ التاريخ؟!) ، ومع هذا فإن مؤرخنا أسكت الله له حسا يصبح مع

القطبية الأحادية الواحدة المسيطرة على العالم إذا كانت إسلامية لأسباب وهمية لفظية طقسية نرجسية سحرية تنضح فى قوله المتسائل: «إلى متى تظل العقول الوضيئة(؟!!!) والأيدى المتوضئة والحضارة الظاهرة النبيلة التى تليق بإنسانية الإنسان ..منسحبة من العالم؟ ..إننا الأمة الوحيدة التى تحمل القدرة على إعادة التوازن لعالم أنحرف به المسار ومال بثقلة وبعينه العوراء الواحدة ،كالمسيخ الدجال باتجاه كل ما هو مادى فى هذه الحياة.. ورغم أننا أمة مهزومة لا تملك حضارة ولا حتى كيانا سياسيا يؤهلها لأن تقف فى مواجهة الآخر بخطاب أشد قوة وأكثر إحكاما ، فإن فى هذا الدين من القدرة ما يجعله يخترق كل التحديات .لأن كل المذاهب والنظريات والأديان المحرفة وصلت إلى طريق مسدود .. لذلك سيكون المستقبل لهذا الدين بالتأكيد ..بقوة هذه العقيدة وقدرتها على الإقناع وقدرتها على اختراق عقل الآخر بغض النظر عن مستواه الحضارى» ..مؤرخنا مشغول ليس بالإنسان لكن بالدين الذى له رب يرعاه، كذلك عامة المثقفين فى بلادنا ، أما السبب الأهم لسيادة الإسلام المقبلة فهو ما أورده القمنى زياد أبو غنيمه وهو يقول «وتندخر آيات القرآن الكريم بالعديد من الآيات التى تطمئننا بل تبشرنا بأن المستقبل للإسلام مهما كثر أعداؤه».

ويرى حامل الأسفار من جانبه أن الإسلام عندما يسود بعد انهيار الغرب لن يقبل الشراكة فى حكم العالم من أى قطب ثان، ناقضا بذلك استنتاجاته ونظريته فى عدم سلامة عالم يقوم على القطبية الأحادية ، فيقول دون أن يشعر بأى صدع مخى عمن يطلبون إسلاما مشاركا قويا وسط القوى العالمية : فى تحليلات هؤلاء يدخل الإسلام مشاركا فى المصير .. ليس مزيحا للآخرين ولا محتكراً .. هذا منظور الغربيين ، أما منظورنا نحن الذين نتعامل مع النبض القرآنى فإن العقيدة الأعلى الأقوى الأكثر مصداقية هى التى ستحكم فى نهاية الأمر» .أما لماذا نحن بوجه خاص دون البشرية المؤهلون لسيادة العالم وقيادته فى قطبية واحدة ، فهو ما يفسره لنا الدكتور أحمد التويجرى صاحب المناصب فى السعودية العربية بقوله: لأن «هذه الأمة أقل الأمم تطرفا وأكثر الأمم تأصيلا للاعتدال والوسطية.. ولا يمكن أن توضع فى مصاف الآخرين / الجزيرة فى ٢٠٠١/١٢/٣» ،وهو ما يعنى ببساطة أننا كالرجل الأبيض عنصرى النزعات

الذى يعتبر لون جلده مبرراً كافيا وشرعيا لسيادته وتفوقه .

بهذا ، ولهذا ، فضلنا أن نظل عالة على من نكره ، وأن نكون فى حال تبعية له ، ننتظر دوما سبقه الكشفى والإبداعى لنستفيد منه بعده، بدلا من أن نقف مع الدنيا عند مستوى المنجزات على قدم وساق ، بتبريرات من رجال الدين فى بلادنا هى الأكثر إدهاشا ، إذ غير مطلوب من المسلمين بذل الجهد والعنت والمشقة وسهر الليالى طلبا للعلى ،وغير مطلوب منا إثارة مشاكل لا داعى لها حول الحريات والديمقراطيات اللازمة لفرز مناخ علمى ، لأن ربنا قد أعفانا من هذا وسخر لنا أهل الغرب كما سخر لنا بهيمة الأنعام من البغال والحمير لنركبها وزينة ، هم يكدون ويخترعون ونحن نستهلك على الجاهز ، بعد أن منحنا الله المال بلا مشقة متفجراً تحت أقدامنا فى شكل حيض جيولوجى اسمه النفط ، حتى لانكد أو نتعب فنحن أحباب الله المدللين ، هذا موجز ما قال المرحوم الشعراوى يوما فى حلقاته التلفازية ، رحم الله الشعراوى وتجاوز عن سيئاته.

هذا بينما وقف المرحوم الصادق النيهوم يصرخ فى البيداء يقول:« إن العرب فى لغتهم الشرعية لا يعترفون بقدسية الوطن، ولا يموتون طائعين فى سبيله ، بل يموتون فى سبيل الله ، وهى فكرة مختلة جدا ، لأنها قد تعنى أن يرفع المواطن سلاحه باسم الشرع فى وجه ما يدعى بوطنه المقدس .وكلمة دولة تعنى أن تكون للدولة حدود وتكون لها هوية ونشيد قومى وعلم مرفوع فوق سارية .. ما عدا الدول العربية التى ترتفع فيها أصوات المؤذنين معلنة ولاءها لدولة خفية لا تعترف بحدود أو نشيد قومى أو قيادة» ..رحم الله النيهوم وأكثر من أمثاله.

هذه فقط بداية الكلام .. وتبقى التفاصيل ..سنقولها إن ظل مسموحا لنا بالقول ، أو إلى حين إخراس الصوت ، أو إلى أقرب الأجلين.

نصــوص مختــارة

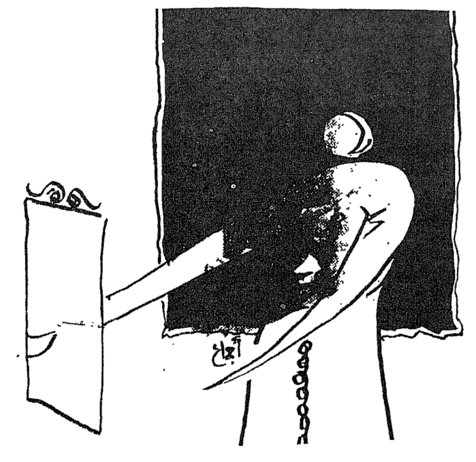
اخترنا لك - أيها القارئ الصديق - فى الصفحات القادمة بعض المقالات التى نشرتها « أدب ونقد» على مدى المائتى عدد التى صدرت منذ نشأتها فى ١٩٨٤ . والحق إن هذه النخبة المميزة من المقالات ليست بالضرورة أهم مانشرته « أدب ونقد» طوال هذه المسيرة ، وليست بالضرورة الأجمل.

إن هى إلا « عينة » - ليست عشوائية - دالة ، بتنوع كتابها وموضوعاتها، على المساحة العريضة التى تحركت عليها « أدب ونقد» ، وعلى القضايا التى دافعت عنها ، وعلى الأفق الواسع الذى حلقت فيه .

هى إذن اختيارات تمثيلية ، لإنعاش الذاكرة - ذاكرتنا وذاكرة القراء - وإنعاش الأمل . والتحية فى هذا الاختيار ليست موجهة لكاتبى هذه المقالات فقط ، بل أصلاً إلى كل من سطر سطراً فى « أدب ونقد» وجعل منها تجسيداً لطموحنا فى أن تكون « مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية » بحق .

« أدب ونقد»

دراسة



الثقافة والثورة

مهدى عامل

(١)

سيدا فى ملكوت الكلام، عاليا متعاليا ، بالتأمل يحيا ،وللتأمل هكذا كان الفكر ، على امتداد قرون خلت ، فى انفصام مع الواقع ، له الثبات فى المطلق ، وللتاريخ المادى التغير والحركة . كان يحلو له ، بين حين وحين ، أن يطل من علياء تجريده على الواقع ، فيدينه تارة، وغالبا يعذره . لكنه من خارج كان يحكم ، وما كان يقوى عليه . كان ، حين يتوق

إلى واقع آخر ، أو أفضل ، يحلم ، أو يتخيل ، أعنى يتأول . وما كان يرتبط بقوى التغيير الثورى حين كان يطمح إليه . وما كان يدرك شروط هذا التغير وأدواته . لذا ، كان يجنح نحو الطوباوية ، فى أشكال شتى ، فيقدم للواقع ذريعة بقاء وحجة تأبد.

(٢)

أى موقع كان يمكن أن يكون للمثقف فى مثل هذا الانفصام المتجدد بين الفكر الواقع ؟ موقع المنبوذ ، أو موقع خادم السلطان ، سواء أكان شاعرا أم فقيها ، حكيما ، فيلسوفا ، أم أديبا . وما كان الفكر ،فى الموقعين ، بقادر على أن يغير . كان يرفض ، أحيانا ، أو يبرر . يهجو أو يمدح ، وفى الحالتين يرتزق . أو يتصعلك ، إن خرج على السائد ونظامه ، كأنه محكوم بموت يتأجل . يحتج على الشرع ويثور ، لكن من موقع العاجز عن نقص الشرع . فيتصوف . يستبدل الأرض بالسماء ، ويزهد . أو يستكين للدنيا وللآخرة، فيعقلن الاثنتين فى نظام من الاستبداد ، لسلطته يرضخ.

والسلطة ، بالدين ، تبدو مطلقة . وهى المقدسة ، فى الغيب وبالغيب هى السلطة ، فوق الرفض وفوق النقض ، سيفها على الرقاب مصلت ، والرقاب خاضعة ، راضية، فمن تمرد ، فعلى سلطة الدين يتمرد . إذاك يحل دمه ، حتى لو كان الحلاج، أو السهر وردى . أما ابن تيمية ، أو الغزالى ، أو من شابههما ، فعلى التمرد والمتمردين ، فى كل عصر ، يشهران سلاح الدين ، سلاح السلطة ، فيكبلان العقل ، يرهبان الروح ، ويئدان الجسد.

(٣)

لم يكن للمثقف ، فى عالم كهذا ، سوى أن يختار بين الاستتباع أو الموت ، بين أن ينطق بلغة الاستبداد ونظامه ، أو أن ينطق بلغة الصمت . أعنى بلغة المكبوت ورموزه ، هكذا كانت الثقافة تجرى فى صراع بين اثنتين : واحدة هى ثقافة الأسياد ، بتياراتها المختلفة المتباينة ، وأخرى هى ثقافة المقهورين ، بأنواعها المتعددة . لم تكن الثقافة يوما واحدة ، وليس من الجائز حصرها فى ثقافة رسمية ، أو مسيطرة ، أو معلنة . كانت ثقافة مناهضة لهذه ، مكبوتة ، مستترة ، لعلها أكثر شيوعا من الأولى ، وأصدق تعبيرا

عن ضمير الناس وطموحاتهم . كانت مثلا، فى حكايات ألف ليلة وليلة أو فى مسرحيات خيال الظل ، أو فى سير الأبطال الشعبية . وهى ، بالتأكيد، أكثر تمردا على الواقع القائم وأشد رفضا له . لكنها عاجزة كانت عن تغيير العالم ، فيما هى كانت تطمح إليه.

ليس بالحلم تكون الثورة ، وإن كان الحلم شرطا من شروطها . ومن شروط الثورة أن يتوافر لها وعى متسق ، إليه تستند ، وبه تستبق الممكن . أعنى الضرورى . ومن شروطها أن يتجسد وعيها المتسق هذا ، أى العلمى ، فى وعى القائمين بها، جماهير الكادحين ، المنتجين بأيديهم وأدمغتهم ، صانعى التاريخ ، بوعيهم الممارسى يستحيل الوعى النظرى قوة مادية تدك أعمدة القائم ، وتهئ لولادة الجديد.

لم يكن للثقافة ، فى زمن انفصام الفكر عن الواقع ، دور فى تغير العالم ، إلا ما لا يكاد يذكر . كانت ، كلما حاولت القيام بهذا الدور ، تقمع وتهان ، باسم الدين غالبا وبتهمة الكفر أو الزندقة ، وبتهمة التحريف أو الهرطقة .فالثقافى ، حتى فى ثقافة الأسياد ، يرتد عليهم وعليها ، فهو المبتدع فى فعل الحرية ، يتهدد ويزعزع . إنها القاعدة فى كل العصور : كلما انحازات الثقافة إلى الجديد ضد القديم ، إلى المتغير ضد الثابت ، إلى النار ضد الرماد ، وإلى الحياة والحلم ، اضطهدت واضطهد المثقفون ، أحباء الحرية والآفاق الزرقاء الرحبة . إنها البداهة فى ضرورة أن يكون المثقف ثائرا ، أو لا يكون ، وفى ضرورة أن تكون الثقافة للفرح الكونى ، ضد كل ظلامية ، أو لا تكون.

تلك مشكلة المثقف والثقافة بامتياز .وهى قضية الثورة فى آن.

(٥)

ثم التحمت ، لأول مرة فى تاريخ الفكر ، نظرية الثورة بحركة الثورة، فالتأم الفكر ، فى نشاطه المعرفى نفسه ، بقوى التغيير ، فلم تعد الثورة تفتقد فكرها ، ولم يعد الفكر سجين تأملاته ،لقد بات الممكن قابلا للتحقيق ، فهو الضرورى فى حركة التاريخ المادى ، لا يتحقق الا بنضال ثورى . والنضال وعد الكادحين بأن أنظمة الرجعية والاستبداد إلى زوال . وللنضال شروط وأشكال وأدوات . ومن شروطه أن يهتدى بعلم الثورة ، أعنى بتلك النظرية التى أسسها ماركس ، وأقامت ثورات الشعوب المضطهدة على صحتها

البرهان ، بالملموس التاريخى . ومن أشكاله ما تمارسه قوى المقاومة الوطنية في كفاحها ضد الاحتلال ، وضد الفاشية والطائفية . ومن أدواته الأولى الحزب الثورى . حزب العمال والفلاحين والمثقفين.

منذ أن التحمت النظرية بالثورة ، لم تعد الثقافة حكرا على نخبة من الكهنة .، فلقد عمت ضرورتها حتى بات على العامل ، كى يكون عاملا ، أن يكون بأدوات انتاجه المادى مثقفا .. وعلى المثقف ، كى يكون كذلك، أن يكون بأدوات إنتاجه الفكرى كادحا . والانتاجان واحد فى سيرورة التاريخ الثورى ، هذا الذى يؤسس لحرية اليد المبدعة . ليست الثقافة كتابة ، وإن كانت الكتابة من أركانها . إنها تملك العالم فى عملية من التحويل تروض العناصر «تفتح الأفق » وتبتدع الجديد . والثقافة انتاج للعالم فى حلم ، أو حقل أو مصنع . أما المثقفون ، فهم المنتجون . بأيديهم وادمغتهم ، ضد أنظمة القمع والاستغلال والجهالة ، فكرا ، فنا وجمالا هو حب للحياة ، وأما غير المنتجين ، القابعون فى قبحهم ، فهم الأسياد بانظمتهم . وأما هدم الأنظمة ، فهو مهمة الثورة فى كل آن.

(٦)

والثورة فى لبنان ما تزال فاعلة فى سيرورة حرب أهلية فجرتها الرجعية لانقاذ نظامها الطائفى وفرض الفاشية . فانقلب عليها ، وعلى نظامها ، ثورة وطنية ديمقراطية تخلخل وتصدع ، لا يخفيها عائق ، فهى التى تخيف ، بها ينهار عالم بكامله ، ويشرئب إلى الولادة آخر . تتفكك نظم من الفكر والاقتصاد والسياسة يصعب عليها الموت بدون عنف ، تتصدى لجديد ينهض فى حشرجة الحاضر، وتقاوم فى أشكال تتجدد بتجدد ضرورة انقراضها ، تنعقد بين عناصرها المتنافرة تحالفات هى فيها على موعد مع الموت.

إذن، فليدخل الفكر المناضل فى صراع يستحث الخطى فى طريق الضرورة الضاحكة . فهو اليانع أبدا ،وهو اليقظ الدائم ، فى الحركة الثورية ، نغرس ويتجذر ، يستبق التجربة بعين النظرية ، ولا يتخاذل حين يفاجأ : يتوثب على المعرفة ويعيد النظر فى ترتيب عناصره ليؤمن للنظرية قدرتها على التشامل ، ورحابة أفق تتسع لكل جديد .

هكذا يكتسب كل نشاط نظرى طابعا نضاليا ، ويتوق كل نشاط ثورى إلى التعقلن فى النظرية ، فتتأكد ، بالتحام النشاطين فى الملموس التاريخى ، ضرورة الفكر العلمى فى أن يكون ثوريا ، وضرورة الحركة الثورية فى أن تكون علمية.

(٧)

والحرب فى لبنان حربان: حرب على إسرائيل ، وحرب على الفاشية والطائفية . لكن الرجعية ، بأطرافها المتعددة ، تستميت فى محاولة إظهارها مظهر الحرب الطائفية . وتفشل دوما فى المحاولة ، برغم كل ما أحاط وما يحيط بهذه الحرب ومن حول الطوائف . وكيف تكون الحرب طائفية حين يكون الموقف من إسرائيل ، مثلا ، محورا للصراع فيها؟ كيف تكون طائفية حين يحتدم فيها الصراع بين القوى الرجعية- الطائفية - وهى من مختلف الطوائف- والقوى الوطنية الديمقراطية -وهى أيضا من طوائف متعددة- حول الموقف من هوية لبنان، أو من الثورة الفلسطينية ، أو من الامبريالية ، أو من الاحتلال الإسرائيلى ، أو من قوات الحلف الأطلسى ، أو من اتفاق ١٧ آيار، أو الاتفاق الثلاثى نفسه ، ومن «الاقتصاد الحر» أيضا ، بل حتى من الطائفية أياها ، بما هى النظام السياسى لسيطرة البرجوازية اللبنانية؟.

ليست الحرب طائفية ، ولا الصراع فيها بطائفى . إنه ، فى أساسه صراع بين قوى التغيير الثورى للنظام السياسى الطائفى ، والقوى الفاشية الطائفية التى تحاول ، عبثا ، تأبيد هذا النظام ، إنه باختصار ، صراع طبقى عنيف بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة ، فى سيرورة حرب أهلية هى فى لبنان سيرورة الثورة الوطنية الديمقراطية . فله إذن ، سمة العصر فى زمن الانتقال الثورى من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، وله تاليا ، طابع كونى هو طابع الصراع إياه المحتدم ، ليس بين معسكر الاشتراكية ومعسكر الإمبريالية ، أفقيا وحسب ، بل رأسيا أيضا ، أو عموديا ، فى كل من بلدان المنظومة الرأسمالية العالمية ، بما فيها ، بالطبع ، البلدان العربية . فما هو موقع الثقافة والمثقفين من هذا الصراع ؟ ما هو موقفها وموقفهم منه؟ ما هو دورها ودورهم؟.

والسؤال لا ينحصر فى لبنان ، ما دام الصراع فيه هو إياه ، بطابعه الكونى نفسه ،

فى جميع البلدان العربية ، وإن اختلفت شروطه بين بلد وآخر ، وتنوعت أشكاله ، أو تفاوت تطوره .فالحروب الأهلية تتهدد بلدان العالم العربى جميعها بلا استثناء ، وآلية الصراع فيها تنبئ بامكان اندلاعها فى كل آن . وأنظمة البرجوازيات العربية فى أزمة .والتغيير الثورى بات ضرورة ملحة فى كل منها . وحاجة يومية فى نضال الجماهير الكادحة . لكن الثورة فى إنتظار قيادتها . والثورة سيرورة طويلة معقدة ، ولها مراحل وأحوال . وعلى الثقافة تطرح سؤالها : أمع الثورة أم ضدها؟ وعلى المثقفين تطرح السؤال : أمع التغيير أم ضده ؟ والسؤال سياسى بامتياز . وثقافى فى آن.

(٨)

لا تعارض بين السياسة والثقافة . وكيف يكون تعارض بين الاثنتين، كيف يصح اختيار الواحدة ضد الأخرى فى منظور التاريخ الثورى ؟ لئن كانت فى البدء الكلمة ، فلقد كانت بدئيا ، مبدعة ، والحرية كانت ، ضد القمع ، تناضل وتثابر فى رفض الظلم، وللحب كانت فى قلب الإنسان تؤسس فى فعل التغيير معناها . وتجود بالجميل يحتج على قبح العالم فى نظم الاستبداد . هكذا تتكون الثقافة دوما ضديا تنمو وتتكامل فى صراع مستمر ضد كل قديم يموت .وفى البدء كانت السياسة ، صراعا مستمرا بين قوى التغيير الثورى وقوى تأبيد الواقع . يخطئ من يظن أن السياسة نظام، حكم ، أو مؤسسات ، أو إنها بالدولة تتحدد . إنها ، فى ذلك ، من موقع نظر البرجوازية وإيديولوجيتها المسيطرة . لكنها ، فى منظور العلم والتاريخ ، صراع طبقى شامل كل حقول الحياة ، لا هامش فيه لرافض بالوهم ، أن يكون له فيه موقع . إنها حركة التاريخ فى مجرى صراع له المتن ، والهامش فقط لمن قد مات ، أو كان ، من موقعه فى الماضى ، رفيق درب الموت . إذن ، لكل ناشط فى الحياة أن يأخذ موقعا وأن يحدد موقفا: أمع الثورة أم ضدها؟ بالكلمة الفاعلة واليد المبدعة . والثورة ليست لفظا أو تجريدا . إنها طمى الأرض لا يعرفها من يخاف على يديه من وحل الأرض.

وكيف تكون الثورة نظيفة، هى التى تخرج من أحشاء الحاضر متسخة به، تهدمه وتغتسل بوعد أن الإنسان جميل حر؟ فلتتوضح كل المواقف ، ولتحدد كل المواقع ، ولتكن

المجابهة فى الضوء . كيف يمكن للثقافة أن يكون لها موقع الهامش فى معركة التغيير الثورى ضد الفاشية والطائفية ؟ كيف يمكن للمثقف أن يستقيل من نضال ينتصر للديمقراطية ، هو أوكسجين الفكر والأدب والفن؟ بوضوح أقول ، فالوضوح هو الحقيقة: من لا ينتصر للديمقراطية ضد الفاشية ، للحرية ضد الارهاب ، للعقل والحب ، والخيال ، وللجمال ضد العدمية وكل ظلامية ، فى لبنان الحرب الأهلية ، وفى كل بلد من عالمنا العربى، وعلى امتداد أرض الإنسان ، من لا ينتصر للثورة فى كل آن ، مثقف مزيف ، وثقافته مخادعة مرائية . إذا تكلم على الثورة ، فى شعره أو نثره ، فعلى الثورة بالمجرد يتكلم! ،من خارج كل زمان ومكان ، لا عليها فى حركة التاريخ الفعلية ، وشروطها الملموسة . وإذ يعلن فى نرجسية حمقاء ، إنه يريدها ، فبيضاء لا تهدم ولا تغير . تبقى القائم بنظامه ، وتحن إليه إذا تزلزل أو احتضر . كثيرون هم الذين فى لبنان يحنون إلى لبنان ما قبل الحرب الأهلية ، ويريدون التغيير لعودة إلى الماضى ويريدونه إيقافا لانهيارات الزمان . أما الاتى ، فمن الغيب ، إلى الغيب . إنه موقف المنهزم ، لا بصراع ، بل بتسليم واستكانة . إنه موقف من يصنع التاريخ بدونه . وله فى التاريخ موقع ترفضه الثقافة ، إذ الثقافة ، فى تعريفها ، مقاومة . فإذا ساوت بين القاتل والقتيل انهزمت فى عدميتها ، فانتصر القاتل ، وكانت ، فى صمتها ، شركيته.

(٩)

أى ثقافة هذه التى تساوى فيها الأضداد ، فيختلط الأسود بالأبيض فى رمادية اللون والمعنى ؟ إنها الثقافة المسيطرة بسيطرة البرجوازية وأيديولوجيتها ، فى أشكال منها قد تتحالف ، لكنها ، فى اللحظات التاريخية الحاسمة ، دوما تتحالف ضد الثقافة الثورية النقيض . هكذا تنعقد بين العدمية وظلامية ، مثلا ، أو بين هذه أو تلك وأشكال من الفكر الدينى تحالفات ترعاها البرجوازية ، بل تتوسلها فى مجابهة الفكر المادى ، محور الثقافة الثورية وقطبها الجاذب . أليس من الطبيعى أن ينعقد التحالف وطيدا فى مجرى هذه الثقافة هذه الثقافة بين جميع المثقفين المناضلين من أجل الحرية والديمقراطية ، الطامحين إلى تغيير العالم وتحريره من سيطرة الرجعية والامبريالية ؟ أليس من

الضروري أن تشابك أيدي الكادحين جميعا -في زمن الثورات العلمية -ضد الجهل تعممه أنظمة البرجوازيات العربية؟.

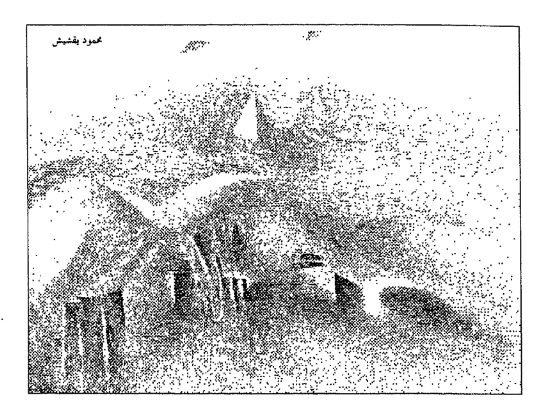
فرحة للثقافة والمثقفين أن تتهاوى أنظمة القمع هذه في كل أرجاء الوطن العربي بنفعل نضال الثوريين يتوحدون ، على اختلاف تياراتهم وانتماءاتهم الفكرية والسياسية ، في حركة ثورية جديدة واحدة ، تعيد إلى العالم نضارته ، وبها التايخ يستوثق . فالثورة ليست حكرا على فكر ، أو حزب ، أو طبقة. إنها سيرورة تتكامل في الاختلاف ، وتغتني بروافد التغيير تصب فيها من كل صوب ، في كل مرحلة . لكنها تتعطل أو تظل زاحفة أو منحرفة ، إن لم يكن للطبقة العاملة فيها موقع هو موقع الطبقة الهيمنية النقيض ، ودور هو دورها التاريخي نفسه ، ليس في قيادة الانتقال إلى الاشتراكية وحسب ، بل في كل مرحلة من سيرورة هذا الانتقال . لا بقرار ، بل بالممارسة الثورية ، وعلى قاعدة نهجها الطبقي الصحيح ، وبقيادة حزبها الشيوعي ، تحتل الطبقة العاملة موقعها ذلك في الحركة الثورية ، وتضطلع بدورها والتاريخ الثوري لا يرحم متخلفا عنه ، ولا يسير بعكس منطقه . فلئن فعل فلأجل ، لا تلبث ، بعده أن تستعيد سيرورته الثورية منطقها . ومنطقها أن تنتكس الثورة ، حتى في طابعها الوطني الديمقراطي ، فتراوح فتنهزم إلى مواقع رجعية ، كلما استأثرت بقيادتها قوى غير هيمنية ، من فئات وسطية تحتل في السلطة موقع السيطرة الطبقية ، همها الأول الا الانتاج الرأسمالية القائمة بارتباطها التبعي بالامبريالية ، وفي اقامة السلطة السياسية الثورية القادرة على انجاز هذه المهمة.

بين منطق الثورة ومنطق هذه القيادة غير الثورية تناقض يشل الحركة الثورية ويضعها في أزمة تنعكس في ممارسات سلطوية قمعية ضد قوى الثورة وجماهيرها ، وبالتحديد ، ضد الطبقة العاملة التي هي بحزبها الطليعي ونهجها الوطني الصحيح ، النقيض الثوري . إن الحل الجذري لذلك التناقض بات يفرض ، بضرورة منطقه ، ضرورة تغيير تلك القيادة الطبقية لسيرورة الثورة الوطنية الديمقراطية، واستنهاض حركة ثورية هي في اتساقها مه مهماتها من نوع جديد ، ولها وحدها القيادة . ومن أولى خصائصها ، أن تسعى فيها الطبقة الهيمنية النقيض إلى أن يكون نهجها الطبقي نفسه

، فى سعيها إلى السلطة ، نهج الحركة بكاملها . لا بالقمع ، بل بالممارسة الديمقراطية الثورية.

لئن كان القمع– أو الفئوية ، فى لغة أخرى ، أو الاستئثار بالسلطة ، أو الانفراد بالقيادة –هو الشكل الطبقى الذى يحكم علاقة القوى غير الهيمنة ، فى وجودها فى موقع الهيمنة، فى وجودها فى موقع الهيمنة الطبقية ، بأطراف التحالف الطبقى الثورى ، وكان ، بالتالى ضروريا بضرورة التناقض فى أن تحتل تلك القوى هذا الموقع ، فإن الديمقراطية ، كناظم للعلاقة بين أطراف التحالف إياه، وحق للجميع فى الاختلاف ، واحترام لهذا الحق وممارسته ، أقول أن الديمقراطية هذه هى ، بالعكس .، الشكل الطبيعى ، أعنى الضرورى ، الذى يحكم علاقة الطبقية الهيمنية النقيض بأطراف التحالف ، فى وجودها فيه فى موقع الهيمنة الطبقية . ذلك أن علاقة الاتساق والتلاؤم بينها وبين موقعها هذا هى ، بالضبط ،الأساس المادى لضرورة الديمقراطية فى علاقة القوى الثورية بعضها ببعض . وهى هى ضمانة تحقق هذه الضرورة.

إن الحزب الشيوعى اللبنانى ، إذ يدعو إلى وحدة القوى الثورية فى حركة ثورية جديدة ، فهو إلى احترام حق الاختلاف وممارسته فى وحدة هذه الحركة يدعو ، وإلى ديمقراطية ثورية هو ، بوجوده حزبا بالكادحين جميعا ، للمنتجين المبدعين ، ضامن وجودها . هكذا كان ، منذ أن كان وتاريخه يشهد ، هكذا للثورة يبقى.



عبد المحسن طه بدر
الابتعاد عن شطحات الوهم

محمود أمين العالم

كنت غائبا عن الوطن حين مات ، ولم يكن لى شرف المشاركة فى توديعه ، فضاعف موته إحساسى بالغياب عن وطنى ، بل إحساسى بغياب وطنى عنى .كأنما غاب عنى بعض الوطن ، لا هذا الوطن وحده ، وإنما الوطن الذى نحلم به ونجهد من أجل تحقيقه.

كان عبد المحسن تجسيدا حيا للوطن الآتى ، فى هذا الوطن الذى نحس غيبته وضياعه وتخلفه ، كان عبد المحسن وطنا للحق، وطنا للصدق ، وطنا للمحبة والخير والفضيلة والتقدم، وطنا للاستقامة والكرامة ، وطنا للحرية وطنا للعقلانية والعلم ، وطنا

للإبداع ، كان بشارة حية متجسدة متجددة للوطن الجديد نحلم ونجهد من أجل تحقيقه.

فارسا كان .. شاكى السلاح أبدا

سلاحه غضب للحق

سلاحه صدق فى الحق

سلاحه صراحة قاطعة فارقة

سلاحه الضمير النقى الشريف فى وجه الأغواء وسلطة العسف والاستغلال ، سلاحه الصرامة فى الحسم المبدئى بلا مساومة أو مواربة أو مداراة.

سلاحه عفة فى النفس وشموخ الفكر وجسارة الإرادة ومحبة الغير والتفانى فى خدمتهم بغير حساب.

لم أعرف قسوة تستبطنها رقة ومحبة مثل قسوته.

لم أعرف غضبا تستنبطه سماحة ومودة مثل غضبه.

لم أعرف شموخا تستنبطه تواضع وبساطة مثل شموخه.

لم أعرف جهامة يستبطنها حنان ودماثه مثل جهامته.

للوطن كان ، لمجتمعه وشعبه ، عماله وفلاحيه وطلابه ومنتجيه ومبدعيه كان ، وللثقافة العربية والإنسانية كان ، للأدب والفن كان، للعلم كان ، لأشرف التقاليد الجامعية كان ،لأسرته كان، لأصدقائه ومحبيه ولقريته كان وسيظل دائما .

وفى وطن ابتذل فيه المشروع الوطنى باسم التبعية ، وابتذلت فيه القومية باسم التمزق والفرقة والاستعانة والاحتماء بالعدو ، وابتذلت فيه الثقافة باسم الاستثمار والترفيه والتسلية ، وابتذلت فيه القيم باسم الربح والمتاجرة والاستهلاك ، وامتهنت فيه كرامة المثقف باسم حفظ النظام، وانتهكت فيه حرية الإنسان وحرية المثقف باسم قوانين الاستقرار.

وفى مثل هذا الوطن عندما يموت رجل فى قدر عبد المحسن طه بدر تصبح الخسارة فادحة خسارة للوطن ، وخسارة للقيم وخسارة للثقافة والعلم وخسارة للمستقبل الذى كان يجاهد ويشارك فى استحضاره المدرس الصغير فى القرية الصغيرة يأتى إلى المدينة الكبيرة فلا يلبث أن يصبح أستاذا فيها، أستاذا لمبادئ ، ولمبادئ أمته العربية

كلها ، وحارسا لقيم الحق والكرامة والحرية والجمال ، للإنسان إينما كان.

لم تكن "مصادفة ولم يكن ترفا أن يختار عبد المحسن الإنسان الأدب مهنة له ، بل رسالة ومهمة ، ففى الأدب وبالأدب يتحقق التعبير عن إنسانية الإنسان ، ويرتفع سلاح النقد ونقد السلاح من أجل تغيير الحياة وتنويرها وتثويرها إلى غير حد.

لقد كان الأدب عنده هو الإنسان ، هو واقع الإنسان تعبيرا ، كاد أن يطابق الأدب الحق بالواقع الإنسانى الحق ، رغم وعيه العميق بخصوصية بلاغة الأدب وتميزها عن بلاغة التعبير عن صدق الواقع تعبيرا أدبياً ، أدرك أن الواقع يختلف بحسب رؤية الإنسان له ، وبهذا تختلف الرؤى الإبداعية والنقدية.

واختار لهذا مصطلح «الرؤية» بالتاء المربوطة لا (الرؤيا) بالألف ، لأن الأول على حد تعبيره يقرب المعنى من الإدراك الواقعى ، على حين أن الثانى يقربنا من الإدراك الوهمى.

وما كان هذا يعنى أبدا أنه يستبعد الخيال من الأدب ، أو يرضى أن يجعل من مجرد وثيقة واقعية اجتماعية أدبا ، وإنما كان يتحدث هنا عن رؤية الواقع ، لا عن أسلوب وأدوات التعبير الجمالى عن هذه الرؤية التى ما كانت تنفصل عنده عن هذه الأدوات نفسها.

لقد كان يحرص على الابتعاد عن شطحات الوهم، حرصه على ساحة الحقيقة بشرط أن يكون التعبير عن هذه الحقيقة تعبيرا أدبيا جماليا ، ولكنه كان يرفض ما أخذ يتكاثف فى أفق الأدب من اغتراب عن الحقيقة والإنسان ، أو هروب عن مسئوليتها باسم تكنوقراطية شكلانية فارغة أو حداثة زائفة فى الإبداع والنقد على السواء.

لقد جعل الأساس ونقطة البداية .. النص الأدبى نفسه، وجعل همه الأكبر البحث عن الرؤية داخل النص ،وعن الأدوات التعبيرية لهذه الرؤية . ولكن لأن الواقع عنده ليس الواقع الضيق المحدود بحدود النص وإنما هو الواقع المتدفق الذى تخلق وتحقق فيه النص ، لقد وضع النص فى سياقه التاريخى والاجتماعى ، وراح يتابع شبكة روافده المختلفة التى تصوغ ملامح النص الظاهرة والخبيئة ، وراح مقارنا بين مختلف أوجه المشابهة فى نصوص أخرى عبر التيار المتدفق للتاريخ الاجتماعى الحى.

ولم تقف به الرحلة البحثية عند حدود الوصف الخارجى أو الداخلى أو المتابعة التاريخية المقارنة ، وإنما ارتفعت به رحلته إلى مستوى المحاكمة والتقييم والنقد.

وفى هذا كله كان صارما فى تحرى الدقة، بحثا عن الحقيقة فى أقل التفاصيل وأكبرها ، صارما فى امتحانها امتحانا عسيرا ، مهما كلفه هذا من جهد ، وكان صارما فى الحكم الأخير الذى يتوصل إليه. وما كان يجامل أحدا أو يتجنى على نص.

قد تغضب أحكامه أقرب الأصدقاء إليه ، وقد تصدم من لا يعرفون جديته وصدقه ، لكنه كان صارما حتى على نفسه.

كان تحليله للنص تحليلا موضوعيا تاريخيا مقارنا ، فضلا عن تقييمه له تقييما من زاوية الواقع الاجتماعى ، وكانت الحقيقة عند عبد المحسن طه بدر سواء التاريخية أو الواقعية أو الأدبية حقيقة علائقية ، متصارعة ، متطورة ، رغم اختلاف طبيعة كل من هذه الحقائق الثلاث ، فكل ظاهرة متشابكة بغيرها ، متأثرة بغيرها مؤثرة فيها ومتجاوزة لها . كان يبصر بالتراث القديم للأدب العربى ، ويتبين جذوره الممتدة ، ولكنه كان يحذر من الجمود عند قيمه، وكان يدرك ينابيع الأدب الشعبى القائم ويرى ضرورة استلهامها ، ولكن .. دون استنساخها ، وكان يتبين واقع التأثر بثقافة العصر والحضارة الغربية عامة، ويرحب به ولكن دون تقليد أو تبعية.

وكان يرى واقع التأثر بهذه الروافد جميعا ضرورة موضوعية ، ولكنها ضرورة مرتبطة وملازمة ، بل مشروطة بروح النقد والإبدا ع والتجاوز. وكان يدرك ضرورة التأثر والتأثير بين هذه الروافد المختلفة من أدب قديم ، وأدب شعبى ، ثقافة غربية، فضلا عن الواقع المعيش ، ولكنه كان يدرك كذلك أن العلاقة بين هذه الروافد هى علاقة صراعية . ولم يكن يرى الواقع الاجتماعى كبيئة مجردة أو ككتلة مصمتة ، بل كان يعى ما فيه من فروق وتمايزات واختلافات وخلافات ومتناقضات اجتماعية وطبقية ومصلحية .كان يعى أنه واقع صراعى متحرك نحو أفق مفتوح على إمكانيات شتى، ولهذا فرؤية الأديب– على حد تعبيره –كلما كانت أكبر عمقا وحساسية وذكاء كلما كانت أقدر على كشف القوى التى تعوق حركة التاريخ –على حد قوله– أقدر على تخيل طبيعة المستقبل الذى يحقق للإنسان إنسانيته» (نجيب محفوظ ص٢٠).

كانت الرؤية الأدبية عنده إذن معرفة بالواقع ، وتبشيرا بتجديده وتجاوزه فى آن واحد، وكان يحرص فضلا عن هذا على إبراز الدلالة الوطنية والدلالة القومية والدلالة الإنسانية العامة فى التعبير الأدبى ، لهذا كان يدعو إلى التعبير عن الشخصية المستقلة فى الأدب عامة، وعن الشخصية المصرية والقومية خاصة، فى ارتباطها الجمالى الصادق بواقعها الموضوعى الخاص . ولهذا كذلك وجدناه فى كتابه (تطور الرواية العربية) يفسر نشأة الرواية وتطورها ببروز وتطور الشخصية القومية العربية فى مواجهة تحدياتها الداخلية والخارجية . ومع عنايته الفائقة فى تحديد الرؤية الخاصة للأديب فى تعبيره الأدبى ، فإنه كان يحرص دائما على محاولة الربط بين هذه الرؤية وأدوات التعبير عنها وذلك بتحليل تفصيلى دقيق لبنية أشخاص الرواية ولترتيب أحداثها ، ولغتها وأساليبها المختلفة ، ومدى ملائمة هذه الأدوات كلها فى التعبير عن تلك الرؤية.

وكان يدرك صعوبة اكتشاف هذه العلاقة الحميمة الغامضة بين شكل العمل الأدبى ومضمونه ، أو بين العناصر المكونة لبنيته الخاصة ، وكان يجتهد لاكتشاف حقيقة هذه العلاقة، أو خصوصية هذه البنية.

ولاشك أن هذا الأمر كان يقتضى امتلاك ناصية المناهج الإجرائية الجديدة التى كان يستفيد من بعض عناصرها ، ويزداد اقترابا منها فى دراساته لتاريخ الرواية العربية عامة والمصرية بوجه خاص ، هذه المناهج التى ألهم تلاميذه مواصلة السعى إلى امتلاكها والاجتهاد فيها .

والحق أن تأريخه لتاريخية الرواية العربية فى تطورها منذ ما يقرب من منتصف القرن التاسع عشر حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، كان تأريخا تحليليا مقارنا ، تقييميا ونقديا ، لا يضيف كتابا إلى كتب سبقته ، بل يقدم كتابا تأسيسيا فى تاريخ الرواية العربية ، لا يتحقق به الوعى الشامل لأول مرة بتاريخ الرواية العربية فحسب، بل يتم به كذلك وعى الإبداع الروائى العربى بنفسه ، وعيا تاريخيا نقديا ، مما أسهم بغير شك فى تطوير هذا الإبداع تطويرا داخليا.

وهكذا كان الأمر بالنسبة لكتابة عن« الروائى والأرض» ، وكتابه عن «نجيب محفوظ» . وإذا كان منهج عبد المحسن يقوم أساسا على رؤية الروائى لواقعه وموقفه منه فإننا إذا

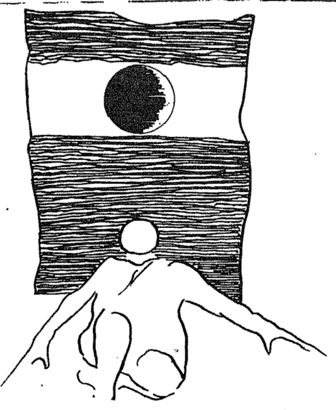
طبقنا هذا المنهج على الرؤية النقدية لعبد المحسن الذى اتخذه هو لتقييم جودة العمل الروائى ، أى حسن التعبير عن حقائق الواقع فى تشابكها التاريخى وصراعها الاجتماعى من أجل تحرر الإنسان مما يعوق تطوره ويحقق إنسانيته.

والواقع أن هذه الرؤية لم تكن رؤية باحث جامعى فى قاعة بحث فحسب ، بل كانت كذلك وأساسا رؤيته كمثقف وطنى قومى تقدمى ، يشارك فى هموم وطنه وأمته بالرأى والموقف العملى كذلك ، لهذا لم يقبع عبد المحسن فى قاعة البحث داخل الجامعة وحدها ، بل كان فى قلب هذه الهموم خارج الجامعة كذلك منخرطا فى مختلف الجهود والنضالات الوطنية والقومية والديمقراطية والاجتماعية والثقافية.

ولهذا كان من الطبيعى أن تدخل هموم مجتمعه ووطنه وأمته معه داخل الجامعة، فى قاعة البحث ، برغم أن قوى الأمن كانت قد أخذت مواقعها داخل الجامعة منذ منتصف الخمسينيات لمنع تسرب هذه الهموم الاجتماعية من جديد داخل الجامعة بعد أن كانت قد طردت بعض المعبرين عنها.

كان عبد المحسن من طليعة هذا الرعيل الشجاع من دارسى الأدب الذى أخذ يجدد الدراسات الأدبية باضافة البعد الواقعى الاجتماعى والمناهج الاجرائية الجديدة فى مجال النقد الأدبى بوجه خاص ، بعد أن كان هذا النقد الأدبى يكاد يكون مقصورا على المناهج التذوقية أو اللغوية أو الوصفية الخارجية المتعالية على الواقع الاجتماعى أو التحليلية النفسية ، أو الرؤية التأريخية ولا أقول التاريخية ، أو النظرة إلى البيئة نظرة متشيئة متوازنة غير صراعية . وفى مواجهة الفساد والابتذال والتعسف واهدار القيم الوطنية والقومية والثقافية الذى أخذ يسود ويستشرى فى المجتمع ويتسلل إلى الجامعة نفسها مع بداية السبعينيات ، يغتال العقول والضمائر ، ويغرى بمناصبه ودولاراته النفطية العديد من المثقفين وقف عبد المحسن الفقير يتصدى ويدافع عن الجامعة ، عن مصر ، عن كل ما حققه تاريخ شعبنا من مبادئ وقيم، وكان امتحانا حاسما لصلابته الأخلاقية وعقلانيته العلمية وانتمائه الوطنى والقومى ، بل ولرؤيته التاريخية الواقعية النقدية نفسها.

وهكذا امتزجت المعرفة عنده بالموقف وامتزج العلم بالمقاومة .. وانتصر عبد المحسن



وكان ثمن انتصاره أن يفصل من الجامعة فى بداية الثمانينات هو وطائفة من الجامعيين الشرفاء الشجعان من أمثاله .. ثم عاد إلى الجامعة .. وعادت الجامعة إليه .. وما يزال عبد المحسن يعود إليها وتعود إليه دائما منذ لحظة انتصاره هذا الانتصار الذى ما يزال حتى اليوم معركة من أجل مواصلته وتثبيته . نعم ما يزال يعود عبد المحسن إلى الجامعة وتعود الجامعة إليه بالكوكبة المتنامية الممتازة الملتزمة الشجاعة من زملائه وتلاميذه ومحبيه داخل الجامعة وخارج الجامعة فى مصر وبقية أقطار وطننا العربى الذين يواصلون طريقه . يعود إلينا عبد المحسن دائما مع كل لحظة تمتزج فيها المعرفة بالموقف ويمتزج فيها العلم بالمقاومة . وسوف يظل معنا عبد المحسن دائما مع مواصلة مسيرة المثقفين ومسيرة الثقافة العربية ، الثقافة القومية العقلانية الديمقراطية من أجل وطن متحرر متقدم وأمة عربية متضامنة موحدة وتنمية عربية استقلالية حضارية شاملة فى مواجهة قوى التخلف والتمزق والتعسف والابتذال والتبعية . تحية الذكرى العطرة المتجددة لعبد المحسن طه بدر ، تحية لأسرته الكريمة ، سلوى وخالد ومنى وتحية للشعب المصرى العظيم الذى أنجبه وتحية لكلية الآداب ولقسم اللغة العربية فى كلية الآداب الذى تعلم وعلم فيه عبد المحسن الذى هو منارة للتجدد الثقافى فى مصر والوطن العربى كله.



محمود بقشيش

الإمام الشافعى
بين البشرية والقداسة

د. نصر حامد أبو زيد

كثير من اللغط الذى أثير حول عقيدة المؤلف ، إلى حد الاتهام بالردة، مستنبط ظاهريا من قراءة هذا الكتاب ، وهذا أمر غريب ومثير يستحق التأمل والتعليق : إلى هذا الحد تكون الدراسة التحليلية النقدية لفكر واحد من الأئمة جارحة للخطاب الدينى ، فيسارع إلى إثارة الشعور الدينى عند العامة ، دون أن يدرك أن هذا المسلك يتعارض مع كل الإطروحات السياسية التى يرفعها هذا الخطاب لحشد الجماهير ؟ مفهوم «الصحوة الإسلامية يفترض تجديدا فى مجال الفكر الدينى يجعله ملائما لحاجات العصر، ويجعله قادرا على الوفاء بتقديم إجابات للتساؤلات الكبرى التى تشغل الإنسان المسلم فى واقعه

من جهة ، وفى علاقة هذا الواقع بالعالم من حوله من جهة أخرى ، ذلك العالم الذى لم يعد جزائر وتجمعات منفصلة ، بل صار فى حكم القرية الصغيرة ، بحكم تطور وسائل الاتصال ونقل المعلومات ، وهل يمكن تجديد الفكر الدينى دون تنازل «تراث» هذا الفكر تناولا تحليليا نقديا ، يتجاوز حدود التناول التقليدى ذى الطابع الاحتفالى الذى يكتفى بترديد الأفكار التراثية بعد أن يقوم باختزالها واختصارها ، فتفقد حيويتها وخصوبتها ،وتصبح أشبه بالمعرفة المجمدة؟.

والتساؤل الثانى الذى يطرح نفسه: هل الأئمة الأربعة والخلفاء الأربعة ومن سواهم من الأئمة والخلفاء إلا بشرا مارسوا حقهم فى الاجتهاد والتفكير ، وتركوا لنا تراثا يستحق منا أن نفكر فيه ونجتهد كما فكروا هم واجتهدوا ؟ أم أن الخطاب الدينى يرفع لواء «الاجتهاد» و«التجديد» بشرط أن يدور المجتهد والمجدد فى إطار اجتهادات وتجديدات بعض كبارهم؟ والسؤال الثانى يتولد عنه سؤال ثالث -جارح هذه المرة -هل الموقف الدفاعى الذى يحتمى به بعض ممثلى الخطاب الدينى ضد تحليل أفكار الشافعى ونقدها هو فى الحقيقة دفاع عن الشافعى الذى أنجز مشروعه الفكرى فى القرن الثانى الهجرى ، وتوفى فى أوائل القرن الثالث ، أم هو فى الحقيقة دفاع عن «التقليد» الذى يحتمى بإسم الإمام الشافعى بكل ما يمثله فى الضمير الإسلامى من قيمة علمية وفكرية؟.

فى طرح هذا السؤال الأخير ينكشف المستور فى بنية الخطاب الدينى ، فهو خطاب يحتمى بالتراث ويحوله إلى ساتر للدفاع عن أفكاره هو ذات الطابع «التقليدى» الذى يميل إلى« إبقاء الوضع على ما هو عليه» وذلك فى تعارض تام مع ادعاءاته السياسية ، وهنا نكتشف أن الدفاع المستميت موجه للطابع النقدى للخطاب الذى يطرحه الكتاب ، خاصة حين يكشف «خطوط» التقليد الخفية الممتدة من القرن الثانى -حتى القرن الخامس عشر الهجرى «النقد بمعناه» العلمى أى المسلح بمنهج تحليل الخطاب هو «العدو» الذى يريد الخطاب الدينى أن يغتاله ، ولكى تسهل له عملية «الاغتيال» تلك ، يقوم بعملية إضفاء قداسة على الموضوع «خطاب الشافعى» تنأى به عن أن يكون موضوعا للدرس التحليلى النقدى، لكن عملية «إضفاء القداسة» هذه يراد بها أن تغطى -فى

الحقيقة– أطروحات ذلك الخطاب الدينى ، وتدارى تقليديته إنهم يتصورون امتلاكهم للإمام الشافعى ولفكره وللتراث بشكل عام ، ويتصورون بناء على ذلك أنه ليس من حق أحد سواهم أن يكتب عن الإمام الشافعى أو عن غيره من الأئمة.

الدليل على ذلك قول محمد بلتاجى– عميد كلية دار العلوم وأستاذ الفقه وأصوله– بين يدى تعليقه على الكتاب :«إن كتب فى صلب تخصصى وهو الفقه وأصوله وهذا ليس تخصصه »(جريدة الشعب ، ١٦ أبريل ١٩٩٣ ، ص٢) .ويؤكد هذا مرة ثانية بقوله : «إن كتب فى تخصصات أصول الفقه (الشريعة) وليس اللغة العربية أو الدراسات الأدبية واللغوية ، وما كتب فيه هو تخصص لجنة الشريعة ، ومن هنا جاء تقريرى هذا» وليس الأمر فى الحقيقة محتاجا لهذا التبرير فمن حق محمد بلتاجى ، ومن حق كل مهتم بالتراث ، أن يعلق على الكتاب وينقده لكن ليس من حق أحد الادعاء باستئثار التخصص ، فضلا عن أن الحديث عن «التخصصات» بوصفها مناطق ملكية خاصة حديث يجافى أبسط مبادئ المعرفة العامة ، وها هو بلتاجى يضع تخصصات «الفقه» و«اللغة» و«الأدب» فى جزر منعزلة . صحيح أنه يتراجع نسبيا عن حق الامتلاك هذا ، ولكنه تراجع ينطلق من كون «المتخصص» بالمعنى السالف يمتلك الحقيقة المعرفية المطلقة للمجال الذى يتحدث عنه ، يقول : «إنه ليس محرما على أى باحث أو أى مسلم الكلام أو الكتابة فى الشريعة ، ولكن عليه فقط إذا أقحم نفسه بدون علم فعليه أن يحتمل المسئولية العلمية عن ذلك».

ولا شك أن هذا كلام أقرب إلى الدقة والموضوعية ، باستثناء هذا الجمع بين «الباحث» و«المسلم» فى امتلاك حق الكلام والكتابة عن الشريعة . هذا حق الباحثين فقط، من حيث صفتهم تلك– الانشغال بالبحث وامتلاك أدواته –لا من حيث أية صفة أخرى . الشخص «المسلم» لا يحق له أن يتحدث أو يكتب لمجرد أنه مسلم والا ضاعت الحدود الفاصلة بين «العلم» و«الدردشة» فضلا عن احترام التخصص الذى يبالغ فيه محمد بلتاجى ،والخلط هكذا بين صفة «الباحث» وصفة« المسلم» هو بيت الداء فى ثقافتنا الدينية المعاصرة حيث حدود التمايز بين «العلم » و«الوعظ» غير واضحة ، إذ كل من يمارس «الوعظ» يسمى عالما ،وكثير ممن يحملون ألقابا علمية ويعملون فى مؤسسات

علمية يكتسبون شهرتهم بصفة أساسية من ممارسة «الوعظ» سواء في المساجد أو عبر أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة.

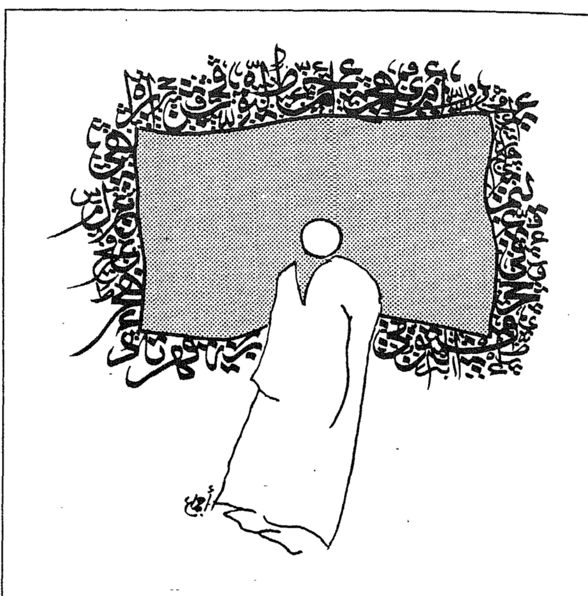
لكن حرص محمد بلتاجي على حق امتلاك التخصص يظل هاجسا مؤرقا ، وأعتقد أنه هو الذى نقله للدكتور مأمون سلامة– رئيس جامعة القاهرة السابق –الذى طرح عليّ السؤال فى صيغة مربكة حين قال فجأة فى سياق حوارنا حول تقرير عبد الصبور شاهين :« ما العلاقة بين قسم اللغة العربية والإمام الشافعي؟. عملكم هو دراسة اللغة والأدب فقط، فلماذا تكتب كتابا عن الإمام الشافعي؟ (١) وكان من الطبيعى أن يباغتنا السؤال–أقصد الدكتور أحمد مرسى رئيس قسم اللغة العربية آنذاك وأنا –ويربكنا بهذه الصيغة المفاجئة والاستنكارية فى آن واحد . الدكتور مأمون سلامة أستاذ قانون وتصور أن الإمام الشافعى مجرد فقيه لا يدرسه إلا المتخصصون في الشريعة ، لكن الدكتور أحمد مرسى أخذ يشرح لرئيس الجامعة بطريقة مبسطة تناسب المقام بالطبع أن شاغل قسم اللغة العربية الأساسى هو تحليل «الكلام» وأن ما كتبه الإمام الشافعى ، يدخل فى دائرة «الكلام» الذى يهمنا تحليله . وأن هذا الشاغل يندرج تحت مفهوم علم« تحليل الخطاب» وأنه لا يتعارض مع دراسات من زوايا أخرى لنفس «الكلام» وسنعود لهذه النقطة تفصيلا بعد ذلك ، يكفى هنا القول إن كلا من محمد بلتاجى ومأمون سلامة ، ومن قبلهما عبد الصبور شاهين ، توهموا أن الكتاب دراسة فى الفقه والشريعة وذلك استنادا إلى اسم«الإمام الشافعى» فى عنوان الكتاب ، ولم يقرأ الثلاثة باقى العنوان ، وهو مركز الدراسة وبؤرة البحث «وتأسيس الإيديولوجية الوسطية» . هذا الدفاع عن حق امتلاك «التخصص» هو فى حقيقته دفاع عن« مناطق» من التقليد يخشى البعض أن ينتهكها سلاح التحليل العلمى النقدى ، لأن هذا الأخير سيكشف عن« عطن» التكرار ، والإعادة دون إفادة ، فى كثير من الكتب والبحوث التى تسمى «علمية» والتى يمنح البعض على أساسها الدرجات ، والرتب .ليس **الأمر إذن دفاعا عن الإمام الشافعى ولا دفاعا عن التراث ، بل هو ابتزاز لمشاعر المسلمين الطيبين ليساندوا أصحاب المصالح فى اغتيال المنهج العلمى التحليلى النقدى .والسؤال الآن، أينا أكثر احتراما للتراث وتوقيرا له: أولئك الذين يكررونه بآليات الاختصار والتلخيص اعتمادا على الشروح دون**

الأصول فهما وتحليلا ونقدا؟ الإجابة واضحة ، فالفريق الأول لا يفعل أكثر مما يفعله الوارث والكسول بما ورثه- والتراث هو ميراثنا الفكرى عن الأسلاف- لأنه يكتفى باستهلاكه بالاعتماد عليه اعتمادا تاما فيتناقض مع مرور الزمن وتقل قيمته ، ومع توالى الأجيال يتناقض التراث ويتآكل حتى الوصول إلى حالة «العوز» و«الفقر» الفكرى والعقلى» . وهذا حال فكرنا الدينى الآن: أين هو من تسامحه وانفتاحه على كل الثقافات السابقة .

إن الفارق بين الفكر الدينى الحالى والفكر الدينى الكلاسيكى فى عصور الازدهار- وقبل الدخول فى عصور التقليد -هو الفارق بين« التقليد » و«الإبداع» بين« التعصب» و«التسامح» بين «الإنغلاق» وضيق الأفق من جهة وبين «الانفتاح» الحر الخلاق من جهة أخرى والفريق الثانى من الباحثين (الوارثين) يتعاملون مع التراث تعامل الذى يريد أن ينمى هذا التراث ويضيف إليه ولا يكتفى بمجرد استهلاكه والاعتماد عليه . إن هذا التراث لا يتجدد بالتكرار والتقليد ، بل يتجدد بمداومة بحثه ودراسته وتحليله كما استجدت مناهج واتسعت قدرة العقل الإنسانى معرفيا على إدراك ما لم يكن مدركا ، وعلى القدرة على قياس ما كان من قبل لا يخضع للقياس. إن وحدة المعرفة الإنسانية ، وإتساعها بوتائر متزايدة ومتسارعة هى التى تفرض الفحص المجدد وإعادة القراءة الدائمة لاكتشاف ما لم يكن ممكنا كشفه من قبل فى هذا التراث ، وليس صحيحا أنه لم يترك الأول للآخر شيئا ، وقول عنتره العبسى فى معلقته المشهورة.

هل غادر الشعراء من متردم.. أم هل عرفت الدار بعد توهم.

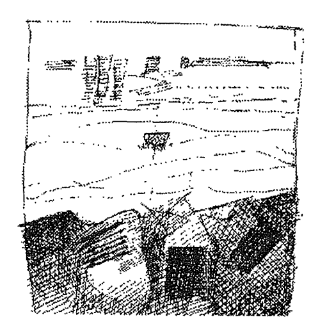
إنما يتعلق بإشكالية «التعبير» الشعرى ، ولا علاقة له بإشكالية «التقدم» الفكرى . إن المتأخر يقف على أكتاف المتقدم، أى يقف على وعى الأسلاف مضافا إليه وعى عصره. وهو ما يمنحه إتساعا فى الرؤية لم تكن متاحة للأسلاف ، استعارة الوقوف على« الأكتاف» يضيئ هذه الفكرة ، فالأعلى يتسع مجال إدراكه- ولو كان طفلا -عمن يقف على كتفيه ولو كان رجلا ناضجا ، إن قراءة التراث من منظور المنهجيات الحديثة هى« الاحترام» الحقيقى ، لأنها تفترض قدرة هذا التراث على الاستمرار والتطور، لكن هذه القراءة لا تقف عند حدود الاحتفال و«التوقير» الزائف ، بل تتجاوز ذلك إلى« النقد»



الذى يكشف عن ما فى هذا التراث من جوانب ضعف منبعها «تاريخيته» إن الدرس العلمى الحقيقى يكشف «الإيجابى» كما يكشف «السلبى» دون تعصب أو حمية زائفة أو تقديس لفكر بشرى واجتهاد إنسانى.

مقدسة هذه المسلمة السادسة تكشف لنا عن بعد الصراع الآنى بين منهج« تحليل الخطاب» ومنهج القراءات التكرارية التى لا تضيف شيئا إلى ما سبق ، إن صراع حول « الوعى » الإسلامى الراهن: هل يظل كما هو أسير الترديد والتكرار أم ينطلق إلى آفاق البحث الحر القادر على« «فهم » التراث والتجادل معه ، والإضافة إليه؟.

هذه هى القضية.



محمود بقشيش

يخرج الحى من الميت .. ويولج النهار فى الليل

صلاح عيسى

مع أن جيلنا ، كان قد تعلم الثورة والتمرد من « لطفى الخولى » ومن جيله ، ومن زمنه ، فقد كنا ننظر إليه ، وإلى جيله وزمنه ، بغضب لأنهم – فيما كنا نعتقد – كفوا عن أن يكونوا ثواراً ، وتخلو عن قضايا الأمة والوطن والشعب ، واستناموا إلى المقاعد الوثيرة التى منحتها لهم السلطة فى أحد الجوانب القصية من صالة المسرح .. وكما يفعل الأبناء مع الآباء عادة ، اتخذنا منهم شواخص أولى – وأحيانا وحيدة – لسخطنا ، وكان فواراً لمقدار حبنا لهم ، وعنيفاً بمقدار خديعتنا فيهم..

فيما بعد أيقنت أن تلك بعض سنن الله فى خلقه وفى كونه يولج النهار فى الليل .. ويولج الليل فى النهار .. ويخرج الحى من الميت .. ويخرج الميت من الحى!.

وحين التقيته أول مرة ، فى منتصف الستينيات أدهشنى ليس فقط لأنه استقبلنى بحفاوة ومودة ، ودعانى للكتابة على صفحات «الطليعة» -التى كان يرأس تحريرها -ولكن ، كذلك ، لأنه تعامل مع ما كان يعرفه عن سخط جيلى عليه ، وعلى جيله وزمنه ، باعتباره أمرا طبيعيا ، وبعض سنن الله فى خلقه وفى كونه!.

بعد ذلك التاريخ بأكثر من عام ،وفى أكتوبر ١٩٦٦ ، كنت معلقاً إلى مشجب حديدى بإحدى زنازين معتقل القلعة فأدهشنى النقيب «عاصم الوكيل» أكثر ليس لأنه كان يستحثنى على الكلام لارتباطه بموعد مع« مرة زى القشطة» ، لكن لأنه غير مجرى الحديث فجأة لينهال على بعصا فى يده ، وهو يقول بتشف شديد : تعرف مين كان واقف وقفتك دى امبارح يا ابن القحبة .. شيخ المنسر بتاعكم «لطفى الخولى»!.

وغادر «لطفى الخولى» ومفردات من جيله ، المعتقل بعدِ أسبوع وغادرته ومفردات من جيلى بعد ستة شهور ، وحين رويت له الحكاية لم يتوقف أمامها ، لكنه توقف أمام خبر فصلى من العمل ، ودعانى لاستئناف الكتابة فى «الطليعة» إلى أن نجد حلاً .. وحين قالوا له إننى ممنوع من الكتابة قال لى ضاحكا : أنت عاوز المجد أم الفلوس ؟ قلت مهموماً : المهم دلوقتى الفلوس وتحمل بشجاعة مخاطرة نشر ما أكتب ، بلا توقيع ، إلى أن يحلها الحلال .. وكنت لا أزال أنظر إليه وإلى جيله وإلى زمنه بغضب ، وكان لا يزال ، يعتقد أن ذلك أمر طبيعى.

وبعد عام ، وعلى الرغم من وساطات «لطفى الخولى» وآخرين من الجيل الذى كنا لا نزال ننظر إليه بسخط لم أعد إلى عملى ، بل عدت إلى معتقل القلعة مرة أخرى فى أعقاب مظاهرات الطلبة التى جرت احتجاجاً على الهزيمة فى فبراير ١٩٦٨ ، ومضت أسابيع صدر خلالها بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، الذى أعلن فيه «عبد الناصر» برنامجاً ديمقراطياً لإزالة آثار العدوان ، بتلافى أخطاء الماضى التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧.

وكان «عاصم الوكيل» نفسه هو مصدر أول انطباع أكونه عن موقف بعض الجالسين على خشبة المسرح من هذا التطور الديمقراطى فى مسيرة ثورة يوليو ،وقد عبر عن

ضيقه الشديد لأن «الطليعة» أصدرت ملحقا أسبوعيا باسم «البيان» يدعو لتشكيل لجان شعبية باسم «لجان ٣٠ مارس» تعمل على تطبيقه وتراقب تنفيذه ، حتى لا يظل -كغيره من مواثيق الثورة- مجرد حبر على ورق،ولكى تكون الأساس الجديد للبناء التنظيمى الديمقراطى لتحالف قوى الشعب العاملة بديلاً عن صياغة الاتحاد الاشتراكى البيروقراطية ولما حاولت أن أخفض من تحامله على الفكرة ، صاح فى وجهى : ملعون أبوكم لأبو الاتحاد الاشتراكى لأبو بيان ٣٠ مارس .. نحافظ على الأمن إزاى وشيخ المنسر بتاعكم يعمل لى سوفييتات فى البلد!.

ولم يكن «عاصم الوكيل» يعبر عن رؤيته الخاصة ، أو رؤية الجهاز الذى كان يعمل به ، ولكنه كان ، كما تبين فيما بعد ، يعبر عن اتجاه قوى ، يضم فضلا عن أجهزة الأمن ، كل ما كان يعرف آنذاك بـ« يسار السلطة الناصرية» ،وهى حقيقة أذاعها «عبد الناصر» بنفسه فى لقاء له مع أسرة تحرير« الطليعة» ،فقد ذكر أن أكواماً من التقارير -لم يحدد مصدرها- كانت تصله ضد جماعة «الطليعة» تعتبرها حزباً هداماً يسعى إلى السلطة وأنه عكف بنفسه على دراسة ما تطرحه «الطليعة» من أخطار وحلول لقضايا الوطن، ووجد نفسه يوافق على معظمها فأزاح كل التقارير جانباً.

وبصراحة ووضوح ، قال «عبد الناصر» لجماعة «الطليعة» إن «الأجهزة والناس إللى ماسكه الاتحاد الاشتراكى» ضدهم على طول الخط وأنهم ينظرون إليهم باعتبارهم تنظيماً ماسونياً ، وإنه لا يستطيع أن يحل هذا الصراع ولا يملك إلا أن ينصحهم ، بأن ينأوا بأنفسهم عن مجالات العمل السياسى المباشر ، وألا يحاولوا شغل مواقع فيه ، وأن يقنعوا بالتبشير والتثقيف ، إلى أن تنتهى المعركة مع إسرائيل ،وعندها نشرع فى جرد حسابات الأشخاص والمؤسسات والمواقف من جديد.

وكان آخرون من جيلى يتقاطرون على المعتقل لنقرأ «لطفى الخولى» ونسخط عليه وعلى جيله وعلى زمنه ولكن لأسباب مختلفة عن تلك التى كانت تثير غضب «عاصم الوكيل» وغيره ممن كانوا يعتبرونه دسيسة ماسونية ، وغواصة نجحت فى التسلل إلى قلب النظام ، بينما كان أهلونا- بناء على تكليف منا - يترددون على مكتبه فى «الطليعة» يطلبون تدخله للإفراج عنا، فينشط فى هذا السبيل ، ومن دون أن يتوقف أمام سخطنا ،

أو يعبأ بسخط الذين كان يتوسط لديهم فيتخذون من ذلك دليلاً على أنه «شيخ المنسر» الذى يدافع عن المعتقلين من أعداء النظام .. إلى أن نالوا منه وقادوه إلى المعتقل ، فى مايو ١٩٧٠ ،بعد أن دسوا أجهزة تنصت فى منزله ، وسجلوا له حواراً دار بينه وبين آخرين ينتقد فيه النظام لأنه ينتهك الديمقراطية ، ويتعامل مع الجماهير بشكل بيروقراطى.

ومات «عبد الناصر» و«لطفى الخولى» والذين يسخطون عليه ، وعلى جيله وعلى زمنه فى المعتقل نفسه وبعد أسابيع من مغادرته له، فادرناه نحن أيضا ، ليكون أول ما فعله أن أزوره فى بيته إذ كان لا يزال ممنوعا من العمل ومن الكتابة مع أن «الطليعة» كانت لا تزال تواصل الصدور ، وكان محروراً على نحو ما، وحين قلت له .. ولكن «الطليعة» لا تستغنى عنك ، استشهد ساخراً بعبارة لفولتير يقول فيها : هناك ملايين من الناس فى القبور كان يظن أنه لا يمكن الاستغناء عنهم.

وبعد أسابيع وقعت أحداث مايو ١٩٧١ ، وفاز «السادات» على يسار السلطة الناصرية ، وقادهم إلى المعتقلات والسجون ، ولعب بذكاء على التناقض بينهم وبين «جماعة الطليعة» وغيرها من جماعات اليسار الماركسى ،فأطلعهم على مذكرة كانت جماعة الاتحاد الاشتراكى قد قدمتها له، تطلب فيها اعتقال ١٥٢ من الماركسيين كان من بينهم «لطفى الخولى» ،وعين أحدهم نائب وزير ، وشكل لجنة لإعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، كان لهم فيها ثقل واضح وخرج «لطفى الخولى» من عزلته الإجبارية ، ورفع الحصار عن قلمه وأصبح لأول مرة عضواً باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومسئولا عن أمانة الشئون الخارجية ، بل وأصبح أحد الذين يحرص «السادات» على لقائهم والاستماع إلى آرائهم على امتداد خمس سنوات بين ١٩٧١ و ١٩٧٦ ، لا لكى يستشيرهم كما كان يبدو فى الظاهر ، بل لكى يختبر مدى ردود أفعالهم المتوقعة على بعض ملامح الانقلاب السياسى الذى كان يخطط له، والذى نفذه بالفعل بعد ذلك.

وهكذا افترقت السبل– مرة أخرى –بين جيلنا وبين «لطفى الخولى» وعدنا نسخط عليه وعلى جَيله وعلى زمنه ، إذ كنا نشك فى يسارية «السادات» وفى ديمقراطيته ، وكنا واثقين أنه سيمشى على خط «عبد الناصر» باستيكة . وصرخ أبى فى وجهى قائلا :

تعارض الراجل اللى طلعك من المعتقل .. وشغلك .. وتقف مع اللى حبسوك ورفتوك ؟ أنت إيه ؟ حمار ؟ وشعرت أن أذنى قد استطالتا فضحكت .. وضحك !.لكن« لطفى الخولى» الذى بدأت أدرك أيامها أنه كان يعرف ما يفعله بالضبط ، وأنه لم يعط نفسه بالكامل لأحد ، أو لشئ ، إلا للقضية التى كان يؤمن بها ، وبدأ –من داخل موقعه فى الاتحاد الاشتراكى – يعارض «السادات» –بل وشارك فى صياغة البيان الذى عرف فيما بعد باسم «بيان توفيق الحكيم» الذى أيد فيه عدد كبير من المثقفين مظاهرات الطلبة ، وطالبوا بخوض معركة التحرير ضد الاحتلال الإسرائيلى ، ليستيقظ صباح ٤ فبراير ١٩٧٣ ، فيجد اسمه ضمن قائمة الكتاب والصحفيين ، الذين فصلوا من الاتحاد الاشتراكى ، مع أن بعضهم –مثلى –لم يكن عضوا به ، ومنعوا من العمل ، وكانت القائمة تضم كل ألوان الطيف من «ثروت أباظة» إلى« صلاح السعدنى» ومن« على سالم» إلى« مكرم محمد أحمد» وضمت «لطفى الخولى ومفردات من جيله وضمتنى ومفردات من جيلى الذى كان ينظر إليه وإلى جيله وإلى زمنه بسخط . وبعد حوالى العام ، وفى بداية عام ١٩٧٤ ، أستأنف «السادات» لقاءاته مع« لطفى الخولى» ولكن ذلك لم يحل بين« جماعة الطليعة» وبين معارضة التوجهات اليمينية التى كانت تنسبها– من باب الملاءمة السياسية– إلى أجنحة فى الحكم وتيارات فى المجتمع .، فى ظل حالة مؤقتة من الأريحية الديمقراطية ميزت عهد«السادات» خلال السنوات الثلاث التى تلت حرب أكتوبر ، حتى ارتفع توزيعها إلى أكثر من عشرين ألفاً وهو رقم يندر أن تصل إليه مطبوعة شهرية– سياسية وفكرية ويسارية وليست محلاة بالصور– وخلال لقاءاته المطولة بالسادات ، التى تكثفت آنذاك ، أدرك أن الرجل بسبيله لكى يغير استراتيجية السياسة المصرية التى ورثها عن« عبد الناصر» .. فكتب سلسلة مقالاته الشهيرة ، التى أختار لها عنواناً يبدو فى ظاهره علميا ومحايداً ، ويمكن أن يمر من تحت أنف الرقابة على الصحف لأنه يوحى بأنه مدح هو« مدرسة السادات السياسية» وصاغها بأسلوب ماكر ، يرصد خلالها توجهات السادات استنادا إلى المعلن من آرائه ، وما عرفه منها خلال محاوراته معه بأسلوب علمى بارد يعتنى بالسرد لا بالتحليل ، وبالتوصيف لا بالتقييم ، وما كادت الحلقة الأولى منها تنشر حتى حدث ذلك الذى ظل يحدث مع« لطفى الخولى»

طول عمره قال تقرير لجهاز الأمن القومى «إن المقالات عمل عدائى موجه للنظام عامة وللرئيس السادات شخصيا ، صيغ فى أسلوب يتخذ قالب البحث العلمى الموضوعى المحايد من كاتب معروف باتجاهاته الأيديولوجية التى تتنافى مع أيديولوجية ثورة مايو ودولة العلم والإيمان ».. وقالت عناصر يسارية مصرية وعربية ، إن المقالات تجمل وتبيض وجه« السادات» ، وتنظر وتؤصل أفكاره وسياساته ، وذلك من كاتب محسوب على اليسار!.

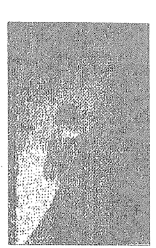
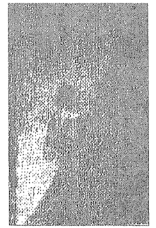
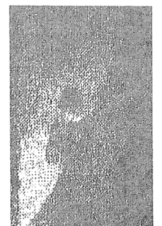
أما« السادات» فقد توقف أمام عبارة وصفه «لطفى » فيها بأنه« برجوازى ريفى صغير» وقال له طبعا استغليت جهل الأفندية اللى سلمتهم الصحافة فلم يعرفوا أن هذا سب وقذف فى حقى بأسلوب الاشتراكيين .. وطلب إليه أن يحمد الله، لأنه لو كان –فى عهد عبد الناصر»– قد قال هذا الكلام فى بيته وليس على صفحات «الأهرام» لذهب وراء الشمس .. وأنه لن يعاقبه على هذه العملة إلا بوقف نشر بقية المقالات.أما الذى لم يقله له فهو أنه أصدر أمراً بمنعه من الكتابة بالأهرام ، وبالبحث عن وسيلة لغلق «الطليعة» التى أغلق بالفعل بعد أن حملته الحكومة– وليس للشعب أو اليسار –المسئولية كاملة عن أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧!!.وهكذا عاد« لطفى الخولى» إلى قواعده سالماً ، ليجرى عليه الذى جرى على كل اليساريين فى السنوات التالية.سواء كانوا ينتمون لجيله أو ينتمون للجيل الذى نظر إليه وإلى جيله وإلى زمنه بسخط ، ومع ذلك فقد ظل دائما معهم يدافع– بطريقته– عن الأهداف نفسها ، ويتلقى الضربات نفسها: يعتقل ويفصل ويمنع من الكتابة ، ويقدم للمدعى الاشتراكى ، ولا يكف –على الرغم من كل ذلك –عن الدفاع عما يعتقد أنه الصواب يناور بذكاء ، ويسعى لتوسيع الدائرة التى يؤثر فيها مستغلا مواهبه المتعددة ولا يعطى نفسه بالكامل لأحد أو لشماعة إلا للشعب الذى أخلص دائما له ، وللوطن الذى أحبه وفنى فيه وللأمة التى انتمى إليها ودافع عن كل قضاياها بشجاعة ولا حدود ! وعندما هبت عاصفة كوبنهاجن قبل عامين ، كنت أعرف أنه كان يقوم بدور لصالح السلطة الوطنية الفلسطينية وبناء على طلب منها ، ومع أننى عارضته ،فقد كنت واثقا طوال الوقت أنه يفعل ذلك عن قناعة كاملة، بأنه يخدم القضية التى منحها معظم سنوات عمره وأنه ينطلق فى ذلك من وطنية لا يستطيع أحد أن يزايد عليها



وشرف لا تشويه شائبة!.

وكان جيلنا قد شاخ ، وبزغ جيل جديد ، لا ينظر فحسب إلى« لطفى الخولى» وجيله وزمنه بسخط بل وينظر كذلك إلى جيلنا وزماننا بغضب ، ولهذا السبب لم يحزن البعض عليه ، الحزن الذى يليق برجل كان من معالم ذلك القرن الذى يوشك أن يغيب بأفراحه وأحزانه ، وبانتصاراته وانكساراته وبمجده وعاره ، بل ووجد أخرون فى المناسبة فرصة لشفاء أحقاد قديمة، أو للتغنى بثورية مدعاة وبيسارية مزيفة ، فكتبوا بقسوة أو تجاهلوا ما حدث بجلافه.

قلت له : معلش يا عم لطفى تلك سنة الله فى خلقه .. وفى كونه .. يخرج الحى من الميت ويولج النهار فى الليل قال ولا يهمك هناك ملايين من الناس فى القبور كان يظن أنه لا يمكن الاستغناء عنهم ، قلت لكنك– رغم كل شئ –لست منهم!.

محمود بقشيش

رسالة مفتوحة إلى مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان
أن يختلف ، يعترض، يرفض

عبد الرحمن منيف

يطيب لى أن أتوجه إلى مؤتمركم بهذه الرسالة المفتوحة ، بصفتى روائيا عربيا تعنينى بصورة كبيرة هموم شعبى ، وأيضا بصفتى أحد قدامى ضحايا حقوق الإنسان.

لا أكتمكم ، بداية ، أننى ترددت طويلا فى توجيه هذه الرسالة ، لقناعتى أن قضايا الأفراد لا تعنى الكثير إزاء الخروقات والانتهاكات الفظة المتزايدة التى تقع على مجموعات كبيرة ، وحتى على بلدان بأكملها ، فى جو من التجاهل ومن تواطؤ البعض، ولكن قررت فى النهاية ، ورغم التأخر أن أحسم التردد ، وأن أتوجه إليكم بهذه الرسالة ، معتبرا وصولها متأخرة خير من أن لا تصل أبداً ، لأن موضوعها بمقدار ما هو خاص

فانه عام فى نفس الوقت ويعنى الكثيرين.

اسمحوا لى، فى البداية ، أن أحيى مؤتمركم ، وأن أعبر عن الاستبشار ، والثقة بمستقبل حقوق الإنسان ، إذ مجرد انعقاد مؤتمر عالمى لمناقشة هذه الحقوق ،والتأكد فى الالتزام بها ، يلاقى ترحيبا واهتماما كبيرين ، فالحدث ، بحد ذاته ، دليل على ما يستشعره المجتمع الدولى فى وجود كم هائل من تجاوز الحكومات على حقوق الأفراد والجماعات ، ويشير إلى ضرورة الوصول إلى صيغ عملية ومراقبة فعالة لكى لا تستمر هذه التجاوزات ومعالجة القائمة منها.

والمؤتمر أيضا ، الآن وفى المستقبل ، يفترض أن يكون المكان الملائم الذى يلتقى فيه الذين سلبت حقوقهم وأولئك الذين سلبوها ، لتجرى المساءلة والمحاسبة عن الأسباب والدوافع التى أدت إلى وجود هذه الحالة غير القانونية وغير المنطقية ، خاصة وأن استمرارها يشكل تهديدا للمجتمعات ويستنزف طاقاتها ، كما ويعرض الأنظمة ، مهما بدت قوية ، إلى العزلة فالنقمة فالسقوط ،لأن الحكومات التى لا تحترم شعوبها ، ولا تعترف لمواطنيها بالحقوق الأساسية ، لا يمكن أن تقابل إلا بالمثل ، فالمواطن، يمتثل لمن يصون كرامته ، ويدافع عن حقه ، ويعمل على حمايته فى الداخل والخارج ، وييسر له حرية الحياة والعمل والتعبير أما إذا حرم المواطن من هذه الحقوق الأساسية وتعرض إلى الاضطهاد والأذى فعندئذ لا يمكن أن تطلب منه أداء الواجبات والدفاع عن النظام ،والاستمرار فى الصمت أيضا!.

وبداية الوصول إلى صيغة بين طرفى العلاقة ، أى بين الحكومات والمواطنين ، أن يكون هناك قانون ، وأن يمتثل الجميع لهذا القانون.

والقانون هو النظام الأساسى الذى يحدد الحقوق والواجبات ،وهو الذى يحدد طبيعة العلاقة بين الطرفين ، ولذلك لابد أن تراعى فى وضعه وقراره إرادة ورغبات ومصالح الذين سيمتثلون له ويرضون به.

ولذلك فإن البلد الذى يفتقر إلى مثل هذا القانون ، مطلوب منه كخطوة أولى وأساسية أن يشرعه ويجب أن يتم ذلك من خلال صيغة يرتضيها المواطنون وأن يساهموا فيها.

والبلد الذى يعتبر عضوا فى الأسرة الدولية وممثلا فى الأمم المتحدة يجب أن يخضع

للمواثيق الدولية ، وأن يلتزم بالشرائع التى أقرتها الأمم المتحدة ، بما فيها الشرعية الدولية لحقوق الإنسان.

والبلد الذى يعتبر نفسه مسئولا مع الآخرين فى رخاء واستقرار النظام الدولى ، ويرتبط بعلاقات الصداقة والتحالف مع الدول الديمقراطية فى العالم ، يفترض أن يلائم وضعه مع منطق العصر وضروراته ، بحيث يصبح فعلا جزءاً فى المجتمع الدولى بنظامه ومؤسساته والتزاماته ، أى أن يتمتع مواطنوه بما يتمتع به مواطنو الدول الديمقراطية ، بما فى ذلك حق التعبير والانتخاب والاختلاف.

ولذلك ، فعلى مؤتمر ڤيينا لحقوق الإنسان أن يسأل فما هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لم توقع ، حتى الآن ، على الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان؟.

إن الاجابة عن هذا السؤال تضعنا فى مواجهة الحقيقة القاسية.

وعلى مؤتمر فيينا ألا يكتفى بالسؤال ، عليه أن يلزم الذين لم يوقعوا بالتوقيع ، وعليه أن يحملهم لتسوية أوضاعهم كى تتماشى مع ميثاق الأمم المتحدة ، وعلى مؤتمر فيينا أيضا أن يشرف ويراقب ويتابع لتصبح حقوق الإنسان حقيقة واقعة وليست مجرد رغبات وأمانى أو قيما أخلاقية فقط.

يضاف إلى ذلك أن الديمقراطية أصبحت شعار العصر الذى نعيش فيه ، وكانت المدخل للتغيرات الكبيرة التى جرت فى أنحاء متعددة من العالم خلال السنين الأخيرة، فإذا افترضنا صحة هذه الشعار ، وأيضا الذى يحدد الموقف من الآخر ، فيجب إلا يتجزأ ، ويجب ألا يقتصر على دول بذاتها واعفاء الأخرى ، أو غض النظر عن ممارساتها وهذا أحد واجبات مؤتمر فيينا لكى تكتسب قضية حقوق الإنسان مصداقيتها وفعاليتها.

بعد هذا العرض الذى لا شك أن مؤتمر فيينا على دراية به ، انتقل فى العام إلى الخاص لكى أقدم نموذجا:

لقد حملت جنسية العربية السعودية منذ مولدى باعتبار أن أبوى من المتمتعين بها ، وحصلت على جواز السفر السعودى حين بدأت دراستى ، وظللت أحمل هذا الجواز سنوات طويلة ، وفى صيف عام ١٩٦٣ ، أى قبل ثلاثين سنة تماما ، حين طلبت تجديد

الجواز فى السفارة السعودية بدمشق ، سحب منى بناء لتعليمات من مراجع عليا ،كما أبلغت ، ولم يعد إلى رغم مطالباتى المتكررة ، مما الحق بى أذى كبيرا ومستمرا منذ ذلك الوقت وحتى الآن.

وإذا كان الأذى قد اقتصر على فى المرحلة الأولى ، فقد طال أولادى فيما بعد، الأمر الذى يعتبر خرقا فظا متعسفا لحقوق الإنسان ، وانتهاكا لحق طبيعى لا يجوز المس به بأى حال من الأحوال.

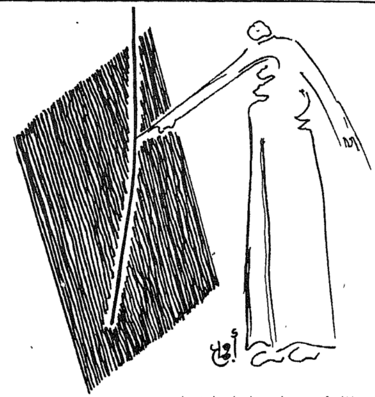
إن جنسية المواطن ، أى مواطن حق طبيعى وليست منحة تعطى أو تحجب ، وبالتالى لا يمكن لأحد أن يسلب هذا الحق أو أن يمنعه .

لقد مضت هذه الفترة الطويلة دون أن تبادر حكومة العربية السعودية لإصلاح هذا الخطأ ، وبنفس الوقت لم ألجأ إلى التشهير ، وإنما واصلت المطالبة بحقى.

وإذا كان سحب جواز السفر قد حدث دون سبب واضح أو معلن ، فإن كتاباتى الروائية أصبحت ، لاحقا ، الحجة لهذا الإجراء ، علما بأن أيا من رواياتى لم يأخذ طريقه إلى النشر إلا بعد عدة سنوات من سحب الجواز ، ولا حاجة للإشارة هنا إلى الرواية أية رواية، عبارة عن عالم يتخيله الروائى ويبنيه وفقا لشروط فنية ، وبالتالى يجب ألا يفسر بشكل متعسف أو يسقط على حالة بذاتها ، وبالتالى يعتبر سببا للمساءلة ثم الإدانة.

إن حرية التعبير حق معترف به فى جميع دساتير العالم ، واستنادا لهذا الحق يستطيع الإنسان أن يختلف وأن يعترض وأن يرفض، ومع ذلك يكون أمينا على حياته ومتمتعا بجميع حقوقه ، هذا فى الشأن السياسى المباشر ، فماذا لو اقتصر التعبير على الخيال الروائى؟ وكيف يعاقب الإنسان على النوايا وليس على الأفعال ؟ وإذا اعتمدنا على النصوص القانونية البحتة التى تؤكد أن لا عقوبة إلا بنص، وأن النصوص فى تاريخ وضعها ولا تمتد إلى ما قبلها ، فكيف توقع العقوبة دون نص ، وتمتد إلى فترات سابقة؟.

ليس ذلك فقط ، أن فى جملة القواعد القانونية الثابتة أن الجريمة ، على فرض وقوعها ، تبقى شخصية ، أى لا تتجاوز مرتكبها إلى آخرين لا علاقة لهم بها فكيف



تصبح جماعية وتطال آخرين ليسوا طرفا فيها؟.

إن الحالة التى أعرضها أمام مؤتمركم نموذج لتجاوزات كثيرة وقعت ولا تزال تقع حتى الآن ، وأية محاولة للاعتراض عليها ، لكشفها .. لوقفها، تعرض من يقوم بذلك إلى الأذى ، بما فى ذلك حجر الحرية والمنع فى العمل أو السفر ، وربما أمور أخرى ، والمثل القريب البارز ما حصل فى الشهر الفائت ، شهر آيار ١٩٩٣ ، إذ تعرضت اللجنة التى تكونت فى العربية السعودية من أجل تقصى الحقائق فى انتهاكات حقوق الإنسان إلى الملاحقة والعقاب.

إننى إذ أعرض أمام مؤتمركم هذه القضية ، اضعها فى الإطار العام لمحنة حقوق الإنسان فى بلدى ، راجيا أن يتولى مؤتمركم التدقيق فى الحالات الكثيرة المشابهة ، وأن يعمَل على وضع حد للتجاوزات ، وأن يحمل الحكومة المعنية على وقفها.

إن مؤتمركم يمثل أملا للكثيرين ، ويشكل ملاذاً لمن وقعت عليهم التجاوزات ونالهم الأذى ولاشك أبداً فى أنكم ستبذلون أقصى الجهد من أجل الدفاع عن الإنسان وحريته وكرامته .

وتقبلوا فائق التقدير ، متمنياً لمؤتمركم النجاح فى مهمته الإنسانية والحضارية.



مندور بريشة
الفنان جمال قطب

محمد مندور يبكى ويشد شعره الأبيض

رجاء النقاش

فى سنة ١٩٨٥ كانت الاستعدادات تجرى لعقد المؤتمر الثانى للأدباء العرب فى الكويت ، وقد انعقد المؤتمر قبل ذلك فى بلودان فى سوريا سنة ١٩٥٧ ، كان المسئول عن مؤتمرات الأدباء هذه هو «اتحاد الأدباء العرب» الذى كان يوسف السباعى رئيسا له ، وكان السباعى إلى جانب ذلك مسئولا عن اختيار الوفد الذى يمثل مصر فى هذه المؤتمرات ،فقد كان السباعى يحتل العديد من المناصب من بينها رئاسة «جمعية الأدباء» فى مصر، وكانت ثورة ٢٣ يوليو قد أطلقت يد يوسف السباعى فى الحياة الأدبية ، مما

ساعده على أن يحتل مكانه كأول رئيس لاتحاد الأدباء العرب ، فما دام هو الشخصية الأدبية الأولى والرسمية فى مصر ، فقد كان من الطبيعى -بحكم مكانة مصر- أن يحتل موقع الرئاسة فى أول اتحاد للأدباء العرب من سائر الاقطار.

وعندما نتساءل اليوم عن السبب الذى دفع بثورة يوليو وقادتها إلى اختيار يوسف السباعى ليمثل الحركة الأدبية فى مصر ، وليقف على رأسها ويصبح الشخصية الرسمية الأولى فى هذا المجال .. عندما نسأل هذا السؤال فإننا نحتاج إلى وقفة قصيرة للتأمل والاجابة.

لم يكن يوسف السباعى أفضل أدباء مصر عندما قامت ثورة ١٩٥٢ ، وكل ما كان معروفا عنه هو أنه كاتب قصصى نجح على المستوى الشعبى والصحفى ، أما موهبته الفنية فلم تكن- فى موازين النقد الصحيحة -موهبة كبيرة ، وفى نفس الوقت كانت ثقافته العامة وثقافته الفنية فى ميدان القصة والرواية ثقافة محدودة ، مما جعل أدبه فى إجماله أدبا سطحيا ، بعيدا عن العمق ، خاليا من أى قدرة على ملاحقة التطور الفنى والفكرى فى الأدب العالمى بل وفى الأدب العربى نفسه ، حقا ، لقد كان كاتبا غزير الانتاج ، وكان يصدر الكثير من الروايات الضخمة ، ذات الطباعة الملونة الفاخرة ، ولكن هذا الانتاج كله ، باستثناءات قليلة مثل روايته الجيدة «السقامات» ، كان نوعا من الأدب الذى يهتم به المراهقون من أصحاب الثقافة المحدودة ، ثم ينصرفون عنه بعد أن يتحقق لهم شئ من النضج فى الفكر أو فى الحياة ،فقد كان أدب السباعى أدبا هشا لا يعبر عن تجربة إنسانية كبيرة ، وهو أدب لا يتجاوب معه العقل المتعمق ، ولا القلب النابض الحساس العارف بهموم الحياة الحقيقية.

كان الموضوع المفضل عند يوسف السباعى هو الحب ، أو «الغرام» فى لفظ أصح وأكثر دقة، فالحب عند السباعى كان لونا من العاطفة السهلة السطحية ، والتى تنشأ فى فراغ ، بعيدا عن الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية ، ومن هنا أصبح هذا الحب الذى تدور حوله معظم روايات السباعى أقرب إلى الأغانى الخفيفة والحكايات المسلية ومداعبة المشاعر والغرائز عند المراهقين وأصحاب الثقافة المحدودة والتجربة القاصرة ، ومن خلال هذا الاتجاه العاطفى أو الغرامى السهل استطاع السباعى أن يحقق اسمه

وأدبه شعبية كبيرة، ساعد على تأكيدها وتوسيعها ما كان يحظى به من سلطة ونفوذ ، مما أتاح له «دعاية واشعة» قامت بها الصحف وأجهزة الاعلام المختلفة ، ثم جاءت السينما فقدمت روايات السباعى على الشاشة ، وللسينما سحرها وسلطانها الكبير عند الجماهير ، وهكذا تجمعت عوامل عديدة جعلت من السباعى واحدا من ألمع النجوم فى الأدب والفن والمجتمع على السواء.

على أن هذه الشهرة الواسعة التى حظى بها السباغى مع النفوذ الرسمى الكبير الذى تمتع به فى ظل ثورة يوليو لم ينجحا فى فرض اسمه على المجتمع الثقافى الحقيقى فى مصر والوطن العربى كله ، وقد انعكس هذا الموقف على نقاد الأدب ذوى القيمة والمكانة ، فكان معظمهم يهاجم أدب السباعى ويعترض عليه وعلى رأس هؤلاء النقاد: الدكتور محمد مندور والدكتور عبد القادر القط وأنور المعداوى.

وقد واجه السباعى هجوم النقاد عليه بطريقة عجيبة، فكان يعمل باستمرار على معاقبة الذين يهاجمون أدبه ويعترضون عليه ، وذلك من خلال سلطته الكبيرة ونفوذه الواسع فى مجتمع ثورة يوليو ، فقد تعرض الدكتور القط للمنع من السفر لسنوات طويلة نتيجة لموقفه من السباعى وأدبه ، وكان السفر بالنسبة للقط مسألة حيوية ، لا بسبب نشاطه العلمى فقط ، بل لأنه متزوج من سيدة أوربية ، وكان القط وزوجته وأولاده قد تعودوا على السفر إلى أوروبا فى الاجازات السنوية لزيارة أهل الزوجة ،وقد تكرر مرارا فى أيام أزمة القط مع السباعى أن يجد القط نفسه ممنوعا من السفر فى آخر لحظة حيث يتم إنزاله من السفينة أو الطائرة التى يركبها إلى أوروبا ، بينما يتم السماح بالسفر للزوجة والأولاود ، مما ترك أثرا نفسيا بالغ السواء على الناقد الكبير وأسرته ، وقد ظل القط يعانى من هذه المشكلة سنوات طويلة متتالية ، ذلك عقابا له على ما كتبه ضد أدب السباعى فى كتابه «قضايا معاصرة فى الأدب المصرى» الذى صدر فى أوائل الخمسينيات وكان أول الكتب النقدية المهمة التى أصدرها القط.

أما المعداوى فقد تعرض بسبب نقده لأدب السباعى ، وبسبب مواقف نقدية أخرى مشابهة ، إلى فصله من وظيفته فى وزارة التربية والتعليم ، مما أدى به إلى اضطرابات نفسية وصحية خطيرة قضت على حياته وهو فى الخامسة والأربعين ، وكانت وفاته

المفاجئة فى ديسمبر ١٩٦٥ نتيجة طبيعية للأضطرابات العنيفة التى تعرض لها ذلك الناقد الصريح الشجاع ،وهى القصة التى شرحتها بالتفصيل فى كتابى «بين المعداوى وفدوى طوقان- صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر» أما الدكتور مندور فقد اصطدم بكثير من الظروف الصعبة، وسوف أروى جانبا منها فى هذا المقال.

كان من نتيجة هذه المواقف العنيفة والعقوبات الفورية التى تعرض لها بعض النقاد الجادين بسبب رفضهم ونقدهم لأدب السباعى ، أن اتجه هؤلاء النقاد إلى تجاهل السباعى وأدبه تجاهلا تاما، بل وحاول بعضهم أن يصلح ما أفسده «الأدب» بينهم وبين السباعى فآثروا السلامة واقتربوا بصورة شخصية من السباعى وحرصوا على مجاملته وإرضائه حتى يأمنوا غضبه ، وألقوا بأسلحتهم النقدية وهربوا من الميدان.

كان يوسف السباعى يعاقب من يهاجمه ، ويتهم كل من ينقد قصة من قصصه نقدا أدبيا خالصا بأنه شيوعى يمثل خطرا على النظام، وكان هذا الاتهام يصل بطريقة ما إلى أجهزة الأمن فى مصر ، فتأخذ به، لأنه اتهام يصل إليها من مصادر مسئولة وموثوق بها لدى هذه الأجهزة الأمنية، وكان السباعى فى الحياة الأدبية بعد الثورة من أهم مصادر الثقة والمسئولية.

وإذا كان يوسف السباعى قد تعود على أن يعاقب الذين يهاجمونه ويعترضون على أدبه ، فإنه لم يشعر بالرضا عندما بدأت مرحلة التجاهل له، بل ثار و أشتد غضبه ، وأخذ يحارب الذين يتجاهلونه من النقاد بنفس الأسلحة القديمة ،وكان يعتبر التجاهل موقفا معاديا له يستحق صاحبه العقاب والتأديب ، وقد لجأ السباعى فى آخر الأمر إلى إصطناع بعض الأنصار من ذوى الأقلام الضعيفة ، وأخذ يعمل على إبرازهم وإتاحة الفرصة أمامهم حتىَ يقفوا إلى جانبه ويدافعوا عن أدبه، وهكذا ظهرت فى ميدان النقد بعض الأسماء من ذوى القدرات الأدبية والنقدية المحدودة ممن فرضهم السباعى فرضا على الحياة الأدبية ودفع بها دفعا إلى ساحة النقد ، وقدموا هم ثمن ذلك كله بالكتابة عن السباعى والترويج لأدبه ، وما زال عدد من هؤلاء يحتل حتى الآن مواقع مؤثرة فى الحياة الثقافية.

نعود إلى السؤال الذى طرحناه فى البداية وهو : لماذا اختارت الثورة يوسف

السباعى لتجعل منه الشخصية الأدبية المسئولة فى عصرها ، وخاصة فى السنوات العشر الأولى ، من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٢ ، حيث كان فى هذه المرحلة هو أديب مصر الرسمى والمسئول.

كانت الثورة بعد قيامها بحاجة إلى عناصر تثق بها فى كل المجالات والميادين ،وفى الفترة الأولى من قيام الثورة تم طرح شعار يقول فى صراحة :«الأخلاص والولاء قبل الكفاءة» ، وكان رجال الثورة شبابا فى مقتبل حياتهم ، فلم يكن أحد منهم قد وصل إلى الخامسة والثلاثين ،وكانوا فى معظمهم قد عاشوا حياتهم قبل الثورة فى جو عسكرى خالص ، وكانت ثقافتهم العامة فى الأمور غير العسكرية محدودة ، ولاشك أنهم كانوا على قدر من الوعى السياسى بحكم وطنيتهم واهتمامهم بشئون بلادهم ورفضهم للنظام القائم على الاحتلال ونفوذ الملك ، وهكذا كانت ثقافة رجال الثورة محصورة فى الشئون العسكرية والقضايا السياسية العامة ، وبعد نجاح الثورة أصبح رجالها يدركون خطورة الدور الذى يقوم به المثقفون والأدباء والمفكرون ، وكانوا فى نفس الوقت يخشون من أن يتحول المثقفون والأدباء إلى المعارضة .والعسكريون يميلون فى العادة إلى الانضباط والطاعة ، بينما ينزع المثقفون إلى المناقشة والحوار ، ومن هنا كانت جذور الأمة بين الثورة والمثقفين ، وأخذ رجال الثورة يبحثون عن عناصر يتأكدون من ولائها لتكون ممثلة لها فى هذا الميدان الخطير وهو ميدان الأدب والثقافة ، وسرعان ما وقع اختيارهم على السباعى ليقوم بهذا الدور.

كان السباعى فى الأصل ضابطا فى الجيش ، وكان يعمل فى المتحف الحربى ،وقد تعرف بحكم عمله بالجيش إلى عدد من قادة الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ، ولكن السباعى لم يكن من الضباط الأحرار ، ولم يخطر على باله أو بال زملائه أن يضموه إليهم ، ربما لأنه كان من الضباط المرفهين الذين لا يشعرون بالقلق أو بالرفض لأوضاع مصر قبل الثورة ، ولم يكن معروفا عن السباعى أنه صاحب اهتمامات وطنية أو سياسية من أى نوع ، كما أنه كان متزوجا من ابنة عمه« طه السباعى باشا » وهو أحد الزعماء البارزين فى حزب الكتلة الذى أنشأه مكرم عبيد بتشجيع ومساندة من الملك فاروق ، وكان هذا الحزب واحدا من أحزاب الأقلية التى كان فاروق يستخدمها فى

تحقيق أهدافه غير الوطنية ، ورغم التاريخ الوطنى اللامع لمكرم عبيد فأنه قد سقط فى هذا الخطأ الفادح عندما تحالف فى الأربعينيات مع الملك فاروق بسبب خلافاته الشخصية الحادة مع الزعيم الشعبى مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد.

هذه الأسباب كلها ربما كانت وراء امتناع عبد الناصر وزملائه عن التفكير فى أى محاولة لضم يوسف السباعى إلى جماعة الضباط الأحرار وأغلب الظن أنهم لو عرضوا عليه الانضمام إليهم لرفض وامتنع.

ولكن الذى حدث بعد نجاح الثورة أن عبد الناصر وزملاءه لم يجدوا من هو أقرب إليهم فى ميدان الأدب من «الضابط» يوسف السباعى ، فوقع اختيارهم عليه ليمثلهم فى هذا الميدان ، وسارع يوسف السباعى من جانبه فكتب روايته المعروفة «رد قلبى» وكانت أول عمل روائى يتحدث عن الثورة ويمجدها ، وقد تحولت إلى فيلم سينمائى قام ببطولته أحمد مظهر ، وهو أيضا ضابط من دفعة عبد الناصر ، ولكنه فيما أعلم لم يكن من الضباط الأحرار ، وشارك فى تمثيل هذا الفيلم عدد آخر من النجوم بينهم : مريم فخر الدين وشكرى سرحان وصلاح ذو الفقار وغيرهم، ،ولا شك أن قصة «رد قلبى» قد شجعت رجال الثورة على الثقة بزميلهم الضابط السابق : يوسف السباعى ، وقدمت سببا قويا آخر لاختياره كممثل لهم فى الحياة الأدبية.

نشط يوسف السباعى وقام بتكوين جمعية الأدباء فى مصر وأصبح مسئولا عنها ، ثم وصل – عن هذا الطريق– إلى رئاسة اتحاد الأدباء العرب الذى أشرف –كما أشرنا فى البداية –على مؤتمرات الأدباء التى كانت وما زالت إلى اليوم تنعقد فى العواصم العربية المختلفة كل عامين . وبمناسبة المؤتمر الثانى المنعقد فى الكويت سنة ١٩٥٨ وقعت أحداث هذه القصة.

أختار السباعى وفد مصر إلى المؤتمركما تعود دائما من العناصر الموالية له، وأدخل فى هذا الوفد بعض الأدباء ذوى الاتجاه اليسارى حتى لا يتعرض للاتهام بأنه تجاهل أحدا ، وأذكر أن الشاعر والكاتب الكبير الراحل عبد الرحمن الشرقاوى كان على رأس أعضاء الوفد المصرى ، رغم اتجاهه اليسارى المعروف ، والحقيقة أن الشرقاوى قد حرص على الارتباط بيوسف السباعى ارتباطا وثيقا منذ قيام الثورة حتى اغتيال

السباعى فى قبرص سنة ١٩٧٨ ، وكان الشرقاوى من أكبر أنصار السباعى ومعاونيه فى كل المواقف والظروف ،وكانت هذه الصداقة الغريبة والوثيقة بين الشرقاوى والسباعى ، بالاضافة إلى عوامل أخرى ، هى التى رشحت الشرقاوى ليحل محل السباعى كسكرتير للمجلس الأعلى للآداب والفنون وسكرتير لمؤتمر التضامن الأفريقى الآسيوى .

نعود إلى مؤتمر الأدباء العرب فى الكويت سنة ١٩٥٨ فقد وجهت الكويت من جانبها بعض الدعوات الخاصة لعدد من الأدباء الذين لم يقع عليهم الاختيار فى الوفود الرسمية ، وكان من بين الذين اختارهم الكويت لدعوتهم فى هذا المؤتمر : الدكتور محمد مندور الذى لم يكن عضوا فى وفد مصر ، أو بالأحرى وفد يوسف السباعى.

وكان المفروض أن يسافر مندور إلى الكويت بصفته الشخصية كنا قد كبير ، بالاضافة إلى ما كان معروفا عنه من جهاد وطنى طويل ،فقد كان مندور يتميز إلى جانب ثقافته الأدبية الرفيعة بثقافة سياسية وقانونية واسعة، وكان حتى قيام الثورة كاتبا لامعا فى صحف حزب« الوفد المصرى» بل لقد كان الكاتب الأول فى هذه الصحف ، وكان حزب الوفد قبل الثورة هو حزب الأغلبية الساحقة ، وقد أحتل محمد مندور مكانه فى مقدمة الكتاب والمفكرين فى هذا الحزب الشعبى الضخم ، بما كان يملك من سهولة فى التعبير وصدق فى الوطنية واتساع فى الثقافة وعمق فى الفهم للقضايا السياسية والاجتماعية والفكرية ، ومن هنا كان مندور أحد الذين نالوا- بالحق والموهبة والجهد- شعبية كبيرة ، كنا قد وكاتب سياسى وطنى واسع التأثير على جماهير القراء العرب.

ولذلك لم يكن غريبا أن تدعو حكومة الكويت محمد مندور لحضور المؤتمر الثانى للأدباء العرب بصفته الشخصية.

وفوجئ مندور وهو يحاول الحصول على إذن الخروج من «الجوازات المصرية» للسفر إلى الكويت بأنه ممنوع من السفر.

والتقيت بمندور فى مساء اليوم الذى عرف فيه بقرار منعه من السفر ، وكان ذلك فى مكتب سعد الدين وهبه ،الذى كان فى تلك الأيام ما زال يعمل كضابط شرطة ،ولكنه كان أيضا كاتبا شابا موهوبا يحاول أن يخرج من نطاق عمله فى الشرطة إلى المجال الواسع للحياة الثقافية والفنية ، وهو ما حققه بعد ذلك حيث أصبح من أبرز كتاب المسرح فى

مصر ،وكان سعد وهبة فى ذلك الحين قد أصدر مجلة ثقافية هى« الشهر» وبدأ المثقفون يترددون عليه كرئيس لتحرير هذه المجلة ، وكأحد الذين يملكون علاقات طيبة مع السلطة فى ذلك الحين ،وكان كثيرون من المثقفين يلجأون إليه لحل بعض مشاكلهم- وما كان أكثرها- مع أجهزة السلطة المختلفة ، ولم يكن سعد الدين وهبة يتردد فى بذل أى جهد فى هذا المجال ، وكان ينجح أحيانا فى مساعيه ،وفى أحيان أخرى كانت مساعيه تتعرض للفشل.

جاء مندور إلى سعد الدين وهبه يشكو من قرار منعه من السفر ، ويطلب إليه التوسط لرفع هذا القرار وفجأة وجدت مندور يبكى متأثرا مما أصابه ثم إزداد انفعاله فإذا به يشد شعره الأبيض ويقول بصوت خفيض تخنقه الدموع:

«ماذا فعل مندور حتى يتعرض لهذه الاهانات؟ ..هل يجوز بعد كل هذا الكفاح الوطنى والثقافى، وبعد كل ما قدمته للوطن وللثقافة العربية أن أجد نفسى بكل هذه البساطة هدفا لمثل هذه المواقف الصغيرة ؟»..

وكان هذا المشهد من المشاهد المؤلمة التى انطبعت صورتها فى قلبى ، ولا يمكننى أن أنسى هذا المشهد المحزن مهما طال الزمن ، أو ازدحمت الأحداث فى النفس والذاكرة.

كان مندور يومها فى الواحدة والخمسين من عمره ، وكان طويلا ضخم الجسم ، ذا وجه شديد التعبير والتأثير ، وكان شعره كله أصابه بياض الشيب فزاد مهابة على مهابته الطبيعية ، وفى مقدمة جبينه كان هناك أثر لجرح قديم تخلف من عملية جراحية خطيرة أجراها له فى رأسه سنة ١٩٥٠ الجراح الانجليزى «هارفى جاكسون» .وهى عملية استئصال للجزء الأكبر من الغدة النخامية الكائنة أسفل فصى المخ الأماميين ، وكان مندور مهددا بالعمى الكامل لو لم يقم باجراء هذه العملية الخطيرة ، وقد ظلت نتائج هذه العملية تأكل من جسده الصلب حتى توفى ١٩٦٥ وكان فى الثامنة والخمسين من عمره.

كان مشهد مندور وهو يبكى ويشد شعره الأبيض مؤلما ومؤثرا إلى أبعد الحدود، وقد أصابنى جمود كامل وأنا أتأمل هذا الصرح الكبير وهو فى هذه الحالة من الانهيار .كنت قد قرأت كل ما كتبه مندور، ثم تعرفت عليه شخصيا وأنا طالب فى الجامعة سنة ١٩٥٢

، وكان من حظى أن أقترب منه لفترات طويلة بعد ذلك، حيث كان يملى على بعض مقالاته بعد أن ضعف بصره ضعفا شديدا ، وكان مندور فى نظرى ونظر أجيال عديدة من المشتغلين بالثقافة رائدا ومفكرا كبيرا ، قضى زهرة عمره كلها فى خدمة وطنه وأضاف إلى الثقافة العربية والحركة الوطنية إضافات لاتنسى.

ومرت لحظات صمت بعد هذا المشهد المؤثر ، وعاد مندور إلى طبيعته وهدوئه ، فقد كان رغم اشتعاله الوجدانى والفكرى رجلا هادئا مهذبا شديد التحضر يحب الحوار مع الآخرين حتى لو كانوا من ألد أعدائه وأشد المختلفين معه ،كان ديمقراطيا صافى القلب والعقل ،وكان يدرك تماما أن الحوار والمناقشة والأخذ والرد هى الوسائل الصحيحة للتعامل الفكرى بين الناس ،وهى وحدها التى تحفظ كرامة العقل الإنسانى وتعبر عن هذه الكرامة . لقد كان مندور –فى كلمات موجزة –من أجمل وأعمق وأغنى الشخصيات التى عرفتها فى حياتى.

سألت مندور بعد أن عاد إلى طبعه الهادئ السمح: ولماذا يا دكتور تقرر منعك من السفر؟.

وأجاب مندور : «أنه يوسف السباعى لقد كتبت عنه كما تعلم منذ فترة مقالا أنقد فيه روايته «طريق العودة» وهى الرواية التى كتبها عن حرب ١٩٤٨ فى فلسطين ،وفى مقالى كشفت ما فى الرواية من ضعف فنى وفكرى وسياسى ،ولابد أن يعاقبنى يوسف السباعى بالطريقة التى تعود أن يعاقب بها كل من يتعرضون لأدبه بالنقد».

وكان ما يقوله مندور صحيحا ،فقد نشر مقاله النقدى عن رواية «طريق العودة» فى جريدة «الشعب» التى كان يصدرها صلاح سالم فى تلك الأيام ،وكان مقال مندور قويا ومقنعا ، وقد ترك صدى واسعا فى الحياة الأدبية ،مما أغضب السباعى ، وبدلا من أن يدافع عن نفسه لجأ إلى أسلوبه التقليدى فى عقاب مندور عن طريق أجهزة الأمن.

على أن يوسف السباعى لم يكن يستطيع أن يقف فى وجه شخصية فكرية ووطنية بارزة مثل مندور ، دون أن يكون هناك ما يساعده على ذلك، وقد كان هناك بالفعل عامل ساعد السباعى على أن يفترس مندور فى تلك الأيام ، وهذا العامل هو موقف ثورة ٢٣ يوليو من المثقفين الذين برزوا فى مصر قبل قيام الثورة ، وخاصة الذين ارتبطوا بالحركة

الوطنيـة ، وكانت صفحتهم بيضاء ناصعة ، فبدلا من أن تسعى الثورة فى سنواتها الأولى لكسب هذه العناصر وضمها إلى صف الثورة ، كانت الثورة على العكس تعاملهم بخوف وحذر وعدم ثقة وشك كبير ، وكان مندور فى مقدمة هؤلاء الذين كانت الثورة تخشاهم ،فقد كان مندور وفديا ، وكان الوفد فى مقدمةالقوى السياسية الكبرى التى أرادت الثورة أن تتخلص منها حتى تمكن رجالها من العمل بحرية ، وحتى تخلو الساحة أمامهم لتنفيذ أفكارهم دون أن يعوقهم عائق أو يسعى إلى مشاركتهم فى السلطة والرأى شريك قوى آخر مثل حزب الوفد.

ولقد كان موقف الثورة من المثقفين الوطنيين البارزين فى سنواتها الأولى خسارة كبرى للحركة الوطنية ،وخسارة كبرى للثورة نفسها ،حيث فقدت الثورة الكثير بشكها فى هؤلاء المثقفين وعدم ثقتها وإتاحة الفرصة لاعدائهم «من أمثال يوسف السباعى» حتى يبالغوا فى الإساءة إليهم ووضع العقبات فى طريقهم ،وحتى تخلو الساحة ويصبح المجال واسعا وفسيحا للسباعى ولمن يختارهم ويفرضهم على الحياة الثقافية ويدفعهم إلى الأمام من أصدقائه وأعوانه.

لقد كان هذا الموقف أحد الأخطاء الأساسية لثورة ٢٣ يوليو الوطنية ، وخاصة فى المرحلة الأولى من تاريخها ، وكان مندور أحد الضحايا البارزين لهذا الخطأ وظل حتى وفاته يعانى من مواقف مشابهة للموقف الذى تعرض له عندما دعى لزيارة الكويت والاشتراك فى المؤتمر الثانى للأدباء العرب فوجد نفسه ممنوعا من السفر ، حتى مات ولديه إحساس بالمرارة والقهر فى مايو سنة ١٩٦٥ ، وكان آخر قرار تعرض له من هذا النوع هو قرار فصله من جريدة الجمهورية فى صيف ١٩٦٤ ، أى قبل وفاته بأقل من عام ، لعل عقدة العسكريين » المريرة فى نفس مندور هى التى دفعته إلى توجيه ابنه «ماجد» إلى أن يكون ضابطا فى الجيش المصرى ، وقد أصبح ماجد بالفعل من ألمع الضباط المصريين ، واشترك فى حرب ١٩٧٣ ، وتشاء الأقدار أن يموت «ماجد مندور» سنة ١٩٨١ -فيما أذكر -فى حادثة انفجار طائرة الفريق أحمد بدوى وزير الحربية فى ذلك الحين مع عدد آخر من ألمع ضباط الجيش المصرى . ولو أن مندور كان ما يزال حيا عند مصرع ابنه ماجد لقضى عليه هذا الحادث الأليم ،فقد كان مندور شديد التعلق

بأبنائه ، وكان يحبهم حباً قويا نادرا ، ولا شك أن هؤلاء الأبناء كانوا مصدر السعادة والعزاء بالنسبة له فى كل المحن التى تعرض لها وعانى منها أشد المعاناة.

وبعد وفاة مندور لم يلتفت أحد إلى تكريمه بما يستحق ، فليس فى القاهرة ولاغيرها شارع يحمل اسم مندور ، وليس فى كليات الآداب أو الاعلام مدرج واحد يحمل اسمه ، ولا أعلم أن أكاديمية الفنون قد وضعت اسمه على أحد مدرجات معاهدها العديدة ، رغم أن مندور قد خدم الدراسات الأدبية والاعلامية والنقدية خدمات نادرة عظيمة القيمة والأهمية.

ولن أنسى ماحييت مشهد مندور العظيم وهو يبكى ويشد شعر رأسه الأبيض.

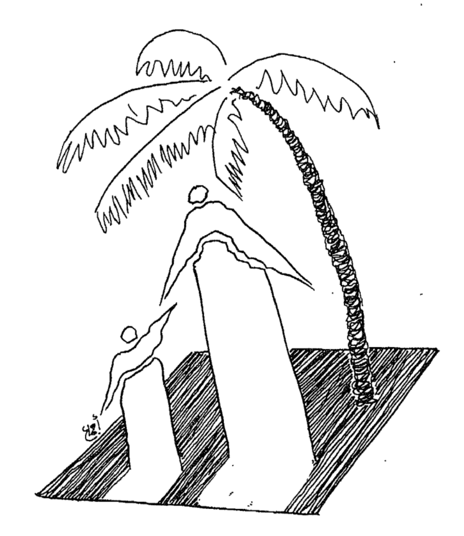
ولن أنسى احساسى العميق فى ذلك اليوم بأن الثورة قد خلقت فجوة لا مبرر لها بينها وبين كثير من المثقفين الوطنيين ، ولم تقع الخسارة على هؤلاء المثقفين وحدهم ، بل كانت الخسارة للثورة نفسها ،فقد خسرت الثورة بهذا الموقف قوة مستنيرة وفعالة ومجربة كان يمكن أن تجنبها الكثير من المتاعب والأخطاء ، وكان يمكن أن تساعد الثورة على أن تمضى بسفينة الوطن كله فى طريق أكثر أمانا وسلامة.

ولقد كان من الأجدى على الثورة أن تعمل بحديث نبينا الكريم والذى قال فيه للمسلمين الأوائل :

«خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام» وكان المفروض على الثورة أن تعمل بما قاله أحد الزعماء المعاصرين من «ضرورة بناء المجتمع الجديد بالطوب المتبقى من المجتمع القديم» ولكن الثورة وخاصة فى سنواتها الأولى أبعدت الكثيرين ممن كانوا «أخيارا» قبل قيام الثورة، كما استغنت عن الكثير من الطوب الصالح المتبقى من المجتمع القديم.

ولقد كان المستفيد من هذه الفجوة بين الثورة والمثقفين هم من عملوا منذ البداية على خلقها وتوسيعها لكى ينفردوا بثقة السلطة ويستفيدوا منها بغير منافس أو شريك.

يبقى بعد ذلك سؤال أخير وهو : هل نجحت المساعى التى بذلت لسحب قرار منع السفر إلى الكويت بالنسبة لمندور؟ وفى ظنى -إذا لم تخنى الذاكرة- أن هذه المساعى قد نجحت بعد مجهود كبير شاق، وأن مندور قد شارك فى مؤتمر الأدباء العرب الثانى على



غير ارادة يوسف السباعى . رغم أن مشاركة مندور فى هذا المؤتمر لم تمنعه من التعرض لمتاعب أخرى عديدة من هذا النوع بعد ذلك ولم تشف نفسه الكريمة من الشعور بالمرارة وعدم الانصاف، حتى النهاية.

«إن الحل الطبيعى لمشكلة الفقر فى البلاد سيحتاج بلا ريب إلى استغلال أتم لمصادر ثروتنا وتنمية انتاجنا العام، ولكنه أيضا متعلق أشد التعلق بمشكلة التوزيع ، ولهذا لا نستطيع إلا أن نؤيد الاقتراح الذى تقدم به الشيخ المحترم محمد خطاب إلى المجلس لوضع حد أعلى ، كما أننا ما زلنا نطالب باتمام تشريعات العمال والفلاحين بوضع حد أدنى لأجورهم وتنظيم وسائل التأمينات الاجتماعية التى تقيهم شر التعطل والشيخوخة والمرض وذل الاحسان»

مندور: «الوفد المصرى» ١٩٤٥/٤/١١

طه حسين هو السبب

محمود شاكر

لجان الترقيات سرية فى جامعات العالم كله ، ولا يجوز افشاؤها تحت أى ظرف ، ولو كان هذا الظرف هو كوننا نعيش «عصر الشفافية وتداول المعلومات» كما يقال . إننا لو سمحنا بنشر التقارير فى حالة واحدة ، لتفشى الأمر وأصبح شائعا فى كل جامعات مصر ، وسيصبح الأمر مسخرة . من يريد ان يرفض قرارا فليتظلم داخل الجامعة أو فليرفع قضية.. إنما يلجأ إلى السخافة المسماة خطأ بالصحافة فلا وألف لا . إن حوادث عدم الترقى لأى سبب من الأسباب تحدث كل يوم فلماذا الضجة ولماذا تسريب المذكرات ؟ لقد بلغت د.نصر أبو زيد برأيى ، أو أخرين . ثم أن هناك خطأ فى الربط بين قضية نصر أبو زيد وقضية طه حسين فالأخير كان له كتاب منشور وكان يدرس ما فيه بالجامعة أما د. نصر فيدرس غير ما يكتب ، ما يكتبه فى الخارج هو حرفية . لقد أصبحت الأمور كلعب العيال بعد أن فعلها طه حسين.

كان طه حسين بلا ضمير ، وكان يتستر تحت لافتة حرية الرأى والتعبير ، وليس التقدم وليد حرية الرأى إنما هو وليد أسباب أخرى . يجب أن نتعلم أصول الأشياء ، بدلا عن المشى فى الركاب.



تحية إلى مصطفى زيور

مصطفى صفوان

درست الفلسفة بكلية آداب الاسكندرية خلال سنوات الحرب ، وكان من حسن حظى أن تتلمذت على ثلاثة أساتذة لم أر مثلهم محبة للعلم والتعليم ، وإن اختلفوا بعد ذلك أيما أختلاف .

كان الأستاذ يوسف كرم رجلا يؤمن بالعقل وبقدرة العقل على إثبات وجود الله على النسق المأثور عن القديس توما الاكوينى ، فكان الدرس عليه انكباباً على النصوص فى المحل الأول ، ولقد يبدو هذا النهج –وهو النهج المأخوذ به فى العصور الوسطى – نهجاً

عقيماً ، لفظياً ، ولكنا نعلم اليوم ، بعد أن رجعت الفلسفة المعاصرة إلى الاهتمام بالإشكالات التى كانت تدور حولها المناقشات الحامية فى تلك العصور (كالإشكال اللامتناهى أو إشكال القضايا المحيلة إلى نفسها)، أن هذا النهج- فضلا عن كونه مرانا لا يستغنى عنه فى فن القراءة -ليس فى الواقع مثله فى شحذ الذهن وحمله على إتيان التمييزات الدقيقة (كالتمييز بين أنواع التضاد ، مثلا).

على الضد من ذلك ، كان الدكتور أبو العلا عفيفى -رغم أنه أكبر من تعمقوا فلسفة محيى الدين ابن عربى التصوفية -لا يرى لقضية فضلا على أخرى إلا إذا وجدت سندا من التجربة الحسية ، أى أن موقفه كان موقفا شكياً فى المقام الأول ، ولقد يبدو هذا الموقف للبعض موقفا هداما ، سلبيا ،.ولكن الحقيقة هى أن كل مناقشة مع الدكتور عفيفى كانت درسا فى التسامح الفكرى وفى التصون عن الانسياق لنهم المعرفة انسياقا يجعل المرء يبتلع أى رأى.

يتبين من هذا الكلام أن الدرس على هذين الأستاذين الجليلين- دام ذكرهما -كان بمثابة دخول فى تقاليد فكرية عريقة ومراس عليها . ومنه يدرك القارئ مدى دهشتنا حين جاء الدكتور مصطفى زيور للتدريس بكليتنا عام ١٩٤٠-١٩٤١.

كان للدكتور زيور أسلوب فى التعليم لم نكن نحلم به رغم جميع ما سبقت لنا قراءته عن سقراط : أسلوب لم يكن تلقينا بل استماعا .كان الدكتور زيور يكتفى بعرض المسألة (ولتكن مسألة الحتم النفسى)ثم يستفسرنا . ولم يكن هذا الاستفسار إخراجا للمضمور وحسب -علمنا به أو لم نعلم -بل هو كان قبل كل شئ الفرصة الأولى التى أتاحت لنا الخروج من سجن البرامج الجامعية والوعى بوجودنا فى هذا السجن ،فقد كنا إذا أدلى أحدنا برأى أجابه الدكتور زيور باستفساره فى صدد آراء أخرى لمفكرين لم يكن علمنا بهم يزيد على علمنا بأسمائهم ، مثل هيجل أو هيدجر ، بل كنا أحيانا نجهل حتى أسماءهم : سارتر ، فيتجنشتاين ، بوبر .إلخ.

وواضح أن هذا الأسلوب فى التعليم كان يتضمن فوق الانتباه إلى الرأى الانتباه إلى صاحب الرأى نفسه . وربما لا أكون مخطئا إذا قلت إن الدكتور زيور كان يصدر فى هذا الانتباه إلى أشخاصنا عن رغبة فى توسم من يصلح تجنيدهم لقضية التحليل

النفسى التى لم يكن يخفى علينا أنها كانت شغله الشاغل . وهكذا امتد تأثير الدكتور زيور امتداداً تغيرت به الحياة كلها ، لا الفكر وحده.

صاحبت الدكتور زيور فى رحلته بعد الحرب إلى فرنسا حيث أثبت خطواتى الأولى فى مجال «القضية» وحيث انصرف هو إلى صياغة نظرية فى الدلالات النفسية العميقة للأعراض الجسمية- النفسية تكونت حولها مدرسة لا تزال تعد حتى اليوم المدرسة الفرنسية الأولى فى هذا الميدان . وإنه ليسعدنى أن أقول إن الحالة الوحيدة التى تاح لى فى ثنايا تحليلها إلقاء بعض الضوء على عرض من هذا النوع (قرحة فى المعدة) جاءت تؤيد نظرية الدكتور زيور مائة فى المائة.

ثم عدت إلى مصر للعمل بقسم علم النفس بجامعة عين شمس الذى كان يرأسه الدكتور زيور فوجدته قد أثار حركة كبيرة فى ترجمة أهم نصوص التحليل النفسى ، حركة لا أحتاج إلى وصف ثرائها المدهش بالقياس إلى قصر زمنها ، ولكنى أود أن أؤكد دون مغالاة أن جميع الترجمات العربية التى أشرف عليها الدكتور زيور لا تقل فى دقتها وطلاوتها عن أحسن الترجمات الموجودة إلى اللغات الأخرى.

هذا الإنتاج الغزير أكبر دليل على أن تلامذة الدكتور زيور لو مكثوا بأرض الوطن لتكونت منهم مدرسة لا تقل خصوبة وابتكاراً عن مثيلاتها فى أى بلد آخر . ولكن العواصف التى اجتاحت بلدنا بما ترتب عليها من القطيعة بيننا وبين كل نتاج فكرى يعتد به فى الخارج فاقت احتمالنا جميعاً .. إلا الدكتور مصطفى زيور: فقد صمد وحده لها.

فأما كيف صمد وهو الذى كون مدرسة بفرنسا خلال إقامة لم تزد على السنتين بينما انفض الجميع من حوله بمصر، فلهذه فى نظرى معجزة أعترف أنى أذهل لها.

لقد عرفت الدكتور زيور فى البدء مثالا نادرا للمعلم، وإنى لأحيى فيه الآن مثالا منقطع النظير للوفاء للوطن.

دراسة



محمود بقشيش

ألفت الروبى بين الرحيل والإقامة

فريال جبورى غزول

الرحيل النهائى لعزيز علينا يضعنا دائما فى معضلة وتحد، فبالاضافة إلى مشاعر الأسى والفقدان وإلى الشعور بفراغ لا متناه يطوقنا ويحاصرنا ، نجد أنفسنا متشبثين بكل ما تبقى لنا من العزيز الغالى ، نحاول أن نستبقيه فى الذاكرة ، ونستحضره فى العيش.

تتداعى صور ألفت الروبى فى ذهنى عبر مونتاج عجائبى .. يسقط الفاصل الزمنى بين أول مرة التقيتها وآخر مرة ، وما بينهما أكثر من عشرين عاماً من صداقة وألفة وأنس ومحبة .. يسقط التعاقب الزمنى فتتجاوز الصور ويتداخل المشهد بالمشهد : ألفت

بنضارتها وجمالها الأخاذ ، ألفت بضحكتها الصافية وببريق عينيها ، ألفت باناقتها وبساطتها ، ألفت بتطلعها الفكرى وسعيها العلمى ، ألفت بتصميمها على البحث والتساؤل ، وألفت باحساسها بالآخر ، ألفت قبيل زفافها لعبد الحميد .وألفت بعد ما خلفت زياد الصغير . ألفت فى شقتها القديمة ثم الجديدة .. ألفت أستاذة قديرة فى مدرج جامعة القاهرة لمناقشة الطالب النجيب الذى أشرفت على رسالته ومحورها أدب محمد البساطى .وألفت زميلة وصديقة حميمة فى مكتبى فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة نرتشف شاياً ونتبادل أفكاراً ..ألفت وهى تراجع ترجمة لمقالة تودوروف فى العدد الأول من «ألف» عام ١٩٨٠ ، وألفت وهى تسلمنى مقالتها عن مى زيادة فى العدد ما قبل الأخير من أ«ألف»عام ١٩٩٩ .كل حضورها الذى أتمثله بأبعاده الثلاثة وكل حيويتها المتدفقة التى أحس بها وأتلمس اندفاعها ، كيف يعقل أن تغيب وترحل؟ وبكل هذا الهدوء -دون تذكر أو توجس -مستمرة حتى آخر لحظة بالاهتمام بمشاعر الآخرين ، فتطلب منى ، وأنا أزورها بالمستشفى ، توصيل محبتها وسلامها لصديقتنا المشتركة جارتى ماجدة رفاعة» التى سبق أن عادتها قبلى بفترة قصيرة . حنانها وحنوها تلازما مع صلابتها واستقامتها ، فكانت نموذجا نستقى منه قيمة نادرة تتقاطع فيها الارادة بالإنسانية.

إن رحيل عزيز علينا أمر أكبر من مسألة البعد والفراق . إنه استئصال لجزء من ذاتنا واستقطاع من كينونتنا . إنه فعل تناقض ذاتى ، إنه موتنا بالتقسيط ، قسطا قسطا مع كل عزيز يرحل .. يرحلون فيبتسر وجودنا شيئا فشيئا ، ويتقلص الحيز المتاح لذواتنا المنكمشة ، ولكن صراع الحضور والغياب يحتم علينا أن نقلب المعادلة ، فبقدر ما يغيب العزيز غياباً حسياً بقدر ما يمكن استحضاره استحضاراً معنوياً ، وبذلك يصبح رحيله إقامة فى أعماقنا ، وبقدر مانحيا بقيمه ونمارسها بقدر ما يكون مقيماً فى جوانحنا ، ومستكملاً لحياته عبر مسيرتنا.

تساءلت وبشكل ملح ، بعد رحيل ألفت فى الأسبوع الماضى ، ما هى تحديداً القيم التى شدتنى إلى ألفت ؟ وما ملامح مشروعها الذى جذبنى إلى مداره ؟ كلنا أحببنا ألفت بتلقائية وعفوية ، فقد كانت «تنحب» ،كما نقول بالعامية العراقية . لم ندخل فى التفاصيل

ولم نسـأل لماذا هى بالذات ، ولم نحلل أسـباب حـبنا .. أحـببناها هكذا ، دون تخطيط مسبق ودون مبررات واعية . لكن برحيلها عنا وبرغبتنا فى تمثلها والتماهى معها ، بدأت أبحث بشيء من التـأمل والتجرد فى هذا الجانب من ألفت الذى جعلها قريبـة من كل من عرفـها ، بمن فى ذلك زملاؤها وطلابها وأسـاتذتها ، أهلها وجيرانها ومـعارفـها ، وكل من تعرّف عليها. فى ألفت اجتمع ضدان قلما يجتمعان : الرقة والدقة . كانت ألفت رقيقة فى تعاملها ودقيقة فى معاييرها ،جمعت بين الحنو الأمومى والصلابة الأخلاقية ، وكانت امرأة من حرير وحديد ، قاومت مرضـها كما قاومت أمراض المجتمع كلهـا– بدءاً بالنفاق وانتهاء بالوصولية –وضربت لنا مثلاً فى الصمود على جبهات متعددة وفى آن واحد ، دون الوقوع فى حبائل التسليم والاستسلام ، واستمرت محافظة على لياقتها البدنية والنفسية حتى آخر لحظة.

لقد بدأت ألفت الروبى مشروعها البحثى على أسس راسخة ،فقد ركزت فى كتابها الأول الذى نشر عام ١٩٨٣ بعنوان« نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: من الكندى حتى ابن رشد على التراث الفلسفى والتنظيرى حول الشعر . ومن دون شك كان اختيارها لهذا الموضوع الصعب لتستهل به مشوارها العلمى دليلا على رغبتها فى القراءة المتمعنة فى تراث الجماعة فى أوج تألقه وخاصة التراث العقلانى . وكان اختيارها لمفهوم الشعر من أول فيلسوف عربى إلى آخر فيلسوف عربى فى الحقبة الوسيطية يعنى أمرين: أولهما ، اختيار الجنس الأدبى العربى بامتياز ، ألا وهو الشعر ، ديوان العرب ، وبالتالى فهناك سعى نحو الكشف عن فن أدبى مركزى فى الحضارة العربية . وثانيهما فى رأيى اختيار القول الأدنى قيمة فى سلم الأولويات العقلية عند الفلاسفة، حيث تبوأ البرهان أعلى مرتبة فى الإقناع والشعر باتكائه على التخييل والخيال أوطأ مرتبة . هذا التفاوت فى تقييم الشعر بين جماهيريته عند العامة واستحسان الثقافة الرسمية الوسيطية له من جهة والنظرة المتعالية عليه عند النخبة المفكرة كانت وراء استغراق ألفت فى هذا الموضوع الشائك فى تقديرى . ويعزز من رؤيتى هذه لمنطلقات ألفت كونها رجعت إلى استنطاق هذه الإشكالية فى كتابها الثانى المنشور عام ١٩٩١ بعنوان «الموقف من القص فى تراثنا النقدى» ومن المعروف أنه على

الرغم من شيوع القص في العصر الوسيطي ، سواء كان قصاً شفاهياً وشعبياً أو مدوناً ورسمياً . لم يحتف النقد العربى القديم به ولم ينظر إليه كما فعل مع الشعر، وبالتالى فقد بحثت ألفت عن الموقف النقدى من القص وذلك عبر التنقيب فى المصادر وعيون الكتب لتبلور لنا ما كان شذرات وتضمينات ، وبذلك ألقت الضوء على سياق النظرة الدونية للقص في الحضارة العربية الوسيطية وفى هذه الدراسات القيمة والإضافات المهمة كانت ألفت تستكشف أسس النسق الحضارى القديم مشكلة لنفسها ولقرائها الإطار الذى لابد منه لفهم خلفية الحاضر الثقافى . فسواء أردنا التواصل مع تراثنا أم الخروج عليه فلا بديل من معرفته كما تشير مسيرة ألفت الروبى علينا . إلا أن التراث الحضارى لا يقتصر على البارز منه والمتصدر فيه . إن دراسة التراث تعنى تحديداً دراسة المعترف به والمسكوت عنه أيضا ، المركزى والمهمش . من هنا نفهم لماذا عكفت ألفت على ثنائية الشعر والقص فى تعاملها مع التراث الأدبى ، ولماذا أهتمت بمفاهيم النخبة الفلسفية ومجمل الرؤى النقدية مستشفة المسطور والممحو من التاريخ النقدى ،. وفى إطار ثنائية أدب العوام وأدب الخواص.

لم تكتف ألفت بقراءة التراث متقوقعة فى مصادر بل كانت منفتحة على الدراسات المعاصرة للتراث ،كما كانت مطلعة على مسار النظرية الأدبية العالمية . ولكون ألفت متشبعة بتراثها ومن مصادره الأولى ولكونها بنت عصرها فقد كان اطلاعها على التيارات الجديدة فى الأدب والنقد مفيداً لها دون أن يبهرها فتقع تحت سطوته وسلطانه .كانت تدخل فى جدل خلاق مع الجديد دون أى ادعاء أو مزايدة ، فالوافد بالنسبة لها زاوية تناول قد تساعد فى حل معضلة ، ولم تكن أبداً تابعة لآخر الموضات النقدية ،. وإن كانت مواكبة للتغيرات فى عالم الفكر والأدب.

انطلق اهتمام ألفت بكتابات المرأة العربية فى العصر الحديث من إحساسها بالغبن الذى أصابها والذى غيب دورها المهم فى النهضة الأدبية فى مجالى نشوء الرواية العربية وفى النقد العربى الحديث .

إقامة ألفت الروبى بيننا ستكون بقدر ما نتبنى قيمها وننخرط فى مشروعها الثقافى ، وبقدر ما نستشف إنسانيتها التى تكاد تتوارى تحت الضغوط المعيشة والابتزاز اليومى.



محمود نقشبش

التراث الإسلامى شهد الاختلاف الفكرى

د. محمد أحمد خلف

يحسن بنا أن نميز بين نوعين من الدراسات اللغوية: النوع الأول هو الدراسات التى تدور حول البناء اللغوى ، والنوع الثانى هو الذى يدور حول وظيفة اللغة. والدراسات حول المحور الأول يقوم بها اللغويون بصفة خاصة ، أى الذين يتخصصون فى دراسة اللغة فيدرسون عنصرا من عناصرها مثل النحو أو الصرف أو الاستنطاق أو اللهجات.

والذين يدرسون المحور الثانى ، وهو الوظيفة اللغوية ، يكونون فى الغالب من علماء الاجتماع أو علماء التربية أو إلى ذلك من المتخصصين فى الإنسانيات.

ويقتضى الأمر معرفة أن المحور الثانى تقوم الدراسة فيه على أساس أن الوظيفة اللغوية يمكن دراستها فى أى لغة من اللغات ، ومعنى ذلك أنها دراسة تقوم على أن اللغة ظاهرة بشرية تكون لها وظيفتها الواحدة فى كل المجتمعات البشرية.

أمـا دراسة المحـور الأول فـهى دراسـة المختصين فى اللغة التى يدرسـونهـا ، إذ أن موضـوعات الدراسة فيها هـى من الظواهر اللغوية الخاصة بالأمة التى تدرس لغتها ليس غير.

وإذا ما رجعنا إلى د. لويس عوض نجد أنه قد يستطيع الحديث عن الوظيفة اللغوية . أما الحديث عن فقه اللغة العربية فليس يستطيعه إلا المتخصصـون فى دراسـة اللغة العربية.

وليس يخفى أن د. لويس عوض ليس واحدا من هؤلاء . هذا من ناحية .

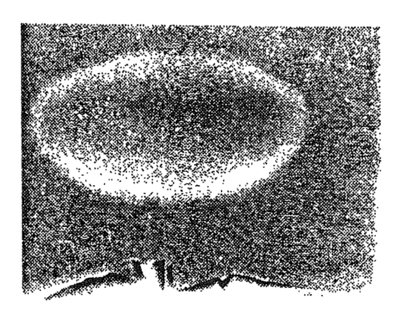
ومن ناحية ثانية فإن د. لويس عوض يريد أن يطبق فى ميـادين الدراسات اللغوية الخاصة باللغة العربيـة القواعد التى عرضها عن دراسات فقه اللغة فى لغات أخرى غير العربية.

وأرى أن هذه القواعد الخاصة باللغات الأخرى لا تنطبق بأى حال من الأحوال على العربية . وأقدم هنا دليلا واحداً ، وهو أن اللغويين العرب حينما درسوا الأصوات فى اللغة العربية درسوها من حيث إحداث الصوت . ومن هنا اهتموا بمخارج الحروف وبما يترتب عليها من لهجات.

أما الدراسات الصوتية الأخرى . وخاصة فى اليونانية واللاتينية ، فإن الاهتمام يقع على كيفية استقبال الاذن للصوت ، وليس احداث الصوت.

أمـا عن مـصـادرة الكتـاب من قبل الأزهر، فأنا لا أوافق على هذه المصـادرة لسـبب بسيط جداً ،وهو أن الثقافات الإسلامية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت حرة طليقة ، بمعنى أن العقل العربى كان يجول فى الآفاق المختلفة. وليس أدل على ذلك من أن علماء التوحيد كانوا يتحاورون فى وجود الله ذاته وفى وحدانيته . وقضية «ابن حنبل» فى طبيـعة القرآن وهل هو قديم أو حـادث ، هى خيـر دليل فى هذا المقام . فلقد كـان الحوار ساخنا فى هذه القضـايا . ثم أن الخلاف الناجم عن الحوار الحر الذى سجلته الفرق الدينية المختلفة فى كتبها دليل ناصع وسجل معروف ،ومن شاء فليرجع إلى إخوان الصفا وكتب التوحيد وكتب التفسير ، وسيجد خير دليل يقدم فى قضية الحرية الفكرية أيام الدولة الأموية والعباسية الأولى بصفة خاصة.

نقد



محمود بقشيش

النزول إلى البحر :
كتاب صغير بقلب كبير

بمناسبة صدور الترجمة الانجليزية لرواية جميل عطية ابراهيم «النزول إلى البحر»

ابراهيم فتحى

المقابر التى يسكنها الأحياء رابطة درامية بين مساحات شاسعة للمعنى ، وتحت الموت منابع حيوية عميقة ، يندفع بحرها فى تلقائية لا تعرف الوعى غالبا ، ولكن هناك على الرغم من ذلك لحظات وعى تعطيها الرواية كثافة رمزية . فالموت وهو المعادل لفترة شلل وتدهور قومى تغطيه الرواية بصور حياة صاخبة . وبعض هذه الصور آلية فارغة ولكن هناك محاولات واضحة لبناء صورة لتجديد الإنسان فى مصر أو ترميمه . وتترك الرواية هذا الإنسان الجديد المتخيل على عجلة الخزاف فى المراحل الأولى لصنعه وهدمه أو

اليأس من صنعه ، ولكن المحاولات الجديدة والتساؤلات حول مغزى المحاولات القديمة لا تنتهى وداخل الجثث الحية والتعفن الفكرى والأطراف المقطوعة تتخبط رغبات ما تزال فى مرحلة التبرعم لتجديد الذات وتعميق الصلات مع منابع الحيوية . ولا تتغنى الرواية فى سذاجة بتجارب التطهير والصهر والتنقية عند بعض الأبطال بل تتطلب فى إلحاح عمادة بالنار بعد عمادة الماء والانتقال من قدر يخضع له الناس إلى مصير يساهمون فى تشكيله.

فالرواية لا تصور حشدا مندفعا من أحداث صغيرة متوالية ،ولاسيلا من الوقائع مهما تكن صادقة ولا تستمد قيمتها من أنها تنقل إلى القارئ العربى وقارئ الانجليزية حضورا حاداً لوقائع مجهولة غائبة عن الكتابات السطحية السائدة الآن. إنها لا تكتفى بنقل مركز الاهتمام من المياه الضحلة إلى البحر العميق للقاهرة فى المقابر ، الجحيم ،الفقراء ، الجياع اللصوص .الأغنياء التجار العاهرات الشواذ المخدرات العالم الغريب المجنون المملوء بالناس الطيبين (مقدمة**Introuduction** فرانسيس ليارديت**By liardet**الانجليزية) .على الرغم من أهمية ذلك . فالرواية لا تعتمد على الموضوعية الزائفة بل تقدم ارتيادا يسير فى اتجاهات متعددة لتجربة الوعى القومى التاريخى فى مصر ، وعى المصريين بذواتهم . وما تنجح الرواية فى تحقيقه على الرغم من إخفاق كل أبطالها هو خلق الشعور بتغيير حاد فى وعى المصريين بمصيرهم القومى ، ورفع الوجود اليومى الممزق إلى لحظة خاصة متماسكة إلى وعى فى ذهن القارئ يكاد أن يكون واقعة صلبة . فهذه اللحظة التى يمكن استقطارها **To Dis Till** من الرواية هى لحظة هجر **To Abandon**الطرق المألوفة جميعها على الرغم من تناقضها ، واختيار مشروع**Project** اخر لوجودنا كله . فالرواية تتطلب « انقلابا » فى الوعى هو الذى يحمل صفة الواقعية الحقة على الرغم من أنه أمنية تعد بها كل الاخفاقات السابقة فهو الذى يحطم قشرة العادات التى تصلبت عند الأطراف المتصارعة جميعا ، لتنبثق حرية جديدة . ولبنية الرواية هذا الطابع الانقلابى فى النظرة والموقف . كل الأنهار تصب فى البحر والبحر ليس بملآن . فهل سينزل أصدقاء جميل عطية فى إهابهم الجديد ووعيهم الجديد بحرا جديدا يحمل الاسم القديم نفسه ؟.

إن وقائع الرواية لا تتكوم الواحدة فوق الأخرى ولا يتشكل بحرها من إضافة قطرة إلى قطرة بل تتصارع التيارات والقيم فى نظام مفتوح لم ينغلق ، فلم يكن هناك قط انفصام بين اللحظة الشعرية (الأصطباغ الذاتى القيمى**Subjec Evoluation**

الواقعة المحضة على طول الرواية . وتبحث الرواية عن إطار عام فريد يقترح للوقائع والملامح والمواقف معنى مختلفا . وتلك النظرة الشاملة تخترق الزحام وترده إلى وحدة وتكامل . وترى مصر فى الأسمال رائعة ، مصر التى ما تزال على عجلة الخزاف . وهو خزاف يعمل دون كتالوج مواصفات جاهزة . إن جميل عطية لا يصور بقايا حدث ما بقدر ما هو خالق عالم لبناته لحظات يرى معظم الناس فيها الرحلة البحرية للحياة شيئا صغيراً ، تافها مملا سوقيا عمليا ، تخترقها مع ذلك وتختلط بها لحظات يرى بعض الناس فيها تلك الرحلة اكتشافا لأرض جديدة وسماء جديدة.

وتقدم الرواية «نظاما» من الأدوار السياسية لأهم شخصياتها ولأقلهم أهمية فى نفس الوقت . غبريال أفندى يموت معذبا فى السجن دون أن يعترف على أحد فى بطولة معزولة عقيمة لا تترك أى أثر إيجابى . إنه ينقذ رفيقه الدكتور صادق الذى يتحول إلى متسلق ووصولى من أثرياء الانفتاح ، يستخدم الرطانة **Cant** اليسارية لتجميل كل أشكال النهب .فالقطبان المتعارضان هما ممثلا المبادئ المجردة وممثلا الزحف على البطون والانتهازية وبين المثالية والسوقية يتدرج الأبطال والبطلات : وأهمهم الدكتور صابر ذلك الرمز الناصرى للجمع بين الشعارات المحلقة فى السماء والتكيف على المكاسب الأرضية ، وتشيع الرواية جنازته الخرافية باحترام شديد . إنه لا يؤمن مثل غبريال افندى بأن السمكرية والسباكين والأيدى العاملة فى وضعها الراهن يجب أن يصنع لهم تمثالا يقف على تل عال فى مواجهة الشمس أو أن يعتبرهم مثل أمير الحواديت المتنكر فى أوفرول جاء لينقذ العالم ، بل يعمل صابر بشرف لانقاذ المرضى ويفتتح عيادة للفقراء ويساعدهم ولا مانع لديه من اغتصاب ممرضة فى شبابه أو شراء وثائق مسروقة بثمن بخس فى اكتمال نضجه . إنه ليس حالما بسبارتاكوس على الصليب بل هو هنا والآن فى المقابر مع سوء التغذية والولادات المتعسرة . وهو على علاقة طيبة الآن- فى عصر الانفتاح -بالفقراء الفخريين**Honorary Poor** من أبناء الطبقة الميسورة أو متعلمى الطبقة الوسطى .هواة إنقاذ العالم بالكلمات الثورية ، ومحترفى إنهاض الأمة: طوبى للعاملين بالقطعة لأنهم سيمزقون قطعا**Blessed are the workers by the pice because they will be torn to pieces** إنهم فى الأدب الاشتراكى الزائف يتحدثون عن جحيم بولغ فى تسخينه **Over heated- hell**ويقومون باختراع أهوال ثمينة صغيرة غبية فى العصر الملكى وانتصارات سريعة حتمية فى أدب معسول **Confe cionary**

عن التفاؤل التاريخي وتصور الرواية أن معظمهم أو معظمهن **literature** يرتدون ملابس داخلية من الحرير تحت أوفرول النضال.

وهناك تنويع آخر على لحن الناصرية عند الشخصية الرئيسية فى الرواية «سيد» بعد إنتهاء المزيج الاشتراكى القومى بالانفتاح الساداتى(كما تنتهى عيادة صابر الشعبية إلى مخالب تاجر بالطب) وهو يتساءل: هل ينقسم سكان المقابر إما إلى ديدان تعسة أو أبطال شجعان؟.

ويحاول سيد بعد اخفاق الحلم الناصرى وفقدانه الحماس وفقده ساقه الواقعية والمعنوية أن ينزل إلى المعترك مرة ثانية ،فالمرة الأولى لا تكفى ، بل ربما لم يكن قد هزم أصلا فى معركة خاضها بالفعل ، فالناصرية كانت تمنع الناس جميعا من الاشتراك معها فى المعارك وتكتفى منهم بالتصفيق الحار.

وفى هذا النظام من «الشخصيات» من شهداء مملكة اليوتوبيا وبيروقراطى وبصاصى جمهورية الاشتراكية والمرتدين المولعين بالثراء وأنصار الاسعافات الأولية فى الخدمات الإصلاحية الفردية تلوح أمام الأنظار بعد موت الدكتور صابر وإخفاق التهجين **Hy-berdization** بين القيم الشعبية والزخارف السوقية خانة شاعرية **An empty slot**. إنها بمثابة الإجابة عن السؤال الأساسى للرواية .. كيف يمكن الوصول إلى وعى حقيقى عيانى وليس شعارات مجردة، وعىَ للناس فى مصر بذواتهم وشروط وجودهم ، ومستقبلهم وليس وعيا ملفقا يتم تركيبه قسرا داخل رؤوسهم . وعى يواصل كنوز التاريخ ولا يحوله إلى فكة **Small Change** لتجميل الحاضر الرسمى أو إلى ضريح يمجد الماضى.

كيف الوصول إلى وجود واع بذاته؟.

إن الرواية كما تقول المترجمة بحق تكتب ببراعة وبساطة قصة الاحلام القديمة والبدايات الجديدة، كتاب صغير له قلب كبير.

Written with simplicity, never and humour down to the sea is a story of old dreams and new begining, a small book with a big heart doun to the sea.

Gamil atia Ibrahim translated from the arabic by frances li-ardet ,

Quartet Book lemited , 1991 220 page.

رأى

المحاورة لا المصادرة

د. سيد رزق الطويل

فى أكثر من مناسبة ، وكتبت أكثر من مرة أفصح عن وجهة نظرى فى هذه القضية وتتلخص فى عبارة واحدة: المحاورة لا المصادرة .

وتحت هذا المبدأ تفصيلات.

وهذا الرأى نابع من منظور إسلامى ، ومن منطلق علمى ، كما يستند إلى الواقع الذى يؤكد أن مصادرة الفكر المنحرف تغرى من لا يعنيه الأمر بتتبعه والبحث عنه ، ولذلك شواهد عدة فى تاريخ المصادرات.

إن الإسلام أكد حرية الفكر، ومسئولية المفكر المنحرف عن انحرافه أمام ربه ، وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها).

كما حذر –الإسلام من الخروج عن الموضوعية فى الحوار بالتعرض لصاحب الفكر فى ذاته أو فى أسرته يقول سبحانه : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، قد زينا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم).

وسلك النبى صلى الله عليه وسلم منهج الحوار فى دعوة الكافرين والضالين وسار أصحابه على هذا النهج من بعده ، والتزمه أولو الألباب فى عصور تالية.

وذلك لأن المصادرة تعنى العجز عن مواجهة الضلال ، والإسلام ليس كذلك ! إذ هو حق من عند الله ، وقائم على تأصيلات عقلية كفيلة بدحض الشبهات والمفتريات التى يقدمها أصحاب الفكر الضال.

وعلى ضوء ذلك ألخص الرأى فى نقاط عدة.

* لا يطبع على نفقة الدولة إلا الكتب التى تحمل الفكر القويم ، وتساير القيم والفضائل، وتلتزم بما قرره دستور البلاد من مبادئ لأن الدستور يعبر عن رأى الجمهرة.

* الكتب التى تحمل أفكارا مضادة للدين ، أو للعرف ، أو للقيم الفاضلة وتقدم للعامة الذين لا يمتلكهم مناعة ثقافية من تراث أمتهم تحميهم مع الفكر الوافد ينبغى أن يتخذ منها موقف ، لأن العدوان على الدين أو القيم التى أجمع الناس على فضلها ، أو العرف الذى أصطلح الناس على سلامته لا يسمى فكرا يستحق الاحترام ، ومع ذلك لا نادرة ، وإنما نمنع الإعلان عنه فى الصحافة والإذاعة ، تنفيذا لقوله سبحانه :(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) وقوله سبحانه (وقولوا للناس حسنا) .

* حوار الفكر المنحرف أكثر إيجابية فى تحجيم دوره من مصادرته التى قد تثير اهتمام بعض خلاة الذهن وهذا هو منهج القرآن الكريم ترددت فيه كلمة قال ، وقالوا والرد عليها بكلمة ! قل نحو أربعمائة مرة.

ومن ذلك قوله سبحانه : (وقالوا : اتخذ الله ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون) .

وقوله(وقالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين . قل : إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ، ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) .

-التفكير فى مصادرة الفكر هو نتاج عصور التراجع حيث يسود الجمود والتعصب ، والشعور بالعجز ، وهذا آفة تصيب الفكر القوى البناء فى أهله ، كما تصيب قيم الإسلام فى حامليها ،أما هى فى ذاتها فأعز وأقوى من أن تغلب أو تهزم.

والله سبحانه الهادى إلى سواء السبيل.



• العــدد الــقادم •

• شــهــادات •

محمد كمال

سمية رمضان

أشرف الصباغ

فاطمــة خير

مصطفى عبادة

يـوسـف شــاكر

وأسماء وموضوعات أخرى

لَمَســـاخِرُ خَانــةَ

تحرير: طلعت الشايب



"المسخرة" ما يجلب السخرية
والجمع "مساخر"
(المعجم الوسيط)

القربة مقطوعة .. والنفخ مستمر .. فاطمئنوا !!

سنة أخرى من السنوات العجاف التى يعيشها الشعب المصرى ، والتى لا يعرف متى تنقضى سوى العلام العليم.. وهذا ذكر لبعض ما جرى للبلاد والعباد على مدى الأشهر الثلاثة الأولى من العام الثالث .. من نظارة الدكتور عاطف عبيد «العاكفة» حكومته على« ترقيع» الأحوال فى محاولة بائسة يائسة لإصلاح ما أفسده والسابقون ..فإذا به« يعميها » كلما حاول أن يكحلها ..

أما شعبنا العظيم الصامد ، الصابر الظافر ، الهتيف الغافل ، الفهلوى الكسول ،الشغول القانع ، هذا الشعب الذى يحافظ على نظافة الأوبرا ويلقى القمامة فى الشارع ، وينجح فى إدارة قناة السويس ويفشل فى تشغيل السكة الحديد ، الشعب الذى بنى الأهرام «ودهن الهوا دوكو» وصنع الفن والثقافة «وخرم التعريفة» وعلّم البشرية الزراعة و«طرقع صوابع المحشى» .. هذا الشعب لا يكف عن «البرطمة» والتلسين » على حكومته السنية ، كما لم تتوقف صحافة المحروسة عن الكتابة والتنبيه والتحذير بينما يتزايد سمك طين الأذن اليمنى وعجين اليسرى . أصبحت الكتابة أشبه بالاتفاق على النفخ فى قربة مقطوعة وأصبح النفخ هدفا فى حد ذاته مع أن القربة كلها «بايظة» .. وأنظر حولك.

هذا «الويظان» استدعى تكليف مدرس خصوصى بإعطاء دروس تقوية لحضرة الناظر بالرغم من أن الدروس الخصوصية مجرمة من وزارة التربية والتعليم ومحرمة بفتوى من مفتى الديار السابق، بالرغم من أن المدرس« زيد» مثل التلميذ «عبيد» بل إنه كان ناظراً مثله ذات يوم للمدرسة نفسها التى لم ينجح فيها أحد .. وهكذا تتعدد طرق النفخ .. والقربة واحدة ..مقطوعة!.

فى الثامن من يناير ٢٠٠٢ أى فى مطلع العام الثالث من عمر هذه الحكومة السنية وقف حضرة الناظر فى مجلس الشعب لكى يؤكد «لكم» أن مصر« استطاعت أن تستوعب دون أن تضعف ما تعرضت له من هزات».

والواضح أن مصر من كثرة وقوة استيعابها للصدمات العالمية والكدمات المحلية لم تعد ترى شيئا من صواميل الدولة المفكوكة التى تحتاج إلى تربيط ، وربما تغيير بعد أن أكلتها «البرومة».

لقد بدأ عام الفيل بقرار التعريفة الجمركية الجديدة الذى أصاب مدينة بورسعيد بالشلل والمطارات والموانئ بالفوضى والأسواق بالبوار والشعب بالضحك الذى هو «كالبكا» ..! انتهت الأشهر الثلاثة الأولى من عام الفيل بكارثة قطار الصعيد .وبين قرار التعريفة وكارثة القطار جرت فى نهر الفساد مياه كثيرة ..فى الإعلام والسياحة والجامعة والصحة والمحليات والرياضة.. أنظر حولك فى الشارع المصرى .. وإلى وجوه الناس.. وتأمل قول الدكتور يحيى الرخاوى وهو يشخص الحالة النفسية / الاجتماعية/ الاقتصادية/ للقربة أو الجثة إن شئت:

«الأمر الواقع مر شديد المرارة ، منذر بأعظم المخاطر ، لم يعد يصلح معه أى إخفاء أو تأجيل أو وعود أو تحذير .. أمتد الفساد من حضانة الأطفال إلى مراكز البحث العلمى مرورا بتمثيلية الديمقراطية وإهدار الأحكام القضائية ثم أتى الوضع الاقتصادى ليكمل علينا».

أما أسلوب الإدارة بالكوارث فمستمر بنجاح عظيم مع الوعود البراقة والبدء «من أول وجديد» كما هو متبع فى ألعاب الأطفال ، إذ بعد تعيين وزيرين جديدين للصحة والنقل ، تجد وزير الصحة يطالب (يطالب من؟) بضرورة التصدى لمظاهر التسيب والإهمال (الوفد ١٤/ ٣/ ٢٠٠٢) ، وتجد وزير النقل يؤكد أنه سوف تتم فى الأيام القليلة القادمة «إعادة هيكلة السكة الحديد بهدف تحقيق الأهداف المرجوة فى المرحلة المقبلة»(الأهرام ٢٠٠٢/٣/١٤) ، أما حضرة الناظر «فسوف يعقد اعتبارا من بعد غد السبت سلسلة اجتماعات منفصلة مع وزراء الإنتاج والخدمات تمهيدا لوضع الخطط التى تكفل تنفيذ تكليفات الرئيس مبارك» (الأهرام ٣/١٤/ ٢٠٠٢).

الحكومة إذن « عاكفة» على تطوير وتحسين الخدمات التى تقدمها قطاعات الدولة للمواطنين .. فشكراً للكوارث التى تحفز الحكومة على العمل وشكرا لحكومة الدكتور «عاطف عبيد» التى تعمل بنظام القصور الذاتى وتنفخ بكل عزمها فى القربة المقطوعة بالرغم من أن أى« عيل مفعوص» فى الشارع يعرف أن تغيير القربة هو الحل!.

ط. ش

أول القصيدة

« .. إنما نحن نعيش فى إطار اقتصادين متوازيين :الاقتصاد الرسمى والمعلن من ناحية والاقتصاد الخفى من ناحية أخرى . وهذا الأخير واقع معروف فى كل الدول وتتخذ الحكومات والمؤسسات الاقتصادية الشريفة إجراءات تعاقب الأنشطة الدائرة فى الخفاء لتعاقب عليها(...) .

وقد قرأنا مؤخرا بدهشة أن واشنطن تطالب مصر بإصدار قانون لعقاب عملية غسيل الأموال . ومع ذلك فهذا النشاط ممارس فى مصر ومن أبرز وسائله جزء كبير من الاستثمار الأجنبى فى البورصة المصرية .كما أن فى مصر بنكا كبيرا يتعامل بالدولار ولا يعرف الجنيه وهو يتمتع بحصانة كاملة إزاء السلطات المصرية بما فيها القضاء ، توفر لمودعيه السرية الكاملة التى تغنى عن الالتجاء التقليدى لبنوك فى سويسرا ».

د. إسماعيل صبرى عبد الله

الأهالى ٢٠٠٢/١/٢

أجهزة «الإعتام»

حذر على الدين هلال وزير الشباب من الخطر الذى يهدد عقول الجيل الجديد من الشباب من خلال الأفكار التى تروجها أجهزة الإعلام من خلال أعمال درامية غير مدروسة ، وقال إن ذلك يساعد على تنامى قوى رجعية ظلامية فى المجتمع وانتشارها بين السيدات والشباب بما يؤثر على قيم المجتمع ويؤذى الوحدة الوطنية، ونبه وزير الشباب إلى أن بعض الأفكار التى تنشرها وسائل الإعلام معادية للتقدم والتغيير .

على حادى

الأهالى ٢٠٠٢/١/٢

فكر ثاقب

«..والحقيقة فإن جهاز الإعلام المصرى النشيط بشتى فروعه وأجهزته المسموعة والمقروءة والمرئية قد أتحفنا فى رمضان وكما يتحفنا دائما بالدرر واللآلى الثمينة فى جميع مجالات الحياة دينيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وهذا يرجع إلى الوعى الصادق والوطنية والإخلاص الشديد الذى يتحلى بها أبطاله فى منظومة رائعة يقودها فكر ثاقب متجدد لعميد الإعلام صفوت الشريف برعاية

زعيمنا العظيم محمد حسنى مبارك الذى يستمد منه رجاله ومعاونوه نعم المثال والقدوة فى حب الوطن والفناء فى سبيله».

د. محمد مجدى مرجان

الأهرام ٢٠٠٢/٢/٢

قرار« بتعريفة»

أثارت التعريفة الجمركية الجديدة الصادرة بالقرار الجمهورى رقم ٤٦٩ لعام ٢٠٠١ والمنشورة بالجريدة الرسمية فى ٣١ ديسمبر ردود أفعال شديدة فى بورسعيد بشكل عام والتى بدأ تطبيقها بعد ساعات من صدورها . أصيبت الحركة التجارية بأسواق ومتاجر المدينة بالشلل التام وتوقفت حركة البيع والشراء تماما بعد إعلان التجار الإضراب العام وأغلقت المحال أبوابها بعد علمها بالقرار الذى أصاب التجار فى مقتل وقد تظاهر ما يقرب من ١٠ ألاف تاجر أمام ديوان عام المحافظة ، وسط إجراءات أمنية غير مسبوقة منددين بالقرار وسرعة تطبيقه فى بورسعيد (...) وشهدت المنافذ الجمركية حالة من الفوضى بعد رفض زوار المدينة سداد القيمة المرتفعة للرسوم الجمركية واضطرت أعداد كبيرة منهم للعودة إلى الأسواق مرة أخرى واسترداد قيمة البضاعة وحدثت مشادات كبيرة بين التجار والزوار».

الوفد ٢٠٠٢/١/٣

مطالبة بدعم البرسيم!

أيهما أكثر خطرا على الصحة العامة لحم الحمير أم تصريحات الوزراء؟ هذا السؤال نطرحه بمناسبة القضية التى أثارها انتشار حالات ذبح الحمير وبيعها للمستهلكين فى مناطق عديدة بمصر المحروسة ، وفى الأعوام الأخيرة لا يمر شهر دون أن يكتشف الناس حالة أو أكثر من الاستحمار البروتينى وكانت آخر هذه الحالات هى التى نشرت عنها مجلة الأهرام العربى فى عددها قبل الأخير (٢٠٠١/١٢/٢٩) حيث اكتشف أهالى العامرية أن اللحوم الرخيصة والجيدة ما هى إلا لحوم معتبرة لعدد من الحمير!.

أكرم القصاص

العربى ٢٠٠٢/١/٦

حتى غير « الحدق » يفهم!

.. لكن الحاصل اليوم أن الناس هنا فى الأقصر .. وزوار الأقصر يضربون كفا بكف ويتعجبون مما يحدث الآن فجأة ناس بتهدم وتكسر وتغير فى كورنيش الأقصر .. يا عالم.. لسه الكورنيش خلصان ومتجدد منذ شهور ومتكلف ملايين.. ايه اللى بيحصل ده ؟ هوه مفيش فى الأقصر غير الكورنيش؟ (..) فيه شوارع كتيرة عاوزه اهتمام.. حتى مجرد رصف .. فيه شوارع فوق الآثار فيه بيوت فوق الآثار ..فيه بيوت الصرف الصحى فيها مش موجود وفى قلب مناطق الآثار (...) والغريب فى الأمر أن كل هذه الأعمال من هدم وتكسير تمت فى عز الموسم الشتوى والاقبال السياحى على الأقصر ..وفى عز زيارة شخصيات دولية للأقصر لقضاء أجازات عيد الميلاد والكريسماس ورأس السنة ! (..) ولكن سوء حظ المدينة أن كل رئيس جديد يأتى للمدينة لا يفكر إلا فى تغيير رصيف الكورنيش فقط لا غير. وطبعا الأسباب يعرفها الجميع وتجعل حتى ..غير الحدق يفهم!!.

من رسالة بتوقيع حجاجى عزب وعدد من أبناء الأقصر لصفحة«سياحة وسفر»

الأهرام ٢٠٠٢/١/١٠

هتاف الصامتين

ألقت الأجهزة الأمنية ببورسعيد القبض على مواطن أخرس بتهمة التحريض على التظاهر «والهتاف» فى مظاهرات الأحد الماضى التى شهدتها المدينة الحرة ووقعت خلالها مواجهات بين الشرطة والمواطنين وقامت أجهزة الأمن باعتقال المئات من الأشخاص بصورة عشوائية وتم ترحيلهم إلى سجن برج العرب وليمان طره لقضاء ١٥ يوما على ذمة التحقيق!.

العربى ٢٠٠٢/١/١٣

مهازل

..أما ما يجرى فى المطارات والموانئ من مهازل على المصريين وعلى الأجانب فلابد من إيقافه تماما ، فالأجدى بنا أن نوقف منابع التهريب الأصلية حفاظا على سمعة بلادنا ».

ابراهيم نافع

الأهرام ٢٠٠٢/١/١٣

شهادة!

.. ومن كان يزور منزل صلاح نصر فى مدينة نصر يعرف مدى الزهد الذى

كان يعيش فيه الرجل ومدى نظافته ، وأنا زرته فى السجن وعرفت الظروف القاسية التى كانت تعيش فيها زوجته وكيف باعت سجادة المنزل حتى تعيش ، فهو رجل لا يشترى ولا يتنازل عكس (آخرين) لا زالوا على قيد الحياة ولكنهم أشباه رجال ، وكان المشير ينادى على الواحد منهم بأوصاف حقيرة وكان يتقبلها ذليلا دون أدنى اعتراض بل يثنى على المشير لأنه وصفه بهذا الوصف ، وأذكر أن المشير كان يقول للرئيس عبد الناصر عنهم هؤلاء أشرار لأنهم شاغلين سيادتك طوال الليل فى الاستماع للتسجيلات الخاصة التى تحوى أسرار الناس ولهذا كان عبد الناصر يفاجئ البعض فى الصباح ويقول اللون الأحمر بالأمس كان رائعا!.

برلنتى عبد الحميد

نصف الدنيا ٢٠٠٢/١/١٣

أكتبوا أى حاجة!

فى جامعة حلوان وفى امتحان الفرقة الثالثة بكلية الفنون التطبيقية مادة « العلوم البيئية » كان السؤال هو ما هى الإجراءات التى اتخذتها الحكومة المصرية لمواجهة أحداث ١١ سبتمبر وآثارها السلبية على الاقتصاد المصرى ؟ طلبة الفرقة الثالثة والذين يصل عددهم إلى ١٤٠٠ طالب أجاب ٢٠٪ منهم بأنهم لا يرون أية اجراءات ذات بال وعبروا عن سخطهم لعدم وجود وظائف أو فلوس فى البلد لأنها ضاعت جميعا ولا يرون أى مستقبل لهم من قريب أو بعيد.

وفى جامعة عين شمس وتحديدا فى كلية البنات حدث حريق فى بعض خيام الامتحانات مما جعل الطالبات يتشردن فى أماكن مختلفة مثل السطح والحوش وسط أكوام الزبالة والأخطار والرياح الشديدة، أعمال مراقبة الامتحانات تمت من خلال أكشاك صفيح وقد انقطعت الكهرباء ولم يكن من السهل رؤية الأسئلة ، رئيس الجامعة د. عوض تاج الدين جاء بعد الحريق وقضى فى الكلية خمس دقائق ثم إنطلق إلى عيادته الخاصة.

(..) فى جامعة الزقازيق ذهب طلاب الفرقة الرابعة بكلية التربية قسم اللغة العربية يوم الثلاثاء الماضى ٨ يناير الجارى لأداء الامتحان فى مادة « طرق التدريس » . الطلبة تم تسليمهم أسئلة

مادة «طرق التدريس» المقررة على طلبة الفرقة الثانية تعليم أساسى .

(...) بعض أساتذة الكلية قالوا للطلبة أكتبوا «أى حاجة».

«صوت الأمة»

٢٠٠٢/١/١٤

زفت زفتى «الوطنى الديمقراطى»

كشف مجلس الشعب فضيحة تزوير كبرى ارتكبها نائب البرلمان ، لعبت الصدفة دورها فى اكتشاف الجريمة التى يتم بحثها فى سرية تامة داخل أروقة المجلس حاليا . قام النائب محمد صلاح الدين رجب ممثل العمال عن دائرة زفتى غربية بتزوير توقيعات الدكتور مصطفى الفقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس على طلبات تعيين لأقاربه فى الوزارات.

فوجئ «الفقى» بأن وزارة البترول تخطره بتعيين نجلى أخته وأرسلت صورة من الطلبات وخطابات التزكية التى وجهها «الفقى» للوزارة فى شهر ديسمبر الماضى . اكتشف رئيس لجنة العلاقات الخارجية تزوير توقيعه ، وتم إجراء تحريات عن الشخصين اللذين تم تسليمهما العمل بالفعل ، وأكدت التحريات صلة القرابة بين الشابين والنائب . تمت إحالة النائب للتحقيق فى لجنة القيم(...) فوجئت اللجنة بخطاب من النيابة العامة تطلب التحقيق مع النائب بنيابة قصر النيل بالقاهرة لاتهامه بتزوير شهادتى التجنيد وبكالوريوس الخدمة الاجتماعية .

الوفد

٢٠٠٢/١/١٧

تجليات الفساد!

لم يكن أحد ينتظر من بيان الحكومة أن تعلن الحلول الفورية لأزمات الناس (...) كان أغلب الناس مستعدين أن يتحملوا صراحة الحكومة لو أنها أعلنت حقيقة ما وصلنا إليه وهى تعزو بعضه إلى أخطاء الماضى والبعض الآخر إلى تجاوزات الحاضر والباقى ترميه على السيد دبليوبوش أو أى سيد بعيد والسلام وتمشى الحكاية (...) لماذا لم تواجهنا الحكومة بالأمر الواقع مهما كان مؤلما والجميع يعرفونه؟ إن بداية أى إصلاح هى أن نرى الأمور كما هى . الأمر الواقع مر أشد المرارة .منذر

بأعظم المخاطر . لم يعد يصلح معه أى اخفاء أو تأجيل أو وعود أو تخدير ،امتد الفساد من حضانة الأطفال إلى مراكز البحث العلمى مرورا بتمشيلية الديمقراطية وإهدار الأحكام القضائية ، ثم أتى الوضع الاقتصادى ليكمل علينا . ماذا يمكن أن يخفى على الشخص العادى بعد ذلك ؟ ماذا ينتظر حكامنا حتى يعلنوا ما يعرفه الجميع؟ هذا الأمر الواقع يمكن أن يرصده أى عابر سبيل يسير فى شارع قصر العينى أو حارة السكر والليمون ، يكتشفه أى شخص يدخل أى عمر افندى أو محل أقمشة فى باب الخلق . حقيقة ما آلت إليه هيبة الدولة وأعراف الفساد تتجلى لأى عابر من أول منظر يد عسكرى المرور وهو يأخذ (أو يطلب) سيجارة من سائق عربة فخمة ومعها ما معها ،حتى منظر التربيطات والتوصيات التى تتحكم فى الجوائز والمنح والعطايا والمناصب .

ديحيى الرخاوى

الوفد ٢٠٠٢/١/١٧

فاول!

محمود الجوهرى المدير الفنى للمنتخب الوطنى اختار قرية سياحية مملوكة لإحدى الشخصيات الرياضية الكبرى بالاسماعيلية خلال معسكر المنتخب بالاسماعيلية نظير مبلغ مادى كبير ورفض الإقامة بالقرية الأوليمبية التابعة للمحافظة بحجة أن القرية مليئة بالناموس رغم أنه يفصلها عن القرية الخاصة سور !

الجمهورية

٢٠٠٢/١/١٧

شهادات «هئ المئ»!

«.. ونفس الأمر يتكرر مع باقى الوزراء والمسئولين ، فالواحد منهم يعرف أنه فاشل فيسارع باستخراج شهادة دولية بأنه عظيم وحلو وعبقرى ، وعندما نرى البطالة والعجز واشتعال الأسعار والمشروعات المعطلة فى كل مكان فضلا عن تدمير الصناعة وفوضى الاستيراد وتدنى التصدير فهل ينفع أن تقدم الحكومة شهادة من مؤسسة «هئ المئ» الكونية تؤكد أنها أنجح حكومة منذ عهد ما قبل التاريخ؟ ونحن نعرف بالطبع كيف تصنع الجوائز الرسمية ومن يحصل عليها خاصة ونحن فى موسم معرض الكتاب الذى يمنح جوائزه

سنويا لطائفة رؤساء التحرير على كتب لا يقرؤها أو يسمع عنها أحد..

أكرم القصاص

العربى ٢٠٠٢/١/٢٠

أين مصر من هذا ؟

إن تشبيه مصر بالأرجنتين تفاخر أجوف يظلم الأرجنتين كثيرا ، الأرجنتين تمر بأزمة اقتصادية طاحنة لا ريب ، لكن مصر إن استمرت الأوضاع الراهنة سائرة إلى خراب شامل ..فإنتاجية العمال فى الأرجنتين تتعدى سبعة أمثال قيمتها فى مصر ، وفى مضمار الحكم الأرجنتين لديها تقاليد ديمقراطية وبنية مؤسسية تمكنها من تجاوز الأزمة لصالح الشعب ، ففى الأرجنتين رؤساء يستقيلون اعترافا بالفشل أو نزولا على رغبة الشعب وفيها أيضا مؤسسات نيابية تقبل الرؤساء .. أين مصر من هذا ؟.

د. نادر فرجانى

العربى ٢٠٠٢/١/٢٠

ماذا فعلت؟.

أعلن الرئيس مبارك أن شخصا واحدا جمع عشرين مليون دولار فى يوم واحد للمضاربة عليها بين رجال الأعمال وأعلن محافظ البنك المركزى أن شخصا يتلقى اتصالا يوميا لتحديد سعر الدولار وقال الكاتب الصحفى عصام رفعت أن هناك ثلاثة أشخاص يجمعون الدولار يوميا للمضاربة عليه .. ماذا فعلت الحكومة أمام هذه المعلومات ؟ هل وصل بها العجز إلى الحد الذى تعرف فيه إجراما بهذا الشكل ولا تعتقل مرتكبيه ؟.

سعيد الشحات

العربى ٢٠٠٢/١/٢٠

فعلت!

علمت الأسبوع أن رجل أعمال شهيرا تم استدعاؤه إلى جهة مهمة يوم الخميس الماضى حيث جرى توجيه اللوم إليه وسؤاله عن قيامه بجميع كميات كبيرة من الدولارات من السوق السوداء بأسعار كبيرة وتهريبها إلى الخارج . أشارت المعلومات إلى أن رجل الأعمال زعم أن المبالغ التى جمعها كانت بهدف تمويل مشروعاته الكبرى خارج البلاد لسداد أقساط القروض التى حصل عليها من الخارج والتى حصل بموجبها على قرض بالدولار من أحد البنوك المصرية الشهيرة التى تعانى أزمات متعددة

وثارت حوله مشاكل عديدة خلال الفترة الماضية.

الأسبوع

٢٠٠٢/١/٢١

بلاليع!(١)

سؤال منطقى جدا .. وجرى جدا .. طرحه الدكتور زكريا عزمى فى لحظة من أشد لحظات الضيق النفسى التى أنتابت المجتمع : أين ذهبت (١٧٥) مليون جنيه أنفقتها محافظة القاهرة على تسليك البالوعات فى العام الماضى كى تكون على أهبة الاستعداد لامتصاص مياه أمطار ٢٠٠٢ ، فلما هطلت الأمطار اكتشفنا أن البالوعات لا تزال على حالتها والمياه تعلو فوق مستوى الأرصفة وتقتحم البيوت والمحلات ولم يقتصر الأمر على الأحياء القديمة وأحياء الفقراء بل شمل الشوارع الفخيمة مثل شارع العروبة..

جمال بدوى

الجمهورية ٢٠٠٢/١/٢٤

بلاليع (٢)

« ..تحدث اللواء مصطفى عبد القادر وزير التنمية ..فاعترف بأن شبكات الصرف لم تستوعب كمية أمطار عقلة الصباع التى سقطت رغم البلاليع الجديدة التى انشئت (وذهبت فيها ال١٧٥ مليون جنيه) (...) بعد أن أنتهى وزير التنمية من حديثه الذى كان ينوب فيه عن الأجهزة التنفيذية وقف د. زكريا عزمى معلقا وقال : مع كل تقديرى للسيد الوزير إلا أننى لم أقتنع بأى كلمة قالها ..واحتكم للرأى العام».

صلاح منتصر

الأهرام ٢٠٠٢/١/٢٤

مشاغل

« ..لننظر إلى وفودنا البرلمانية التى تسافر إلى أوروبا وأمريكا لحضور مؤتمرات هناك، ذلك أن أعضاء الوفد المصرى يكونون دائما أكثر الوفود شراء وإقبالا على التسوق طوال إقامتهم فى الدولة الأجنبية ،بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أغلب أعضاء الوفد يتغيبون عن حضور جلسات المؤتمر الذى سافروا للمشاركة فيه لانشغالهم بالتسوق وسراء الملابس وأدوات التجميل وخلافه . يشهد بذلك رجال الجمارك الذين يحظر عليهم فتح الحقائب « البرلمانية » فى أغلب الأحيان!».

شريف العبد

الأهرام ٢٠٠٢/١/٢٣

هيا بنا نتسوق .. أو نلعب!

«..ونحن نخطئ إذا ما ألقينا بكل اللوم على النواب رغم أنهم ليسوا معفيين تماما من المسئولية لأن المشكلة ليست فيهم وحدهم وإنما هى بالدرجة الأولى فى خرائط الواقع التى أقصتهم من عالم السياسة وجعلت خيوطها ومفاتيحها حكرا على أناس آخرين فوق الحساب ،وهى الخرائط التى أقامت المجلس ثم فرغته من مضمونه وملأته بالأعضاء الموالين ثم حولته إلى مرفق للتجميل وليس ساحة للمشاركة أو المساءلة، الأمر الذى دفعهم إلى الحرص على متابعة مباريات كرة القدم وتفضيل رؤيتها على الهواء عن المشاركة فى مناقشة الأزمة الاقتصادية ومشكلة البطالة فى البلاد . وهم معذورون نسبيا لأنه حين لا يطلب منهم مشاركة أو عمل جاد فلا غرابة فى أن يرفعوا شعار: هيا بنا نتسوق .. أو نلعب !!».

فهمى هويدى

الوفد ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢

عجائب!

.. «ولما كانت مصر بلد العجائب ، فلا يدهشنى أن أقرأ فى الصحيفة صباح الأمس عنوانا كبيرا عن عرض مشروع قانون إلغاء المدينة الحرة فى بورسعيد على مجلس الشورى، ثم أقلب صفحتين فأقرأ فى وضع بارز خبرا مصحوبا بصورة مسئول كبير عن الإجراءات التى تتخذها حاليا المحافظة لتحويل دمياط إلى مدينة حرة!.

د. إسماعيل صبرى عبد الله

الأهالى ٢٠٠٢/١/٢٣

إن بعد ال..« ..... » يسرا!

..« ويبدأ حبيب بن على فى إلقاء مواعظه ، تدمع أعين البعض إلا أن نجم الكوميديا علاء ولى الدين ينفجر فى موجة من البكاء الهيستيرى وكذلك المنتج مجدي الهوارى والنجم محمود عبد العزيز و يستمع سامى العدل وفاروق الفيشاوى إلى الشيخ بتركيز ، أما فى حجرة النساء فيسرا هى الأسرع بكاء .. وعندما يشتد النحيب يتصاعد صوت حبيب بن على وهو يردد الأناشيد

والتواشيح الدينية ومن خلفه الجوقة وتهتز أكتاف الفنانين الحاضرين . هذا ليس مشهدا من سيناريو جديد ستقدمه يسرا ويشاركها البطولة علاء ولى الدين ولكنه مشهد حقيقى يتكرر دوما فى منزل الفنانة يسرا فى الزمالك كلما جاء الحبيب بن على إلىَ مصر على نفقة أحد رجال الأعمال الكبار »!.

الأهرام العربى

٢٠٠٢/١/٢٦

فى ذمة الله!

« .. وخلف هذه الساحة يتجمع فى ساحة أخرى طولية كبيرة بائعو الملابس الداخلية الرجالى والإكسسوارات الخاصة بالنساء والبيوت بما فى ذلك المطبخ(الأكواب والأطباق) ، هناك تجد البضاعة الصينية وأشياء أخرى لن يتخيل أحد أن يراها ضمن معرض الكتاب .. كنت هناك مع زميلى يوسف ناروز مصور « أخبار الأدب » وحينما حاول التقاط عدة صور للمكان فاجأنا أثنان ضخما البنية يمنعاننا بأمر من تنظيم المعرض . الرجل رفض تماما قائلا: إنه يجب علينا الحصول على تصريح ..كنا قد التقطنا صورتين أو ثلاثا بالفعل فانسحبنا قبل أن ينفذ تهديده بسحب الفيلم منا.. (...) الواقع يقول إن الجمهور انصرف تماما عن الندوات (باستثناء تلك التى أقيمت لمناقشة أسباب هزيمة مصر من السنغال أو لمناقشة مسرحية « الناس اللى فى التلت ».

تواجد الجمهور اقتصر على ال« باك ايريا » مشاركا فى المسابقات ذات الجوائز التى أقيمت هناك ومستمتعا بقضاء يوم لطيف ..

أما الكتاب فقد أصبح فى ذمة الله بالفعل!.

ياسر عبد الحافظ

أخبار الأدب ٢٠٠٢/١/٢٧

فتوى « تيك أواى »!!

« حاول المحافظ إعفاء الحكومة من مسئولية توفير فرص عمل للشباب وقال إن التعليم يجب أن يكون هدفا وقيمة وفى حد ذاته كوسيلة للثقافة ورقى الفكر(...) ودعا المحافظ بعد انتهاء كلمته الشيخ عبد الرحيم عبد العاطى سيد أحمد وكيل مديرية الأوقاف بالشرقية للحديث (...) حيث قال إن الدولة فى صدر الإسلام وأيامه الأولى لم

يكن لديها وظائف ولم تهتم بتوفير فرص عمل للمسلمين ،ولدينا فى رسول الله(ص) القدوة الحسنة حيث كان يعمل فى رعى الأغنام والتجارة بعد ذلك. وأضاف أن اعتماد الشباب هذه الأيام على الدولة يعد من قبيل التواكل الذى حرمه الإسلام وهو بدعة لم تكن موجودة فى الماضى..».

الأهالى

٢٠٠٢/١/٣٠

يا حلو يا اسمر!

«بداية من مدينة أسوان تبدأ إهانة النهر الذى أقسم الفراعنة على ضمان سلامته . فمن أسوان وحتى رشيد ودمياط يستقبل النهر فضلات عشرات المصانع بكل ما تحمله من سموم ، بالاضافة إلى مخلفات البشر بكل أنواعها بداية من الزبالة والأوساخ وحتى جثث الحيوانات النافقة ، وأكثر الأحداث الغبية والتى تدفع إلى الغيظ وضرب الرأس فى جدار من الأسمنت المسلح هو عندما فشل مشروع مزرعة سمكية أراد صاحبها أن يربى «الاستاكوزا» على اعتبار أنها ستكون الأكثر ربحا -حيث يقولون إن تناولها يفيد جنسيا-فشل المشروع وأراد الرجل التخلص من هذا الحيوان فأطلقه فى النهر ، فتغيرت طبيعة الحيوان وتكوينه وأصبح حيوانا شرسا مريرا يتكاثر بوحشية ويأكل رزق النهر، فتغيرت طبيعة الحيوان وتكوينه وأصبح حيوانا شرسا مدمرا يتكاثر بوحشية ويأكل رزق النهر من الأسماك ويهدد البشر وينخر فى الشواطئ .. ولا أحد سأل ولا أحد بحث عن حل .. رغم أن عندنا وزارة للرى وأخرى للبيئة(...) وفى النهاية تحياتى الحارة إلى السيد المهندس وزير النيل أو الرى ..وتحياتى إلى السيد وزير البيئة الذى لا نسمع عنه شيئا ونسأل الله أن يكون بخيرا!.

وحيد حامد روزاليوسف ٢٠٠٢/٢/٢

«خليه يروح بقى»

..وأضاف حميدة أن رئيس الوزراء أسبق للاستفادة من خبرته فى إشارة للزيارة التى قام بها د. عاطف صدقى لمكتب الدكتور عاطف عبيد ،وفى رده أكد وزير مجلس الشعب والشورى كمال الشاذلى أن زيارة د. صدقى لعبيد زيارة عادية بوصفه رئيسا للمجالس القومية المتخصصة ورفض اتهامات

حميدة.. وعقب رد الشاذلى قال حميدة :« خليه يروح بقى كفاية عليه » فطلب الشاذلى حذف العبارة من المضبطة وبالفعل وافق المجلس على الحذف!.

العربى

٢٠٠٢/٢/٣

عاطف ومعطوف!

الغريق يتعلق بقشة ، والناس التى أرهقها انتظار زوال الغمة وانفراج الكرب تتوق لأى تغيير حتى لو كان التغيير مقصورا على الوجوهأ و تغييرا « للوراء » (!) فالناس تردد الآن اسم الدكتور عاطف صدقى وبقوة(...) ثم كان التكليف شبه الرسمى رئيس الوزراء د. عاطف عبيد بالتشاور مع صدقى فى الأمور الاقتصادية وبالفعل تبادل الاثنان الزيارات التى استمرت لعدة ساعات ولم يحضرها أحد سواهما حيث عرض عبيد على صدقى الخطة التى أعدها لعرضها على المنظمات الدولية والدول المانحة فى اجتماعها بشرم الشيخ خلال أيام ..

الأسبوع

٢٠٠٢/٢/٤

ويجعله عامر!

..والواد ابن ابو سليم نازل هلوسة. ..آل إيه أنا حبنى كفر الهناودة من جديد عماير عماير باسانسيرات .. وحسفلت الشوارع وحعمل كورنيش لترعة الكفر وحبنى مستشفى ومدارس ومصانع .. وكله لازم ياكل زفر .. وكله لازم يتكلم فى المحمول ويبقى أهل الكفر آخر عز..قلت له ومنين ده كله يا فسل..حتسرق بنك؟ رد قال بنك إيه بابا الحاج ..مالبيه عاطف بيقول كلام أحلى من ده وهو ما حيلتوش قلت له أخرس ياجعر ..البيه عاطف أدها وأدود غيرشى الحالة مس ولابد .. ربنا يفك ديقة الجميع .. ويجعله عامر!.

أحمد رجب

مصطفى حسين

أخبار اليوم ٢٠٠٢/٢/٩

مسئول!

.. يناسبنى اعتبار معرضنا الثانى فى العالم بعد فرانكفورت وبانتقائية وطنية سأختار هذا الاحتمال ، لكننى لا أحب أن أعرف أن مسئولا عن المعرض الثانى فى العالم قال إن هنتجتون

موجود فى القاهرة ثم خفض تصريحه إلى« تم توجيه الدعوة إليه » ثم لم يأت هنتجتون أصلا ويناسبنى ألا يكون مسئول المعرض (من المسئولية) قد اتهم ناشرا بأنه أدخل كتبا جنسية فى إهاب مصاحف مع أن الكراتين لم تفتح والمشكلة جمركية والله أعلى وأعلم ..ولأن المسئول عندنا يعرف مسئولية الكلمة فلابد أن هذا التحريض لم يتم بالأساس وإن كان وقع فإننى أميل إلى احتمال أن يكون مسئول معرض فرانكفورت هو الذى أقدم على هذا الفعل ، وهذا هو الأرجح لعلاقة النازيين القديمة بالدعاية القاتلة!.

عزت القمحاوى

أخبار الأدب ٢٠٠٢/٢/١٠

تستاهل!

فى تاريخ ٢٠٠١/١٢/٣٠ قررنا عائليا أن نقضى إجازة رأس السنة بنظام السياحة الداخلية ونتوقف عن السياحة الخارجية . حجزنا فى إحدى القرى بنوبيع لتمضية أربعة أيام(....) لكن لم أر فى حياتى عقابا أشد من عقاب المواصلات وكأنهم ينكلون بنا لاقترابنا من جريمة السياحة الداخلية. استقللنا أو توبيس شرق الدلتا (...) تحرك بتأخير نصف ساعة . دفعنا ثمن التذكرة خمسين جنيها وثلاثة جنيهات إضافية للتكييف . أمضينا حوالى ست ساعات نتلوى من التعذيب والمعاناة من رائحة التواليت القاتلة حيث لا يوجد ماء ولا نور إضافة إلى البرد القارس مما دفع الركاب إلى الصراخ فى وجه السائق طلبا للرحمة وتشغيل التكييف إلا أنه اعتذر بأن التكييف عطلان! نفس الموقف حدث فى رحلة العودة (...) وفى رحلة العودة تم إيقاف الأتوبيس قبل النفق وأنزل جميع الركاب وحقائبهم للتفتيش المفاجئ على قارعة الطريق فى الظلام الدامس والبرد وحقائبهم للتفتيش المفاجئ على قارعة الطريق فى الظلام الدامس والبرد القارس(...) إنها رحلة التوبة . بالله عليكم كيف يتسنى للناس أن تشجع السياحة الداخلية وتتعاون مع شعارات المسئولية؟.

كمال عبد الرحيم

بريد القراء -روزاليوسف

٢٠٠٢/١/٢٦

سياحة كوتو موتو!

أقسم بالله العظيم أن مأسارويه رأيته بعيني يوم الاثنين ٤ فبراير : عند عودتى من شارع الهرم قادما من سقارة ومصطحبا معى مجموعة سياحية يابانية فوجئنا جميعا بمناظر لا يمكن أن تصدق ونحن فى بدايات القرن الحادى والعشرين . المنظر عبارة عن نقابات وقاذورات وعدد ٥ من الخيول النافقة ملقاة فى ترعة المنصورية وأقسم بالله أننى لا أبالغ فى أن كم القاذورات والحيوانات الميتة الملقاة فى الترعة قد غطت مساحة كبيرة يصل إلى كيلو مترات (....) وتساءل الفوج اليابانى عن سر وجود هذه النفايات داخل الترعة ولا أدرى بماذا أجاب عليهم المرشد السياحى!.

محمد حسونة -شركة خطاب للسياحة.

بريد الأهرام

٢٠٠٢/٢/١٢

شرم سياحى!

ماحدث فى صالة السفر صباح الأربعاء ٣٠ يناير الماضى يجب ألا يمر دون عقاب ، فصالة مطار القاهرة الدولى كانت مثالا سيئاً يصعب وصفه المسافرات افترض الأرض بعد انتظار طال عدة ساعات للطائرات المتجهة إلى شرم الشيخ والأقصر والغردقة وغيرها .. ناهيك عن سوء التهوية وقذارة المكان والفوضى العارمة لمئات المسافرين وهم يبحثون عن مسئول واحد يصدق معهم فى تفسير ما يحدث . وبالطبع فلن أتحدث عن انطباعات السائحين الأجانب الموجودين فى هذا المكان فقد كانت نظراتهم وتعليقاتهم وكاميرات الفيديو الخاصة بهم خير شاهد على ما سوف تجنيه السياحة المصرية من وراء تلك العشوائية.

د. صلاح الغزالى حرب

بريد الأهرام ٢٠٠٢/٢/١٢

ستين ألف« داهية»!

طالب أبو العز الحريرى نائب التجمع الحكومة بالتحقيق فى واقعة تصدير ٦٠ ألف بطانية مستعملة إلى أفغانستان بدعوى أنها جديدة مما أدى إلى إعادتها مرة أخرى إلى مصر، وأشار الحريرى إلى خطورة هذه الواقعة التى تشكل تهديداً لسمعة الصادرات المصرية دوليا.

الأهرام

٢٠٠٢/٢/١٢

الجرس!

حققت نيابة المنيا الكلية برئاسة المستشار عبد الرحمن مرزوق أول أمس مع القس روفائيل ميخائيل راعى كنيسة السيدة العذراء بقرية «بنى واللمس» وأكد فى التحقيقات أنه لا يستطيع تحديد الأشخاص الذين هاجموا الكنيسةلحداثة لهذه بالقرية ، ونفى أن يكون قد حدث استفزاز من جانب المشرفين على الكنيسة بدق الأجراس لمدة ربع ساعة..

الأهالى

٢٠٠٢/٢/٢٠

«عمار»!

شهدت منطقة العياط جنوب الجيزة أسوأ كارثة قطارات فى مصر . لقى ٣٧٣ راكبا مصرعهم وأصيب ٦٠٠ آخرون فى حريق مروع سب فى ٧ عربات من قطار الصحافة رقم ٨٣٢ المتجه من القاهرة إلى أسوان . وقع الحادث عن قرية «كفر عمار» التهمت النيران عربات الدرجتين الثانية والثالثة المزدحمة بالركاب المسافرين لقضاء اجازة العيد مع أقاربهم بالصعيد.

الوفد

٢٠٠٢/٢/٢١

سالم اكسبرس!

« .. وكارثة قطار الصعيد رقم ٨٣٢ تذكرنا قبيل عيد الأضحى بكارثة أتوبيس المعتمرين الذين أكلتهم النيران وهم عائدون من الأرض الحرام قبيل عيد الفطر . وتذكرنا بكارثة الطائرة المصرية التى سقطت فى المحيط أمام سواحل أمريكا ، وتذكرنا أيضا بكارثة العبارة «سالم اكسبرس» التى غرقت فى البحر الأحمر بالحجاج العائدين ..وكلها قيدت ضد مجهول .. بينما الفاعل معلوم ومعروف وهو الإهمال ..وهو غياب الرقابة ..وغياب العقوبات الرادعة وغياب المساءلة والحساب ».

عبا س الطرابيلى

الوفد ٢٠٠٢/٢/٢١

براءة البوفيه

أكد مصدر مسئول بشرطة السكة الحديدية أن عربة البوفيه بريئة تماما من الحادث بدليل أنها أستأنفت الرحلة سليمة إلى قنا . قال إن المحطة يتردد عليها يوميا ٢ مليون راكب ويستقل القطار الواحد آلاف الركاب وبالتالى لا يمكن عمليا فحص كل راكب على حدة

ومعرفة ما يخفيه فى حقائبه!.

الجمهورية

٢٠٠٢/٢/٢١

المتأكد!

« .. وأكد الدكتور عاطف عبيد عقب زيارته مستشفى العياط المركزى للاطمئنان على المصابين أن الحريق اشتعل بعربات القطار بسبب انفجار موقد بوتجاز فى «بوفيه» إحدى العربات ثم إمتد إلى باقى العربات».

الأهرام

٢٠٠٢/٢/٢١

درجة ثالثة

سألت مسئولا كبيرا سابقا وخبيرا فى السكك الحديدية ، قال ما حدث خطأ بشرى بالتأكيد ولكنه رفض التفسير ، وبالنسبة لعربات الدرجة الثالثة فلا يوجد بها أى نوع من أنواع الخدمة حتى على الخطوط الطويلة من القاهرة للسد العالى ، ولهذا قام البائعون بسد هذا النقص لدرجة أن البائع يبدو وكأنه افتتح محلا أو كافتيريا ، ثم إن عربات الدرجة الثالثة هى عربات انتهى عمرها الافتراضى منذ زمن وكانت تعمل فى السابق فى الدرجة الأولى وعندما تهالكت تحولت للدرجة الثانية وعندما باتت لا تصلح تحولت للدرجة الثالثة ، وهى تدخل الصيانة كل ٣ سنوات تسمى عمرة عربة وغالبا تخرج كما دخلت بزيادة كتابة تاريخ إعادة العمرة على العربة من الخارج .

سيد على

الاهرام ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢

أيزو!

فى أحيان أخرى يحتاج الأمر إلى أدوات تواصل بين الحكومة والناس تعمل بلا انقطاع . نحن ليس عندنا مثل هذه الأدوات أصلا . الخط الساخن بين الحكومة من ناحية وبين الناس وواقع الحال من ناحية أخرى مقطوع مقطوع (يا ولدى) بل والخطوط الباردة أيضا . ليس عندنا انتخابات حقيقية تمثل رأى الشعب وتحدد حقيقة اختياراته . ليس عندنا آلية قياس الرأى العام بطريقة يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها بحيث يتعدل الأداء نتيجة لها أويصحح رأى الشعب من واقع الأداء الفعلى على الأرض . ليس عند الحكومة (ولو من باب الكابوس أو أضغاث الأحلام) أدنى احتمال أن يحدث فى يوم ما مهما كان

بعيداً ما يسمى -ولا مؤاخذة- تناوب السلطة . هذا بعيد عن شنب أى مخلوق فى المعارضة أو غير المعارضة . هذا (ما صرح به مسئول كبير) ..إن الحكومة تستورد شهادات «الأيزو» السياسية والاقتصادية لإثبات تفوق الجودة ، هذه الشهادات هى من الواردات القليلة غير الصينية ، إنها شهادات تصريحاتية نستوردها جاهزة كاملة التصنيع فى صورة بيانات وتوصيات ومباركات البنك الدولى وأحيانا- عند الأزمات الخاصة- نقوم بتجميع -لا تصنيع -هذه الشهادات المباركة محليا فى ندوة أو مؤتمر مثلما حدث فى شرم الشيخ مؤخراً».

ديحيى الرخاوى

الوفد ٢٠٠٢/٢/٢١

شهادات!

أكد الراكب مختار على (٦٠ سنة) بالمعاش أن الحريق الذى شب بالقطار اندلع من الوصلة التى كانت تربط العربة الثالثة قبل الأخيرة بالثانية منها عندما كان هناك احتكاك شديد بين العربتين أسفر عن ماس كهربائى فى نفس اللحظة التى كان يقف فيها أحد رجال حاملا «كومة» من« المقشات الليف» عند تلك النقطة الفاصلة بين العربتين، وعلى الفور أمسكت شعلة النيران المتولدة من الماس الكهربائى بكتلة المقشات الضخمة ، وخلال ثوان وبفعرعة الهواء انتقلت النيران من «المقشات» إلى الأمتعة المتناثرة فى كل مكان داخل عربات القطار الخالية من المقاعد وزجاج الشبابيك وقد ساعد الورق المقوى الذى سد به الركاب الشبابيك المفتوحة قبل إنطلاق القطار من محطة مصر متوجها إلى رحلته الطويلة على سرعة انتقال النيران بشكل متزايد(...) وشاركه المواطن إميل ابراهيم ميتاب الرأى وقال (...) وليت نكبة القطار توقفت عند حدود شبابيك لا زجاج مكسوة بأوراق من الكرتون أو غياب مسئولين عن القطار ينبهون الركاب إلى خطورة ما يحملونه وما قد ينتج عنه من أخطار ، إنما امتدت نكبة القطار لتصل إلى حد عدم وجود أية طفاية للحريق مطلقا ، ولا حتى وجود فرامل الطوارئ.

الأهرام

٢٠٠٢/٢/٢١

«... ووزيرا بعد آخر»!

حقيقة أن ألف باء تحمل المسئولية فى أى بلد ديمقراطى يحتم إسراع الوزير المسئول بتقديم استقالته .. لكن حقيقة -أيضا- أن استقالة وزير النقل -أو إقالته على الأصح- رغم حتميتها وضروريتها -لن تحقق شيئا يذكر فى مواجهتنا الغائبة والمعدومة ضد العملاق الرهيب الذى يحمل اسم «الإهمال» .وما أبخس فرحتنا بإبعاد وزير النقل الحالى عن موقعه فإقالته لا تمثل -من وجهة نظرى- أكثر من قطرة من مياه المحيط الواسع . فوزير النقل -أى وزير نقل سبق الدكتور الدميرى أو كل من سيأتى بعده- لن يخلصنا من غول الإهمال ولن يوقف انتشاره فى كل مكان وكل موقع ، ولن يحصننا ضد تكرار الكارثة التى تعودنا على مثيلاتها سنة بعد أخرى .. ووزيرا بعد آخر.

ابراهيم سعده

أخبار اليوم ٢٠٠٢/٢/٢٣

حوار الحضارات
«وبهدلة المطارات»

«لو كنت أعرف ما سيحدث فى مطارات مصر ما كنت تركت بلدى مطلقا ولا كنت شاركت فى هذا المؤتمر ..» عندما صرخت إحدى عضوات وفود الدول ال٢٢ المشاركين فى مؤتمر «التراث العالمى فى أيد شابة-حوار الحضارات» فى وجوه بعض موظفى مطار القاهرة ومصر للطيران نتيجة التأخيرات المبالغ فيها فى مواعيد الطائرات وحالة اللامبالاة التى قوبل بها وفود دول العالم من موظفى المطار ..لم تسفر صرخاتها هي وزملائها عن شئ ..مما اضطر خبراء اليونسكو لافتراش كراسي المطار والنوم عليها انتظارا للفرج ..

لؤى محمد

القاهرة ٢٠٠٢/٢/١٩

الداخل مفقود ..
والخارج أيضا!

وأول ما يصدم المرء لدى وصوله إلى مطار القاهرة هو تلك الصالات الضيقة المكتظة التي يتزاحم فيها الركاب أمام

شبابيك الجوازات صفوفا طويلة بطيئة تخنق الأنفاس وكأنك أمام إحدى الجمعيات التعاونية فى إنتظار حصة تموينية.

ثم تنتقل إلى سيور الحقائب لتجد مذبحة من عشرات أو مئات الحقائب الملقاة على الأرض دون نظام ولو تأخرت بضع دقائق فقد تختفى الحقيبة الخاصة بك.. وتدخل فى دوامة من المتعب(...) والداخل إلى مطار القاهرة مفقود والخارج منه مولود ، ولكنك قد تكون مفقودا أيضا بمجرد الخروج من المطار، حيث يستقبلك عشرات من سائقى التاكسى والليموزين، وهناك عصابات منهم لا تخضع لأى قانون أو نظام ، وكل مهمة الشرطة أن تسجل أرقامهم.

سلامة أحمد سلامة

الأهرام ٢٠٠٢/٢/٢٠

حى على الصلاة!

لقى شخصان مصرعهما وأصيب ٩ آخرون عندما دهس مترو مدينة نصر سيارتين عند تقاطع شارعى مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وذلك عندما ترك قائد القطار كابينة القيادة وتوجه للصلاة ونتيجة انحدار الطريق انزلق المترو إلى الخلف فدهس السيارتين اللتين تصادف مرورهما ،ولقى سائق إحداهما وآخر برفقته مصرعهما بينما أصيب ٩ آخرون وقد ألقى القبض على قائد القطار المتسبب فى الحادث، وقد تسبب الحادث فى إصابة حركة المرور بمنطقة مدينة نصر بالشلل التام لمدة ٣ ساعات.

الأهرام

٢٠٠٢/٢/٢٠

بعيد عنك!

..ولقد كنت أطالع قبل أيام صفحة الرأى فى زميلتنا «الأخبار» فقرأت كلمة مخلصة لأحد المشتغلين بالنشاط الدينى يعلق فيها على هذه المسألة المثارة وهى تجديد الخطاب الدينى ، فيذكر أن بعض الخطباء ما زالوا حتى اليوم يلعنون المثقفين والفنانين على المنابر ، لأن خطيبا جاهلا متعصبا من خطباء السبعينيات كان يلعنهم فى خطبته التى كانت تعجب الغوغاء فسجلها بعض التجار فى أشرطة لقيت رواجا شديدا وأصبحت تذاع حتى

حفظها هؤلاء الخطباء عن ظهر قلب وأخذوا يرددونها كل جمعة، وما زالوا يفعلون حتى الآن .ومن المخجل أن تكون كوكب الشرق السيدة أم كلثوم هدفا من أهداف هذه البذاءة الغليظة المتسترة بالإسلام والإسلام منها براء!.

أحمد عبد المعطى حجازى

الأهرام ٢٠٠٢/٢/٢٠

استقيلوا!

بقيت كلمة لنواب الحكومة -فى البرلمان -عن محافظات الصعيد ..لقد غبتم عن قضايانا بعد أن أخذتم أصواتنا عسى أن نسمع لكم صوتا.. لقد كنا نتصور استجوابا عاجلا وجماعيا لرئيس الحكومة عن الأداء المتدهور لوزارته وامتهانه لمشاعر الأهل واستخفافه بعقولنا ، أو استجوابا حول الأداء الإعلامى الحكومى الذى أثار البلبلة وزاد من حيرة الخزانى ولم يحترم مشاعرهم .فى الماضى كنا نستطيع أن نتسامح إزاء صمتكم ، أما الآن فإنها فرصتكم التاريخية لكى نسمع لكم صوتا .. أو استقيلوا ..فسوف نحترمكم أكثر.

حامد العويضى

العربى ٢٠٠٢/٣/٣

مأساة العرص!

ولو أن فى مصر حياة برلمانية حقيقية لأقيلت هذه الحكومة بتهمة التنكيل بالمصريين .مأساة مصر الحقيقية أننا لم نتعلم فضيلة الحساب الصارم مع كبار المسئولين .مأساة مصر الحقيقية أن فورات الغضب سرعان ما تخمد دون مراجعة حقيقية للسياسات حودون حساب حقيقى للمجرمين الكبار.

عبد الله السناوى

العربى ٢٠٠٢/٣/٣

المحليات و« الركب»!

كشف المستشار «جودت الملط» رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات (وعضو اللجنة العامة للخصخصة) عن استمرار المخالفات الخطيرة فى معظم قطاعات الدولة . أكد أن شركات قطاع الأعمال العام(القابضة) ما زالت ترفض الالتزام بتسديد نصيب الحكومة من الفوائض (المالية) على الرغم من صدور قرار رئيس الوزراء بهذا الشأن ومرور أكثر من ٩ أشهر على اعتمادات الحسابات الختامية لشركات قطاع الأعمال العام(...) وأكد «الملط» وجود سلبيات «للركب» فى أجهزة الادارة المحلية وكشف عن تدنى نسبة المستخدم من الموارد المحلية(....) جاء ذلك فى لقاء المستشار مع أعضاء لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب.

الأهالى

٢٠٠٢/٢/١٣

الزغلول المفيد!

..ومن هنا فأنا لا أعلم تحت أى وظيفة من الوظائف الثلاث -التى حددها قانون تنظيم الجامعات- يدعو الأستاذ الدكتور رئيس جامعة القاهرة الدكتور زغلول النجار ويفتح له أبواب قاعة الاحتفالات الكبرى ويجلس أمامه جلسة المريد من شيخه وسط نوابه وكوكبة من أساتذة الجامعة وعدة مئات من طلابها وطالباتها . وينطلق الدكتور زغلول بأحاديثه المعادة والمكررة عن الحديد الذى نزل من السماء وعن الجبال والبحار وغيرها ..(..) ولا أعلم ما الذى يبيغيه رئيس الجامعة من دعوة الدكتور زغلول النجار ، هل يسعى لجماهيرية مصطنعة بين المتطرفين من الطلاب والأساتذة ، أم أنه يتجاوز الأمور الدنيوية التافهة والصغيرة ويسعى إلى أن يرضى الله ويكسب ثواب الآخرة؟ ولكن الذى لا أشك فيه هو أن ما يقوله الدكتور زغلول لا يمتب للعلم بأى صلة!.

د.كمال مغيث

الأهالى ٢٠٠٢/٢/١٣

أسئلة تتردد ..
وإجابات غير مترددة!

* س : بيان د. عاطف عبيد أمام مجلس الشعب تضمن أرقاما تختلف تماما عن الأرقام التى قدمها أمام مؤتمر شرم الشيخ الأخير.. أى هذه الأرقام هو الصحيح؟.

ج : كلاهما خاطئ ، والواقع الحقيقى يؤكد ذلك.

* س : كيف تتجاسر حكومة أن تقدم للسلطة التشريعية أرقاما خاطئة؟.

ج: حكومتنا تتبع حكمة جحا . سأله الخليفة كم عدد حبات رمل الصحراء ، فأطلق على الفور رقما من خياله ، فلما كذب الخليفة جحا أجابه: أذهب وقم بتعداده بنفسك وسترى أن رقمى صحيح.

* س: ما معنى إعادة تأهيل الخريجين؟.

ج: معناها أن عندنا أموالا طائلة، ننفق على الطالب حتى يتخرج ثم ننفق عليه حتى نعيد تأهيله .. ثم لا يجد عملا!.

* س: ماذا يفعل د. يوسف بطرس غالى الآن...ولماذا؟.

ج: لا يفعل شيئا .أما لماذا فهناك أكثر من إجابة من بينها أمثال شعبية تقول« جه يكحلها عماها » أو « خربها وقعد على تلها ».

د. رفعت السعيد

الأهالى ٢٠٠٢/٢/١٣

بلبل!

نقلت قناة النيل للمنوعات حفل عيد ميلاد الفنانة نبيلة عبيد على الهواء مباشرة كما سارعت بعض القنوات الخاصة بنقل فقرات من الحفل ،وفوجئ مشاهدو القناة الأولى بأن المذيعة « نهال كمال » تجرى لقاء مطولا مع نبيلة عبيد حول عيد ميلادها مساء الثلاثاء . أثار التركيز الإعلامى المكثف للحفل استياء العديد من الجماهير كما آثار علامات استفهام حول دور الإعلام الحكومى وأبعاده وحدوده (...) ولكن الاعلام الحكومى هو ملك للدولة والمواطنين ولا يمكن إذاعة حفل عيد ميلاد فنانة من خلاله بهذه البساطة!.

الوفد

٢٠٠٢/٢/١٤

صمت الحملان!

طالب أعضاء في مجلس الشعب من مختلف التيارات السياسية بإقالة الحكومة وتقديم الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء للمحاكمة وحمله المسئولية السياسية عن كارثة احتراق قطار الصعيد وغيرها من الكوارث الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال الفترة القصيرة الماضية(...) أعلن النواب ندمهم على التزامهم الصمت أمام بيان رئيس الحكومة الذي ألقاه في مجلس الشعب يوم السبت الماضي حول كارثة القطار ، واتهم النواب في اجتماع لجنة تقصي الحقائق الدكتور عبيد بالكذب ،وتضليل العدالة والرأى العام ..

الأهالى

٦/٣/٢٠٠٢

إنقاذ!

هذا بلاغ عاجل تتقدم به« الأهالى » إلى الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء واللواء حبيب العادلي وزير الداخلية والمستشار ماهر عبد الواحد النائب العام ضد قوات الانقاذ التي انتقلت -بدون تجهيزات أو معدات- إلى موقع المنزل الذي انهار في دمياط منذ قرابة ابسوعين وراح ضحيته ٢٢ موانطا ، فقد استخدمت قوات الانقاذ «بولدوزر » خاص بالأهالى في عملياتها وأصدرت لسائق البولوزر تعليمات برفع الانقاض بحثا عن الضحايا فتسبب في ازهاق أرواح الأحياء من الموجودين تحت الركام(....) وكان قرار ترميم المنزل المنهار قد صدر في عام ١٩٩٤ ولكن العقار ظل بدون ترميم حتى عام ٢٠٠٠ الذي شهد قرار الطعن على القرار وفي عام ٢٠٠١ جاءت لجنة معاينة ولكنها لم تطلب رفع الخشب الموجود على الجدران لتعرف حالتها ، ثم جاءت لجنة أعلى ولم تصدر أى قرار ..

الأهالى

٦/٣/٢٠٠٢

كل المصائب!

تبدو الصدفة في شكل مس كهربائي أو انفجار بوتجاز أو أحداث الأمن المركزي(١٩٨٦) أو هزيمة الفريق القومي لكرة القدم ، لكن الحتمية هي في القرارات التحتية والخبطات التفردية

والنظام المتهالك من أول السماح بمرور سفن إسرائيل سنة ١٩٥٦ دون الرجوع الاقتصادية الراهنة مرورا بنظم التربية والتعليم التى يتم تخطيطها فى المكاتب بعيدا عن نبض الواقع وحقيقة تقييم نتائج الانجاز.

إنه خليط واحد يربط بين التهاون فى السماح بموقد جاز فى قطار متهالك والتهاون فى حق الناس أن يشاركوا فى قرارات السيادة والكرامة . كل المصائب التى تبدو طارئة ليست السبب ، لكنها النتيجة لنظام لا يريد أن ينصت أو يواكب العصر أو يرسو على بر ليتمكن هو نفسه من إعادة تقييم أو تعديل أخطائه ..

د. يحيى الرخاوى

الوفد ٧ / ٣/ ٢٠٠٢

« بلاوى » كثيرة!

..وتقول وكالات الأنباء أيضا أن اللوم تصاعد ..فقد تم لفت نظر كبار المسئولين إلى أن الدكتور إبراهيم الدميرى الذى لم يشغل منصبه أكثر من شهور قليلة وقع خلالها حادث واحد تمت إقالته ومهدد بالمحاكمة بينما سلفه سليمان متولى شغل منصبه ١٥ عاما وقعت خلالها « بلاوى » كثيرة (....) ومع ذلك قلدوهس أعلى وسام فى الدولة .. رغم أنه خرج من الوزارة لسبب هام آخر لا داعى لذكره ..

عبد الرحمن فهمى

الوفد ٧/ ٣/ ٢٠٠٢

آخر القصيدة .. كفر أيضا!!

إذا كان الدكتور فتحى سرور قد نجح بتفوق فى جلسة السبت ٢ مارس فى منع أى مناقشة لحادث القطار المنكوب (....) وإجهاض أى مساءلة قد يتعرض لها رئيس الوزراء ...فقد جاء الدور على لجنة تقصى الحقائق ورئيسها حمدى الطحان لكى تواصل ذر الرماد فى العيون وتكمل عملية سلق المناقشة وتبريدها وليذهب ضحايا القطار المنكوب إلى الجحيم ولتضع دماؤهم هدرا.

فى اجتماع لجنة تقصى الحقائق الأول الذى انعقد مساء الاثنين ٤ مارس كان من الواضح أن هناك تعليمات لنواب الحزب الوطنى بعدم الحضور وأن يكون هناك تجاهل تام للاجتماع ، هذا ما فعله

رئيس اللجنة بالضبط حيث تجاهل دعوة رئيس الوزراء ... وتجاهل تنفيذ قرار المجلس يوم ٢ مارس بضرورة قيام التلفزيون بنقل وقائع اجتماع اللجنة وإذاعتها مباشرة على الهواء (....) أما السيد حزين من الشرقية فأشار إلى تصريح غريب لرئيس الوزراء قال فيه «من رحمة ربنا أن القطار لم يكن به سواح) وقال «من الواضح إن ربنا مش موفقهم حتى فى تصريحاتهم».

الأسبوع

١١/ ٣/ ٢٠٠٢

ملحق ..للمساخرنانة

قررت الحكومة أمس إلغاء إجازة رأس السنة الهجرية التى كانت مقررة اليوم «الخميس» ،(...) صرح بذلك مصدر مسئول بمجلس الوزراء ، وكانت الحكومة قد أعلنت «أمس الأول» أن الخميس إجازة رسمية فى كافة مؤسسات الدولة ..

الوفد

١٤/ ٣/ ٢٠٠٢

... وأخر كلام!

...واللهم نسألك طولة البال وضبط النفس مع الكذب العلنى الفاضح للكذابين صغارا وكبارا ، أو على الأصح كبارا وكباراً !!.

أحمد رجب

أخبار اليوم ١٦/ ٣/ ٢٠٠٢

زهور سقيناها
فى المائة عدد الثانية

فى العدد (١٠٠) من « أدب ونقد» نشرنا ملفاً بعنوان « زهور سقيناها» ، احتوى على شهادات ذاتية للمبدعين الجدد ، من الشباب والشابات ، الذين نشروا لأول مرة فى حياتهم عبر صفحات « أدب ونقد» . وفى الصفحات التالية نقدم الدفعة الثانية من شهادات المبدعين والمبدعات الذين كانت صفحات « أدب ونقد» هى حاضنة أول نشر لهم ، عبر المائة الثانية من أعدادها .

ومثلما كانت الدفعة الأولى من الزهور التى سقيناها ليست جامعة مانعة ، فكذلك هى الدفعة الحالية ليست جامعة مانعة ، إذ غابت - فى المرتين - شهادات الكثير من الزهور ، لأسباب عملية ، ولرغبتنا فى « التمثيل» لا « الحصر».

ومثلما كان فخرنا فى المرة الأولى شديداً ، حينما اكتشفنا أن الكثير من المبدعين الذين سقيناهم صاروا الطليعة المميزة فى الإبداع المصرى الشاب ، فكذلك نشعر بفخر شديد اليوم لأن كثيراً من زهورنا الحالية (التى حضرت بشهاداتها أو بنصوص لها أو بكتابة عنها) صاروا - وسوف يصيرون - النخبة المميزة الجديدة فى الإبداع المصرى الجديد .

عاشت الزهرة ، وعاش الساقى.

« أدب ونقد»

شهادة



فرحت بموهبتى

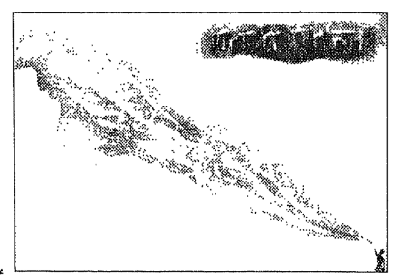
خلود محمود

أنا أكتب الشعر وأنا عندى ٦ سنوات وبرغم حصولى على المركز الأول فى كتابة الشعر لم تهتم بى أى مجلة مشهورة غير مجلة " أدب ونقد "

وعندما نشرت لى بعض قصائدى فى المجلة شعرت بسعادة كبيرة وشاهدها زملائى فى المدرسة

ولأول مرة أفرح بموهبتى ، لذلك أرجو من مجلة أدب ونقد أن تتبنانى.

شهادة



محمود بقشيش

لن نعود كما ذهبنا

د. شيرين أبو النجا

لدى كراسة بنية اللون. كلما اشتد سخف العالم أفتحها . أحب اللون البنى بكل درجاته بدءاً من أشد درجاته قتامة وحتى اللون الأصفر . هكذا أنا ، أعتبر الأصفر أحد درجات اللون البنى . تحول فعل فتح الكراسة إلى مؤشر ، كلما هممت بفتحها أدرك أننى فى أعلى درجات الشجن كالبنى القاتم ... أم الأصفر ؟ مضى سبع سنوات ولم أنجح حتى الآن أن أشرح للطلبة والطالبات فى الجامعة معنى الشجن . أقول لهم : " هو ليس الحزن ، وليس البكاء ، ولايستدعى الضيق ولا الاكتئاب ، والشجن ليس له سبب مباشر . هو كالهالة تحيط بالإنسان أينما راح ، تصحو وتغفو معه ، الشجن يكثف انسانيتنا

،ويزيد من رهافة مشاعرنا ، ويجعلنا نبكي لأن القطة تموء ولأن القمر لونه ذهبي ولأن الشوارع مبتلة بالمطر ، ولأن ظل البيت القديم يلتمع مع انعكاس أضواء السيارات ولأننا فجأة في شارع محمد محمود نضطر أن نعبر من فوق جسد امرأة نائمة على الرصيف وعلينا أن نتجاهل الأمر تماماً كي لايزداد تورطنا العاطفي فنكتشف عجزنا الكامل . والشجن هو أن نرى فجأة كل البشر جميلة ، وهو أن يتسع أفقنا لكل الأخطاء ..،.. والشجن ليس الحزن بل هو الشجن " . كثير عليهم ، ولم أتوقع أكثر من مقدرتهم .. كنت أماثلهم في العمر ولم أفهم أيضاً . كانت الحياة أبيض وأسود ، حباً وكرهاً . لم تهمني الخسارة والهدم ، الآن أرتعد من الخسارة ولهذا لا أكتب

" ألا تكتبين؟" كم مرة سئلت هذا السؤال ، وفي كل مرة تأتي اجابتي ملتبسة بحيث لاتعني أي شئ ، فمرة أقول " يعني" ، ومرة أبتسم ببلاهة ، ومرة تأتي إجابتي في شكل نظرة ذات " مغزى" ومرة أقول " لاأعرف " في محاولة للتفلسف . على من أتحايل ؟ على نفسي أم على الآخرين ؟ دائماً في منطقة وسطى ، ليست نعم وليست لا . سنوات عديدة لم أتنازل فيها عن اللاحسم واللاتحديد عندما يتعلق الأمر بالكتابة . مرات قليلة هي التي بالفعل أمسكت فيها القلم وكتبت الشعر والنثر ، وآلاف المرات أردت أن أمسك القلم وأكتب ولم أفعل كنت – ومازلت – أجد العذر الذي أبرر به لذاتي اللا كتابة.. دائماً عذر مقنع ومبرر درامياً .

وهكذا أجد نفسي دائماً في حالة استعداد دائم لفعل لايتم أبداً ، استعداد وهمي لايعلن عن نفسه استعداد يشبه الفرح الناقص والقمر اللامكتمل .. أليس النقصان هو أمل الاكتمال . كل الكتابة تحدث داخلي ، حتى أصبحت أحمل أكبر صفحة ، صفحة من قطع مهولة ولانهائي ، صفحة أبدية تأبى أن تتصالح مع الأوراق فتضع النهاية لحريتها. أحمل داخلي كل الحكي وكل الشجن ، أستقبل ولا أرسل ، وأتصور هيلان كونديرا كأنه يكلمني " كل شئ نعيشه دفعة واحدة ، مرة أولى ودون تحضير ، مثل ممثل يظهر على الخشبة دون تمرين سابق ".. كيف أواجه الكلمات على الأوراق دون بروفة واحدة ؟ كيف أملأ البياض حبراً وأقول هذا أنا ، كيف يمكن تحويل كل هذا الزخم والشجن إلى كلمات ؟ كل الحكايات حبيسة داخلي ، تركت تسعة وتسعين غرفة مفتوحة وأحكمت إغلاق الغرفة المائة ، غرفة الكتابة ، الغرفة المحرمة المليئة بالأسرار والحواديت . امتلأت الغرفة

حتى الثمالة بالحواديت حتى أصبحت حدوتة كبيرة فهمتها وأنا كبيرة عن الدنيا الكبيرة المتلفحة بشجن كبير .. هل أجرؤ أن أكتب كل هذا فى صفحة كبيرة ؟

كلما اقتربت من باب الغرفة ، أتراجع حتى تحولت علاقتى بالغرفة كعلاقة الموج بالشاطئ ، يتقدم بقوة وحماس لكى ينكسر ويتراجع بهدوء ، فأبقى أنا فى المنطقة الوسطى ، مستعدة للكتابة وعاجزة عنها . عجز يعقد لسانى فى كثير من الأحوال ويقيد القلم دائماً. هل أجرؤ كامرأة على دخول مغامرة الكتابة . هل أجرؤ كامرأة أن أواجه مجتمعاً أعرفه جيداً وأنتمى إليه ، هل أجرؤ كامرأة على النظر بثبات فى عين الآخر الغريب وأقدم له أوراقاً بابتسامة مصطنعة تؤكد التزامى بكل الضوابط المجتمعية وأقول له " هذا أنا" ، هل أجرؤ كامرأة أن أفتح صحيفة فى أحد الأيام لأقرأ تشهيراً بى ككاتبة ، هل أجرؤ كامرأة أن أواجه شبكة من العلاقات الغائمة اللامبررة لأحصل على اعتراف أننى كاتبة ، هل أجرؤ أن أواجه طوفان الغرفة وحدى؟ هل أجرؤ .. هل أجرؤ ؟ هكذا أردد بروفروك فى قصيدة " أغنية حب " لإليوت . ورغم هذا ، لم أجرؤ أيضاً أن أجيب " لا " عندما أسأل " ألا تكتبين ؟"

كان لابد أن أتعايش مع الغرفة المعلقة (حتى الآن) ، كان لابد أن أجد وسيلة تمنعنى بقوة من التهور والاندفاع اللذين قد يدفعاننى لاقتحامها ، كان لابد من وقف الحنين للحكى، كان لابد من السيطرة على قدر الشجن الذى يلازمنى حتى فى أعلى ضحكة لى، كان لابد من تحجيم مساحات دموع تصمنى كامرأة بالضعف، كان لابد من إقامة أسوار حديدية تمنع عنى الآخر إلا مايصله عبر التلصص من شقوق الروح، كان لابد أن أكون متماسكة فى وجه عالم لايعرف الرحمة ولايتوقف عن الحكى .. كان لابد أن أتأكد من إحكام الأقفال على باب الغرفة ثم أنساها . صممت خطة هروب محكمة غير مقتلعة ، على الأقل أمام نفسى ، اكتشفت أننى لم أعش أبداً فرحاً كاملاً ، فقررت أن أقيم حفلة فرح أمام باب الغرفة ، أحتفل فيها بكل ماتكتبه الأخريات ، كل الكاتبات أكثر شجاعة منى ، وأكثر إقداماً ... كلهن واثقات وأنا مازلت لاأجرؤ . لكننى أجرؤ على الاحتفاء بهن وأعرف كيف أمارس هذا ببراعة.. كلهن يكتبن أجمل مما أكتب وأحياناً يكتبن فأتصور محتويات الغرفة المغلقة وينتابنى هاجس أن أحداً ماعبث بمحتوياتها ! اخترت الطريق الآمن (السهل ؟) ، أكتب عن كتابة الكاتبات بدلاً من سلك الطريق

المباشر القصير ، اخترت الطريق الطويل الآمن ، الاحتماء خلف نص نقدى مواز خير من وضع اسمى على نص ابداعى . إقامة فرح أمام الغرفة أفضل من دخول الغرفة . وهكذا أتجول بحرية فى مساحة كبيرة كبطل " حارث المياه " الذى صورته هدى بركات وحيدا فى بيروت .. يسترجع كل أنواع النسيج ويضفرها مع أجمل قصة حب ، أسترجع أنا كل محتويات الغرفة وأضفرها مع أجمل كتابات .. الخوف كل الخوف أن أكتشف فى النهاية أننى أحرث المياه ! فرح دائم يجدد نفسه تلقائياً كلما ظهر عمل جديد لكاتبة ، فرح أبدى لاينتهى كالصفحة الأبدية داخلى ، فرح يخفف من وطأة الشجن فأتفرغ للحياة .. ألا تحتاج أيضاً بكل قوتها إلى التفرغ ؟

منذ مدة قصيرة ضللت طريقى - كالمعتاد - فى وسط المدينة . وعندما أضل الطريق عادة ماأتوقف فى محاولة لإيجاد مساعدة ، لاأغامر ولاأتقدم . وأنا أستعد لعبور الشارع ، هاجمنى مشهد وفرض نفسه على بصرى . عند التقاء شارع شامبليون مع شارع فؤاد تقف مبان قديمة ، نعرف كلنا أنها كانت جميلة، حاولت أن أخمن اللون الأصلى لهذه المبانى فاكتشفت أنه لابد أن يكون الأبيض، إلا أنها الآن مرهقة ومتعبة وتئن تحت طبقات من الغبار والاهمال . توحدت مع المبانى بحميمية وتأكدت أننى بعد سنوات (وكل له سنواته) سأتحول إلى إحداها ، ولكن من سيخمن لونى الأصلى ؟ ربما يجب أن أحول مفردات الغرفة والصفحة الأبدية اللامنتهية إلى مفردات على ورقة قطع **A 4**، وربما يكمن جمال المبانى فى عدم وضوح لونها ، إذ لعل اللون الأصلى غير ملائم ، لأنه قد لايتحمل كل هذا الغبار . لغة احتمالية .. لغة المنطقة الوسطى .. لغة مراوغة الذات لغة الهروب من الكتابة ، حتى لو كانت المبانى جميلة .

فى كل مواجهة جديدة مع العالم ، تضغط على الكتابة وأقاوم ، نتصارع فى الأحلام وفى الخطوات وفى الأنفاس ، أصر على تجاهلها ، فأنا متفرغة للأفراح من يكتب حكايته يرث ، أرض الكلام ، ويملك المعنى تماماً " ، لكن بالتأكيد أن الشاعر كان يقصد فلسطين ولايقصدنى ، كما أننى لاأريد أن أملك المعنى تماماً ، بالإضافة إلى ملكيتى الكاملة لغرفة الحواديت . غرفة واحدة هى كل ماأعود إليه مع بشاير الشتاء والبرتقال الأخضر ، غرفة تضغط علىّ فأهرب وأتشاغل بنزلة البرد المعتادة والتدخين والنوم . يقولون " تخلصى من محتويات الغرفة واكتبيها " .. فأتعجب " كيف نتخلص من أنفسنا ؟" نطلى البياض حبراً

فنتخلص .. ربما .. ربما الكتابة عصا سحرية تنقلنا من جفاف النقد إلى دفء الإبداع .. ربما نتمكن من خلق عوالم موازية فى الكتابة ، عوالم بها نساء ورجال يفهمون الحب والحنان ، عوالم خالية من الدم ، عوالم كحواديت الأطفال ينتصر فيها الخير على الشر .. عوالم مختلفة عن الواقع الذى لايزهر سوى الشر.. ربما تكون الكتابة فى هذا الواقع شراً لابد منه !

الكتابة هى أكبر ورطة تاريخية . أمسك القلم وأبتلع حبوب الشجاعة وأقرر أن أكتب . أحضر الأوراق الصفراء وأضئ الشموع وأغلق باب الغرفة وأقول لمن معى فى المنزل أننى أعمل . أغمض عينى عدة مرات وأسترجع أحداثاً وذكريات ، ولاأجد ماأكتبه . فكلما خطرت فى بالى فكرة أجدها ليست ذات أهمية، هل هو مهم للعالم أن يعرف عنى شيئاً ؟ أهمل الأوراق الصفراء وأنساها ثم تحدث لى أشياء فظيعة وصارمة كالحياة أو الموت ، وأجدنى مدفوعة للكتابة ومشتاقة لها . تنساب الكلمات على الصفحة وكما بدأت الحدوتة فجأة تنتهى فجأة دون أن ألتقط أنفاسى لأقول " توتة توتة فرغت الحدوتة " ولأن الأوراق تبقى حبيسة أحد الأدراج فلا أتمكن أبداً من سؤالكم " حلوة ولاملتوتة " " ستبقى الأوراق فى الأدراج عملاً بنصيحة صلاح عبد الصبور " لاتبحر فى ذاكرتك قط .. لاتبحر فى ذاكرتك قط"

كلما أعيد النظر فى الشعر الذى كتبته منذ عدة سنوات ونشرته ، لأول مرة فى مجلة أدب ونقد ، أتعجب من تلك الجرأة والقدرة على مواجهة الآخرين . هكذا بقصيدة نتحول من منطقة إلى أخرى . كيف كنت حريصة على نشر تلك الأشعار ، أحاول أن أستعيد رؤيتى للعالم فى ذاك الوقت ولاأتمكن . ربما أملك تفسيراً وحيداً ، لم يكن الشجن قد تمكن منى بعد ، لم يكن قد أحكم قبضته هكذا ، لم يكن بتلك القوة . لم أكن قد أدركت بعد الضريبة التى يجب أن تدفعها أى كاتبة ، ضريبة من الأعصاب ، وحرية الحركة ، وحرية التفكير .. ضريبة ثابتة لاتتغير ، استقبالنا لها هو الذى يتغير فى فترة نواجه ثم لانحتمل . ولأنه ليس لدى رصيد أدفع منه الضريبة فقد انتقلت إلى الكتابة عن الكتابة – أليست نوعاً من الإبداع ؟ الانتقال من مكان لآخر هو أحد الحلول العملية عملاً بمقولة " ما أضيقالبشر ، ومـاأوسع الأمكنة " أمكنتى فسيحة تتسع للكثير وتتسع لأفراح كل الكاتبات وتسمح لمحتويات غرفتى أن تتوه فى الضجة والزحام تبقى الغرفة مغلقة

فأحتفظ بشجنى الخاص ، أحافظ عليه وأصونه من النظرة واللفتة والكلمة . شجنى كالمارد يمدنى بقوة احتمال للعامل ، فى أكثر لحظات الضعف وأحيانا اليأس والتعب ، لاأجد سوى هذا الشجن أعود لأرتكن عليه . " إذا كان نصيبى كنصيب الطير ، فحتى الطير لها أوطان تعود إليها " ، لاأعرف شكل الوطن الذى يتمناه مظفر النواب ، ولكننى أعرف الوطن الذى يعيش بداخلي وينير لى مابخارجي . شجن يشبه كرة الجليد ، يزداد حجمه كلما قطعت مسافات فى الزمان .. شجن لابد أن يبقى فى صفحته الأبدية.

هكذا أعيش حياتين ، واحدة حدثت لإنسانة تشبهنى فى الشكل ولكنها أكثر شجاعة منى ، حملت بنفسها أشعاراً وسعت لنشرها فى " أدب ونقد " ، أعطت أوراقاً لفريدة النقاش وقالت " هذا أنا" كانت مقبلة على المغامرة ولم تكن قد أدركت بعد أن الكتابة معناها أننا لن نعود كما ذهبنا . أنظر إلى أشعارها اليوم وأتعجب كيف ومتى كتبتها ! الحياة الحاضرة هى لإنسانة تنظر بحنين لذاك العدد من " أدب ونقد" ولكنها تضعه دائماً متوارياً خلف الكراسى البنية وتعرف فى أعماق ذاتها وفى أحلامها أنها تقاوم الإمساك بالقلم وتقاوم ملء أوراق بكلمات تصف محتويات الغرفة .. وتكتفى موقتاً باقامة أفراح وليال ملاح أمام الغرفة إنسانة تعيش حياتين .. واحدة أمام الغرفة وأخرى مؤجلة فى الكراسية البنية.

أكانت تلك شهادة أم حكاية ؟

حدثت أم تحدث ؟

شهادة الشجن ؟ أم شجن يشهد على الخوف ؟

الأكيد .. أننا لن نعود كما ذهبنا.

لن نعود كما ذهبنا.



أدب ونقد
فى مواجهة التحدى الكبير

خالد سليمان

ليس انجازا للمرء أن يسعى إلى أن يكون من النخبة .. أو بالأحرى أن يسعى إلى التعلق بهذا الوهم ..، إنما الإنجاز الحقيقى للمثقف يكمن فى اقترابه من روح الإنسانية .. أن يحمل هموم البسطاء المهمشين وأن يكون لسان حالهم .. أن يناضل إلى جانبهم ولايكتفى بالفرجة على دمائهم المهراقة بأيدى الطغاة وتابعيهم فى كل العصور لتضيع بلا ثمن ..

– هذا ماتعلمته أنا وكثير من أبناء جيلى من « أدب ونقد» على أيدى الرواد الغائبين والحاضرين الذين كانوا دائما أكبر من الألقاب التى التصيقت بهم ليشرفوها – لطيفة الزيات ، ملك عبد العزيز ، عبد المحسن طه بدر ، محمد روميش ، عبد العظيم أنيس ،

أمينة رشيد ، صلاح عيسى ، الطاهر مكى ، ومعهم مجلس التحرير السابق والحالى.

- الآن سوف نستأنف معا المسيرة لنواجه سويا تحديات ومتغيرات لعلها الأكثر خطرا فى تاريخ الإنسانية .. وقلوبنا مع الذين قبلوا التكليف والإضطلاع بالمهمة الشاقة المضنية .. ربان السفينة فريدة النقاش ومعها حلمى سالم وأشرف أبو اليزيد ، والمفارقة الطيبة أن تكون هيئة التحرير الحالية خير تعبير عن سياسة " أدب ونقد " الديمقراطية التى راعت وجود من يمثل كافة الأجيال فى تشكيلها ..

- وخير احتفال بالمئوية الثانية من اعداد " أدب ونقد " ان ادعو باسمنا جميعا عشاق وأبناء ورواد وقراء " أدب ونقد" إلى التواصل والتكاتف من أجل استمرار " أدب ونقد" بامكاناتها المحدودة اقتصاديا والعظمى أدبيا ومعنويا فى عصر .. تسليح الثقافة وتوارى الدوريات الجادة والمحترمة لحساب ثقافة العولمة وأمركة الكوكب.

- الفترة القادمة تحمل بين ثناياها التحدى الكبير فاما أن " نكون أولا نكون " وليكن شعارنا جميعا هو شعار كابتن " ميخاليس " البطل الملحمى العظيم الذى اهدانا إياه الخالد " نيقوس كازنتزاكس " (الحرية أو الموت) ... فأمام أمركة العالم ليس لدينا خيار آخر..

لنتكاتف ونتواصل ونصمد مع " أدب ونقد " لكى تبقى وتزدهر وتظل الكتابة على صفحاتها شرفا نعتز به جميعا لايعادله فى ذلك سوى شرف خلودها فى قلوبنا.

شهادة



النوم والكتابة وغيطان العنب

أحمد الشريف

من النوادر الجحوية التى ارتبطت عندى بفعل الكتابة تلك النادرة التى خلاصتها أن رئيس الحرس مر به فى منتصف الليل ، وهو يدور فى الشارع كمن يبحث عن شئ فسأله عم تبحث ؟ فقال جحا : هرب نومى وأنا أبحث عنه ! ، النوم والكتابة مشتبكان عندى ، غالبا يكون الهروب من الآلام والمناخ الردئ والظروف الصعبة بالنوم ، ولكن ماالعمل فى حالة عدم مجئ السيد النوم ؟ يجب إذن القيام بعمل شاق كى يستطيع المرء أن ينام مع مرور الزمن وبامصادفة عرفت أن فعل الكتابة يأتى ويعقبه النوم بعد فترة ، على شرط ألا يكون فعل الكتابة فى الليل ، لأنه حدث أن كتبت قصة فى الليل ، وما أعقب

ذلك كان أشبه بالجنون ، أنام قليلا وفجأة استيقظ فى الثانية أو الثالثة صباحا ، كى أحذف جملة أو أضيف كلمة وانتهت معظم الكتابات الليلية بتمزيقها مع شروق الشمس.

بعد تلك التجارب الليلية المؤرقة . غيرت توقيت الكتابة وبدأت أكتب فى النهار من الحادية عشرة إلى الثالثة أو الرابعة بعد ذلك أقوم بأى عمل كاحضار الخبز والطعام من السوق وعمل القهوة والشاى والوقوف المتكرر فى مواجهة البحر . بحر الاسكندرية الوسيع - وذلك أثناء دراستى هناك - ساعات الكتابة لا أشعر فيها بمرور الزمن، كذلك يحدث فى النوم العميق والأحلام، وهذا لايعنى أن كل ساعات الكتابة . كانت المتعة بعينها ، هناك أوقات كانت تنتابنى فيها حالات من الضيق والعصبية واللا جدوى ، هل سبب ذلك أن الفن والفكر منذ البداية ثمنها الآلام (هولدرلن) ، ربما ، وربما أيضا بسبب الظروف الحالكة التى نمر بها فى هذه المنطقة من العالم . الكتابة فى عالمنا صارت فعلا للمقاومة ونسياناً للآلام.. اللوحة والكتاب كلاهما تجديد لمجموع الوجود (سارتر) ، ليس اللوحة والكتاب فقط بل القطعة الموسيقية والأغنية الجميلة وسائر مفردات الطبيعة.

ولدت وسط الحقول الشاسعة من غيطان العنب ، فى القرية التى تدعى (فيلكسيا) كانت منتجعاً للأرستقراطية الإغريقية ويقال: إن الاسم يعنى! أرض الخضرة والماء . اشتهرت القرية بغيطان العنب ، ألهذا ياترى كانت منتجعاً فى الزمن القديم ، برميل كبير من الخمر لاينضب ؟ ذكر (أميلينو) فى جغرافيته قرية باسم **phi-loxenos**وقال : إنها باقليم الفيوم ، وإنه لم يستدل على موقع هذه القرية لاختفائها ، وإنى أرجح أن فيلو كسنوس هو الاسم الروحى للقرية " أبو كساه " هذه ، وقد حرف إلى اسمها الحالى ووردت بوكسا ، من الأعمال الفيومية .. الميلاد كان إذن فى تلك القرية الغريبة الواقعة فى مدينة أعزب (الفيوم) ذلك المنخفض فى الصحراء الغربية، يبعد عن القاهرة حوالى مائة كيلو متراً . سميت بالقبطية (أيوم) أى الخزان ، وقيل أن اسمها (بيوم) أى البحيرة لوجود بحيرة قارون بها ، مالحة المياه ، مساحتها ٥٥ ألف فدان ، عمقها مابين ١٢:٥ متر وهى جزء من بحيرة موريس القديمة **MORS** وفيها طيور مستوطنة على مدار العام ، مثل النورس والخضراوى والحبارى والزرقاوى ،ولقد سميت كذلك (بيوم) و(فيوم) وأضاف العرب إليها (ال) فنطقوها (الفيوم) وقد

وجد بها اثار ماقبل الإنسان شمال بحيرة قارون وعاشت فيها حضارات ماقبل التاريخ والحضارة الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية ، وعندما استولى اليونانيون على مصر اهتم بطليموس الثالث بالزراعة فى الفيوم وزراعة العنب ومعاصر النبيذ فى قراها . وقد سميت الفيوم باسم زوجة بطليموس الجميلة (أرسينوى) ويقال إنه عشقهما معاً - وهناك بردية عثر عليها فى الفيوم للشاعر اليونانى (كاليماخوس) مدح فيها شعر زوجة الملك بطليموس الثالث ، وأشار إلى شعرها الجميل الذى قصته عندما خرج زوجها للحرب فى آسيا ، وأخذت تتعبد فى (كانوبى) أبو قير الحالية ،وكانت تترقب النجوم وتتضرع إلى السماء لكى يرجع إليها زوجها سالماً . وقد وضعت شعرها فى مكان أمين بعد أن قصته ولكنها لم تجده ، فقال عنها كاليماخوس : إن الآلهة قد خطفت شعر الملكة الجميلة المخلصة، دون وعى أو بوعى فيما بعد ، تسلل هذا المكان المتفرد إلى ذاكرة الكتابة . كان مع هذا المكان الذى استوطن ذاكرتى ، جدتى والعم عارف . بحكاياتهما وقصصهما التى لم تنته حتى الآن . فجدتى تحكى القصص بأدق التفاصيل وتصف أيضا الفعل الجنسى وتسمى الأعضاء الجنسية ، ليس بالاسم العربى الفصيح ولكن بالأسماء العامية .

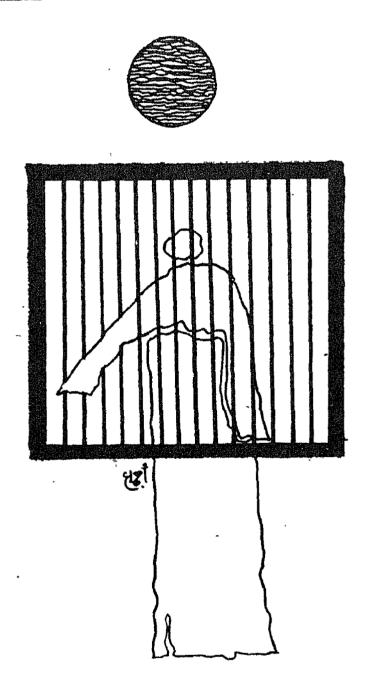
فى حكايات جدتى ، المرأة كان لها الدور الأكبر وهى الأكثر مكراً وذكاء أو دائما معرضة للانقضاض عليها من الذكور ، ليس ذكور البنى آدميين بل الحيوانات أيضا ، لا أنسى تلك الحكاية التى حكتها عن امرأة بيضاء جميلة مكحولة العينين ، خرجت إلى السوق ، فرآها قرد وخطفها إلى الغابة حتى أنجب منها ، وفى غفلة منه ، أخذت القارب الوحيد وهربت ، كانت فى عرض المياه وقد رآها ، فقام من غيظه بتمزيق الولد أمامها ، علها تنهار لكنها استمرت فى التجديف حتى الشاطئ ، العم عارف أيضا، حكاء كبير ، عاشق للحياة والنساء ، يعتبر الأنثى سر الحياة ، دائما يحدثنى عن المرأة ككائن كلى القدرة " يابنى الواحد منا له مرة واحدة أما المرة لها مية راجل "، لم أفهم ساعتها ماذا يقصد ، دوماً كان ينسب للمرأة الحب والعطاء والغدر والخيانة والشهوة والدفء والموت . عند وفاة أمه احتضنها من المغرب حتى الصباح وقام بغسلها بنفسه.

عم عارف أطلع على كتب السحر القديمة . حكى لى ذات مرة عن المرأة الوحيدة التى أحبها فى حياته ، كان وقتها يعيش مع أمه وحيدين فى البيت الواقع على أطراف ((

(فيلكسيا) بجوار حقول (الزيتون) ، كان فى تلك الليلة ، يقرأ فى غرفته . وفجأة وهو منكب على كتاب قديم ، تحولت حروف الكتاب إلى قطع من نور والغرفة كلها استحالت قطعة من قمر ، رفع رأسه ، فرأى امرأة بيضاء كاللبن ، تبزغ من الركن فى الجدار ، أفلت الكتاب من يده وعندما حاول الإقتراب منها سمع صوت أمه ، فالتفت بسرعة لإخبارها بقدومه كى لاتدخل عليه الغرفة ، وعندما رجع برأسه إلى موضع المرأة كانت قد اختفت للأبد.

فى ظل هذا المكان (الفيوم) وحكايات وقصص الجدة والعم " عارف" اقتربت بشكل جميل من تخوم الحكى والكتابة ، لكنّ المسيرة لم تكن فى حالة من الصحو والصفاء الدائم ، لأنى ولدت فى بيت تاجر صغير ومغامر فشل فى الاحتفاظ بما ورثه عن أبيه من أراضٍ وعقارات ، رغم أن تلك الأراضى والعقارات لم تكن كثيرة ، غير أن الإحتفاظ بها كان يعنى الحياة بشكل شبه مستقر، لقد حاول هذا الأب أن يتاجر كى يعوض بعض ماضيه ولكى نعيش بشكل أفضل . فكانت حياتنا تتحول من النقيض إلى النقيض بشكل دائم ، زذكر إنه عندما شعر أخى بألم خفيف فى عينيه ، حمله أبى فى سيارة خاصة إلىّ القاهرة للعلاج عند دكتور مشهور ، بعد هذه الواقعة بشهور قلائل ، مرض أخى هذا مع فارق صغير هذه المرة ، إننا لم نكن نملك ثمن تذكرة دخول مستشفى حكومى . حدث نفس الشئ معى أثناء دراستى بالاسكندرية ، كنت آخذ نقوداً كثيرة تكفى للحياة وشراء الكتب ودخول السينما والمسرح وبعد نهاية الشهر لاأجد ماأحتاجه لعودتي. هكذا كانت حياتنا ، حالة من التغير المستمر ، لكم تمنيت أن يكون أبى موظفاً حكومياً له دخل ثابت ، رغم أن ماينفق فى البيت فى أسبوع يوازى رواتب عشرة موظفين ، تلك الحالة منعتني من دراسة الفلسفة التى كنت أحبها ومازلت كما إنهّا جعلتنى ، دون أن أدرى ، أحس بأنه لاتوجد أشياء ثابتة وصلبة ،وذلك دفعنى لعدم تبنى أية أفكار أو أيديولوجيات جامدة، كما أن تلك الحالة ضربت عندى فكرة القيمة الكبيرة للنقود ، لقد عرفت أن النقود تأتى وتذهب ، لذا لاداعى للصراع من أجلها ، وبسبب ذلك أيضا كرهت دروس الحساب والرياضيات وأحببت التاريخ والفلسفة ومشاهدة الطبيعة والوقوف أمام مفرداتها من أشجار ونباتات وزهور بحيرات وغيطان وحيوانات.

تلك الظروف والأشياء فىّ حياتها دفعتنى لتسلق شجرة الحياة والاندفاع نحو نهرها



الفوار، لم تعد تؤثر فى كتابة الهياكل العظمية ، صرت أؤمن بكتابة اللحم والدم ، لم أعد أستمتع سوى بالفن الذى ينبض بالحياة وصخب العالم وجلبته ، مع عدم إغفال المغامرات الأخرى وإختلافها مع ما أحب ، على شرط أن تكون هذه المغامرات قوية من حيث التكنيك والعمق ، كى يظل بداخلى لها تقدير ما ، للمهارة الفنية ، للزوايا المختلفة أو لجعلى أعمق من رؤيتى للعالم.

والآن لنبدأ الحكى والكتابة ...

شهــــــادة



الهوية المشقوقة نصفين

غادة الحلوانى

أتيح لى خلال العام الماضى (٢٠٠١) ، تحت إشراف الكاتب صلاح عيسى فى جريدة " القاهرة" أن أبدأ سلسلة من الحوارات مع بعض المواطنين المصريين .. من أحد هذه الحوارات " حوار مع " بنت اسمها مروة "، ١٩ عاما . هذا الحوار وغيره من الاستبيانات التى أجريت خلال السنوات الماضية مع الشباب المصرى تكشف عن تفشى أزمة خطيرة بين أبناء مصر : أزمة هوية.

سوف يكون حوارى مع مروة هو دليلى هنا ، وأرجو المعذرة فى أننى أستند فى زعمى بوجود هذه الأزمة على دليل واحد صغير ، لكن عذرى أن هذه شهادة.

مروة لاتعرف من هو محمد على وجمال عبد الناصر أو أحمد عرابى ومروة مصدر ثقافتها : التليفزيون المصرى وجدتها ! وللحق فقد أجابت بأن عبد الناصر هو زعيم ثورة ١٩٥٦، ويعود الفضل فى هذه المعلومة المغلوطة إلى أحمد زكى ومحمد فاضل.

حسناً ، هل هذا يكفى لأن نقول إن هناك أزمة هوية ؟ أعتقد أن جزءاً لايتجزأ من الهوية هو معرفة تاريخ بلدى ، لأن معرفة تاريخ بلدى ينمّى فىّ الاعتزاز بهذا البلد ،

لإنتصاراته ويشحنني فى جهة أخرى لمداواة هزائمه وجروحه . وللحق فانني عندما وصلت إلى فرنسا ، وجدت أن أبناء العرب المهاجرين هنا يعانون أيضاً من هذه الأزمة ، ولكن هم على وعى بها ويعتقدون أن السبب الرئيسى فى هذا هو عدم تمكنهم من اللغة العربية كتابةً وحديثاً ، حينئذ تذكرت مروة وغيرها ، وأنا أتحدث عن الأغلبية ولنستشف هذه الفئات التى تنتمى أيديولوجياً أو عقائدياً إلى تيارات فكرية معينة ، وتذكرت أيضاً "السندباد المصرى" فى إحدى ندوات مركز البحوث العربية عندما كان يعلق مندهشاً على استبيان أجرته مجلة " اليسار " لتصل إلى نفس الحقائق . تذكرت وقارنت : أيهما أقسى ، أزمة هوية فى داخل الوطن ، أم أزمة هوية خارج الوطن فى الغربة ؟ وإذا كان أبناء العرب المهاجرون هنا يشكون من أنهم لايعرفون تاريخ الوطن العربى .. فما حال الشباب المصرى الذى لايفرق بين محمد على وعبد الناصر إذا عرفهما فى الأصل . والأزمة أعمق لأن لها جوانب أخرى ، فمثلاً قد يطرأ على ذهن أحدهم : لم أهتم بتاريخ بلد لاأشعر أننى أنتمى له ، وكيف أنتمى وأنا لا أستطيع فيه ممارسة أبسط حقوقى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟ هذا سؤال . والسؤال الثانى ينشأ من ذلك التصادم المستمر بين تقاليد وعادات مازالت قوية ومهيمنة وبين طرائق حديثة، ليس فقط فى الممارسات اليومية بل وفى رؤية الحياة والتعامل معها : هل يمكن أن أنتمى وأن أحدد هويتى بينما الإزدواجية تشقنى نصفين ؟

..ولكن .. فى يوم ٢٠٠٢/٢/٢٧ .. فى بروكسل وقع حادث عظيم ورائع ألا وهو المسيرة الأوروبية دفاعاً عن حقوق فلسطين وتضامناً معها . فى هذا اليوم جاءت وفود من بلدان عديدة ، كل يحمل يافطة باسم بلدة وتياره الفكرى والشيوعى والليبرالى ، من أسبانيا وبلجيكا وفرنسا .. ساعتها رأيت كل هذه الهويات تذوب فى هوية واحدة شعارها : تحقيق العدالة والحرية ، حينئذ حلمت بيوم يكون للعالم أجمع هوية واحدة شعارها الحفاظ على حق الإنسان فى العدالة والحرية والمساواة . ولكن بعيداً عن الأحلام أدركت أن تلك الوفود استطاعت أن تذوب يومها لأن كلاً منها له هوية يتمتع بها ويتحدث باسمها .

وهكذا .. إذا رأيتم أننا نعانى من أزمة هوية فالسؤال المطروح : كيف يمكن أن تساهم " أدب ونقد " فى حل هذه الأزمة ؟

شهادة



شريعة الحواس

عيد عبد الحليم

لماذا تركت الأعمى يتحسس دفء المصاطب فى القرية البعيدة ، وجئت إلى هنا ببصيرة الطفل لتكتب عن مدينة لوثها الآخرون بالنسيان ؟

.. هل تهرب من العصافير التى عمدتك وأنت لم تزل فى دهشتك الأولى غفلاً وطاهراً بماء المحبة ؟

وأنت الذى صرخت - منذ أن كنت سراً أزلياً - " لن أكرس أفكارى بعد اليوم لأحزان العالم ، سأتعلم من نفسى ، سأكون كسيد هارتا " الرجل الذى بلغ هدفه " ومات بحثاً عن ذاته المطلقة فى رواية << هرمان هسّه ، لكنك وقعت فى الشرك فأتى الآخرون إلى

طقوسك وذهبت طائعاً إلى أرضهم .

أنت قلت – ذات صباح – .. سوف أكون القروى الذى يقتلع الجسور كى يمارس الماء انطلاقه ، سأكون الصوفى المتحد بذاته ، تاركاً الآخرين فى جحيمهم الأزلى ، وإن أدعوا صفاء التلقى . سأهدم السماوات المغلفة بحواس كاذبة ، ربما تنجلى من فوضى انهدامها شمس تنتظرها وجوه غلفتها المحنة بغصون يؤولها مدخنو المارلبورو بالصبر ، ويؤولها القلب بأرض خالفها المطر.

لكنك أدركت أنه لامفر من " النظر إلى النوافذ العالية " يرافقك البسطاء والمهمشون الذين سكنوا وعيك الفطرى ، قبل أن يناموا فى حروف نشيدك.

تخيل أن عصفوراً يسبح بين أصابعه
وأن الأرض قد صارت وردة بكف طفلة
وأن حذائه القديم
يتقدم جيلاً من الثوار
الذين نسوا ملامحهم
فوق يافطة من قماش
لوثه الغبار..

(٢)

الطفل الذى لم يتجاوز العاشرة من عمره ، هل أحس بابتسامة تخترق نافذته فى البيت الريفى ، الطفل الذى يحفظ التواريخ أكثر من اسمه ، لاينسى ذلك الصباح من مايو ١٩٨٦ ، حيث الانكسار الأول للذات ، والدموع نزلت بطعمها الملحى على الخد فشقت طريقاً لاتستطيع الشوارع أن تمحوه.

ذلك الصباح حيث الأب والسفر النهائى للجسد والعيون العسلية التى كانت ترمق الطفل الألعوبان فى مودة خالصة فكانت الدهشة الأولى ، والصرخة التى لاتنتهى.

أبى لم يزل طفلا
يراود الحقل – فى الصباح –
ويسعى فى المساء إلى مصطبة
تؤرخ للقرية

ونحن نخطو بأقدام ملوثة
ندعى أن شواربنا
سوف تمكث طويلاً
دون أن يراها

.. موت الأب أعطى لنص فضائه الأول ، فكان الشعر مرادفاً للحزن والنوستولوجيا والرفض ، فأبى الذى مثل لبراءتى الأولى الحنين بكل معانيه صار رمزاً خاصة فى ديوانى الأول « سماوات واطئة» وديوان « ظل العائلة »، وكأن ذلك الشخص « عبد الحكيم محمد عيد الحليم » هو البؤرة النورانية التى ترى روحى من خلالها - تاريخها الخاص مخترقة جروحها العميقة.

ورغم حبى لكافكا إلا أن صورة الأب عندى على النقيض - تماماً - فاذا كان« كافكا» يرى أن الأبد يقف دائماً كحجر عثرة بيننا وبين الحياة ، إلا أن رؤيتى خلقت من موته شهوة لدى لإصلاح العالم حتى لاتموت الأشياء الجميلة - هكذا - فجأة

فتعلمنا معنى الحفر على الروح
معنى أن نخرج من عباءة الله
بلا صوت

(٣)

للآخرين صدى مافى تاريخ الذات ، وتختلف درجات هذا التأثير باختلاف عمق الآخر ، فدائماً ماتبقى فى ميثولوجيانا شرارة من نار الآباء.

ومن أهم الكلمات التى استوقفتنى وأنا فى الصف الأول الاعدادى مقولة صلاح عبد الصبور في كتابه " حياتى فى الشعر " إن الفنان يولد فى الفن ويعيش فيه ، ويتنفس من خلاله ".

وضعتنى هذه الكلمات أمام مسئولية كبرى وهى مسئولية الفن الذى انتزعنى شيطانه من حقول القرية الواسعة ليذبحنى بمنجل الرؤيا ويضعنى فى قمقم ذات لها شكلها الخاص ، ويقينها المتذبذب حيث كل الأشياء قابلة للوجود/ قابلة للعدم حيث جدل اللحظة وهو شيطان له برأته الخاصة

كتبت على سبورتى التى أخفيتها عن أمى وعن أخواتى البنات وعن زملائى سؤالاً

تعذب به من قبلى الكثير..

لمن تكتب ؟ وماجدوى الكتابة ؟!!

- ازدواجية السؤال ألقت بسفن الاجابة إلى صخرة الاستحالة ، لكن ظل بأعماقى هاجس بخطورة الرحلة ، رغم تحصنى باللغة والتى ساعدنى فيها حفظى المبكر للقرآن الكريم ، ودراستى بعد ذلك لمعظم الشعر العربى فى عصوره المختلفة بحكم نشأتى فى أسرة أزهرية.

إلا أن ذلك وضعنى وجهاً لوجه أمام الحواجز الزجاجية التى يرانى من خلالها الآخرون ولا أستطيع أن أراهم من خلالها

- إذن ..

لابد من المجازفة

من البحث عن جزيرة أخرى بعيداً عن هذه الأرض الآمنة التى تخص غيرى.

لكن ماذا سأفعل فى ذلك الميدان وقد جردت ذاتى - برضا تام - من مرجعيتها ؟ ، ماذا سأفعل وأنا واقف أمام " أسطورة النص" عارياً إلا من الحلم ؟!

رغم معرفتى التامة أن هذه الأسطورة تفتقد عنصر الخلود إلا أن ماجعلنى ألوذ بها دون غيرها - وتلوذ بى أنها عالم قائم بذاته ، عالم ليس ساكناً بل هو من الناحية الجوهرية مرتبط بالحركة .. بالحركة الذاتية لعالم الإنسان المستقبل لها .

هى أسطورة الوعى - إذن - التى جعلت من الحواس نبوءة أخرى ، تقف شامخة فى مواجهة من يملكون صكوك الغفران.

سوف يرانا الله

بوجوه

تليق بملائكة

معفرة بنيازك قديمة

... ملائكة

بأصابع غير مكتملة

تتجه إلى الحوائط

لتكتب بطبشور ملونٍ

بعض التفاصيل الصغيرة

عن صبى يقف هناك

فى أول الحقل.

أتمنى أن أصل ذات يوم وذات قصيدة إلى نص المتعة " الذى يقول عنه " رولانت بارت" إنه نص يهز الثوابت التاريخية والثقافية والنفسية لدى القارئ ، ويبدل من قوام تذوقاته وقيمه وذكرياته ، ويضع موضع الشك علاقته باللغة ".

**

تملكتنى جدلية الاتصال / الانفصال مع عالم القرية ذلك العالم الذى عايشته فى طفولتى وصباى ، أحببت كل مايتصل بالقرية ومفرداتها اليومية ، تخيلت نفسى كثيراً " الفلاح الفصيح " الذى يقف بين يدى الفرعون ، تمنيت أن أحكى له عن كم السعادة التى يحسها البسطاء ، وكم المعاناة التى ترهق أجسادهم النحيلة .. ألذلك أحببت " ماركيز " و" عبد الحكيم قاسم " و" صلاح عبد الصبور"؟

الطرقات غير الممهدة والحوارى المليئة بابتسامات مؤجلة على شفاه شققها الأسى والانتظار ، متعتى فى الكتابة عن هؤلاء المقهورين الذين تظل رائحتهم تسكن عربات التاريخ دون أن يدرى أحد أسمائهم . غير قابلة للوصف

هؤلاء الذين قلت عنهم فى قصيدة " بورتريه " فى ديوان سماوات واطئة "

" طيبون جداً لكنهم حين يرمون النرد فوق الطاولة / تتغير ملامحهم – قليلاً – وينسون أننا نراقبهم من بعيد / سيطيلون ذقونهم بشكل كاف لتصديقهم / وسنبتسم كقديسين فى وجوههم / ونحن لاندرى عن أسمائهم شيئاً / طيبون جداً

لكنهم لايملكون أرغفة للصغار / أو جاذبية تقى نسائهم برودة الشتاء / ناموا فى مضاجعهم كوعول جريحة / واكتفوا باخراج ألسنتهم للفراغ / واكتفينا بالتقاط الصور لهم وهم يلقون بجروحهم فوق اليابسة "

لاأدعى امتلاك شفرة خاصة للنص الشعرى ، لكننى على قناعة تامة – أن نصى جزء من جوهرى يتماس – أحياناً – مع الواقع لكنه يحاول أن يكون له مجازه الخاص ، بعيداً عن ادعاءات الأخرين ، وكتابة الجسد.

شهـــــادة



الكتابة تطاردنى كما يطارد الأطفال الفراشات

عــبده الــزراع

دهشة البدايات الرائعة

* ولدت فى قرية " برنبال " مركز مطوبس ، محافظة كفر الشيخ ، تلك القرية التى وهبها الله طبيعة خلابة ، فيمر النيل من أمامها بمياهه الرقراقة متهادياً فى سهولة ويسر متجهاً حيث مدينة رشيد ، فتهب نسائمه الفواحة محملة برائحة زهور البرتقال والنارنج الآتية من الحدائق والبساتين المجاورة للنهر فتداعب أوراق الأشجار المتمايلة على جوانبه محدثة خروشات جميلة محببة إلى النفس ، ومارأيت أجمل ولاأبدع من قوارب الصيادين ومراكبهم الشراعية وهى تجوب النهر فى وقت العصارى ، وشباكهم مليئة بالأسماك الفضية التى تضوى تحت أشعة الشمس الذهبية فتعكس بريقاً ولمعاناً يبهر.

* نشأت على هذه المشاهدات الرائعة ، وعلى مناظر الفلاحين وهم ذاهبون وعائدون

من وإلى الحقول ، وعلى أغانيهم الشعبية فى أوقات الزراعة والحصاد ، وأغانى الأفراح وتحنين الحجاج ، وأنين الناى فى أماسى الصيف مصحوبة بمواويل" مندى الشناوى" وترتيل الشيخ / محمد رفعت ، واستمتعت بمولد سيدى " إبراهيم الدسوقى" حيث الطرق الصوفية وهم يتطوحون ذاكرين ومنشدين فى حالة وجد روحى، وقضيت الليالى الشتوية حول موقد النار ، وحواديت جدتى " نبوية " وكانت حكائة من طراز فريد ، تحفظ الكثير من الأمثال والحكم والسير الشعبية ، كانت تحلق بنا إلى عوالم سحرية مبهرة وغامضة ، كل هذه المشاهدات والحكايات اختزنت بداخلى .

عصا المدرس أرهبتنى

* كنت أهرب كثيراً من المدرسة فى بداية المرحلة الإبتدائية ، خوفاً من عصا المدرس ، كان يحملنى صديق والدى " الحاج أبو عياش" - رحمه الله - وأنا أبكى حتى يدخلنى الفصل ، وعندما أرجع إلى المنزل أبكى أمام إخوتى الكبار لأن خطى فى كراسة " الواجب" لايشبه خط " أستاذى" فأظل طوال الليل أقلده وأحسنه حتى أقتنع به ، ومن هنا نشأت عندى ملكة (التأملَ) بعدها أحببت المدرسة جداً ، والفضل يرجع لصديق والدى ، ولأستاذى « أحمد الجويلى» الذى علمنى كيف أمسك القلم الرصاص وأكتب به أول حروف تعلمتها وهى « أ ،ب » وبعد أن أجيد الكتابة يكافئنى بقطعة من الطباشير الملون.

* فى بداية المرحلة الإعدادية ظهرت لدى ميول فنية ، فكانت بدايتى مع الرسم الذى بهرنى وشدنى إلى عالمه وأنا صغير جداً ، كنت أجلس أتأمل مايرسمه « خالى نور» ، ومازلت أتذكر الآيات القرآنية التى كان يكتبها بخط زخرفى جميل ثم يلصق عليها عيدان نبات القمح الذهبية ، فتصير لوحات بديعة ، وكانت حصة الرسم هى مملكتى الحقيقية التى لاينازعنى فيها أحد ، أحصل على أعلى الدرجات وتزين رسومى جدران الفصول ، وأتذكر أن مدرس الرسم الأستاذ/" على" كان يصطحبنى معه إلى حجرة التربية الفنية ، لأكبر له بعض الرسوم الصغيرة على لوحة خشبية بالطباشير ثم يقوم بتلوينها ، ويوقع اسمه عليها ، وكنت أفرح كثيراً لثقة مدرس الرسم بى ، ولم أعرف أنه كان يسرق

مجهودى إلا بعد أن كبرت.

سرقنى الكتاب من الرسم

تعرفت على الكتاب فى هذه الفترة ، وكنت أذهب أنا وصديقى « محمد دوير» إلى صديقنا « بسيونى مرعى» وهو يكبرنا سناً ، لأنه يمتلك مكتبة ضخمة ، مليئة بالكتب ، وهو مثقف من الذين ندر وجودهم هذه الأيام ، كنا نذهب إليه ليأخذ كل منا كتاباً يقرأه ، ثم نبدل الكتابين ونردهما بعد ذلك لنأخذ غيرهما ، وهكذا حتى قرأنا معظم المكتبة ، وأذكر بعض ماقرأناه فى هذه المكتبة - على سبيل المثال - كتب : « الخطط المقريزية» ، "الأم " لمكسيم جوركى ، عيون إلزا " لأراجون " ، « الإخوة كرامازوف » لدستوفيسكى ، " المسيح يصلب من جديد " لكزنتزاكس ،" الأعمال الكاملة " لبيرم التونسى بعض روايات نجيب محفوظ " قولوا لعين الشمس " لنجيب سرور ، " جوابات حراجى القط والمشروع والممنوع ، وجوه ع الشط " للأبنودى ، " وردة على خد موسكو" لسمير عبد الباقى " الأعمال الكاملة " لأمل دنقل ،" الناس فى بلادى " لصلاح عبد الصبور و«دواوين حداد» ، وجاهين »و" مسرح " الحكيم ، وبعض قصص تشيكوف .. إلخ قراءات كثيرة قرأناها فى مكتبة صديقنا ، ومن هنا بدأت أقلد ما أقرأ من قصص وأشعار ، وكنت أتمنى أن ألتحق بكلية « الفنون الجميلة » لأصبح فناناً تشكيلياً ، ولم أعرف بالضبط متى سرقنى الإبداع من الرسم.

* بعد أن جربت كثيراً فى الكتابة ، اخترت شعر العامية من بين ماأكتب ، وفى إحدى الأمسيات الشعرية بكفر الشيخ ، قدمنى الشاعر محمد الشهاوى تقديماً أعطانى الثقة فى نفسى وأثنى على قصيدتى ، بعدها عرفت قصائدى طريقها للنشر عن طريق البريد ، وكنت متابعاً جيداً لكل الصفحات الأدبية والدوريات الثقافية ، وكانت مجلة " أدب ونقد " أولى المجلات التى احتضنت إبداعى الشعرى وقدمتنى بشكل محترم ، وتوالى النشر بعد ذلك فى " الجمهورية ، المساء ، الأهالى ، أخبار الأدب ، العربى الناصرى ، الثقافة الجديدة ، الشعر .. إلخ .."

أصبحت الكتابة عندى شبه تمرين يومى أكتب كثيراً ، وأمزق ماأكتب بحثاً عن الجودة

والتميز ، ومازلت شغوفاً بالفن التشكيلى الذى يسكننى ويظهر فى كتاباتى.

صفاء التجربة وجنون الكتابة

* استفاد جيلى من تجربة جيل الستينات ، وتاه فى دهاليز تجربة السبعينات " حيث الغموض المعتم " مروراً بالثمانينات حتى صفى صوته فى التسعينات ، وتمرد على شكل الكتابة وروحها ، إلى أن شفت التجربة ورقت ، وعادت إلى شكلها البسيط / العميق غالباً.

لا أرى نفسى إلا من خلال الآخرين ، أكره مرآة الذات ، وأعد نفسى فرداً فى جماعة الشعراء آتنس بهم ، ومازلت أتوجس عندما أكتب قصيدة جديدة ، وأقرأها لأصدقائى المقربين قبل أن أدفع بها للنشر ، ومازلت أحلم بالقصيدة التى لم أكتبها حتى الآن.

* الكتابة عندى تشبه لحظة المخاض ، التى تأتى بعد تأجيلها كثيراً حتى تختمر التجربة بداخلى ، وإذا جاءت هذه اللحظة لايمكن تأجيلها ، وكثيراً مايستعصى القلم على إذا أردت أن أكتب قبل اختمار التجربة ، فلست محترفاً للكتابة ، ولكنها بديل عن الموت ، إذا ألحت على فلابد وأن أصبها على الورق ثم أجلس كثيراً معها ، لأننى ضد فكرة هبوط الوحى على الشعراء ، بل هو شيطان الشعر " الذى يوصلنا إلى درجة الجنون بالكتابة ، كثيراً ماقررت أن أهجر الكتابة ، لكننى فشلت فهى تطاردنى كما يطارد الأطفال الفراشات الملونة فى الحقول ، هذا قدرنا أن نعيش مطاردين بعذابات الآخرين.

شهادة



للحلم بيت يأويه

أيمن عبد الرسول

(من حقق النظر وراضى نفسه على السكون إلى الحقائق وإن ألمتها فى أول صدمة ، كان اغتباطه بذم الناس إياه ، أشد و أكثر من مدحهم إياه)

ابن حزم الاندلسى

٤٥٦

(١)

! الآن أصبح لى كتاب ، بعد أن عانيت كثيراً من حمل كتب الآخرين ، فى رأسى ، ومكتبتى ، وحياتى المفعمة بألم ثقيل ، وفرح قليل ، يشوبه دوماً شجن ، وأشياء أخرى

كثيرة ، ليس أهمها الشعور المتصاعد بالاغتراب اليتيم، أو اليتيم المغترب! .

* الآن فقط، ال (هنا) أطرح عليكم المسألة بثقة ربما حسد تمونى عليها ، قبل أن يكون لى كتاب أعتز به ، كانت مجلة أدب ونقد ، بيتى الأول ، وربما الأخير ، عندما قرروا تبنى كتابتى قبل أن يعرفوننى ، وعندما تبنونى شخصياً فيما بعد ، بوصفى **باحثاً شاباً،** الصفة التى خلعتها علىّ الأستاذة **فريدة النقاش** ، فى أول دراسة نشرتها لى المجلة فى عددها رقم ١٥١ الصادر فى مارس ١٩٩٨ ، فأضحى هو اللقب الرسمى الذى أقدم به بوصفى **باحثاً شاباً** فى الإسلاميات!.

* سأروى لكم- إن رغبتم- متخلياً عن صفة أعتز بها وهى الباحث ، سأتحدث معكم عن رحلة طويلة مع الكتابة ، وحلم ظننته مستحيلاً ، حتى آوته هذه المجلة الرائدة ، بورقها الأصفر ، ومكانتها الرفيعة ، وموقعها فى قلبى!.

* من الاسكندرية ، وفى سبتمبر ١٩٩٧ كان أول اتصال هاتفى بينى وبين المجلة ، أو بالأدق رئيسة التحرير لأعرض عليها فكرة نشر دراسة مقتضبة لى عن حد الردة بدون سابق معرفة ، وبأمل كبير ، رحبت بالفكرة ، فأرسلت لها نص الدراسة مع صديق عزيز ، سلمها الدراسة وأستأذن وانصرف ، فظننت أنه أنا!.

* مرت شهور ست وست إله الشر كما أعلم - قبل أن أرى هذه الدراسة محتفى بها على غلاف مجلتى التى لم أحاول النشر فى غيرها ، قبل الانتهاء إليها ..فأدب ونقد كما تخيلت ، نشرتها ، واحتفت بها ، دون أن نقيم أية علاقة مباشرة .. فكانت ميلاد أمل ، لباحث -بدا مختلفا- حققت لى على المستوى الشخصى أول الحلم، **مبتدى** الأمل ، منتهى اليأس!.

* لا شك أن أحد أهم همومى - من الأهمية والهموم معاً كان قبول نشر مخاطراتى الافتراضية فى مجلة موجهة للمثقفين بشكل عام، تحتفى بالمختلفين ، بغض النظر عن إنتماءاتهم الفكرية ، أو اختلاف منطلقاتهم معها..

ومن هذه اللحظة بدأت علاقتى بأدب ونقد ، علاقة حميمة ، يشوبها التوقع ، ويخلقها الواقع ، وتتخللها الوقيعة!.

(٢)

الآن أصبح لى كتاب .. يفضل تعرف القارئ علىّ من خلال هذه المجلة ، التى دائما

ما تفوق توقعاتى حيالها، وأفاجأ بقراء عرب، من دول شقيقة ، وأخرى دون ذلك، يعرفوننى من خلالها ، ويقدرون ما نقوم به من جهد يستحق التذكير والتأييد ، فكان لأدب ونقد الدور الأكبر فى قبول الكتاب، واستقباله **إستقبالا** يليق به، بوصفه يجمع بين دفتيه ، ما نشرته أدب ونقد عبر أربع سنوات من ٩٨- ٢٠٠١ وما يطرحه من هموم معرفية ، أما همومى الوجودية والحياتية ، فتلك الخلفية التى شكلت علاقتى بالقائمين على هذه المجلة..

والحق، أنه لولا إحتواء هذه الصفحات -صفحات المجلة ، وقلوب هؤلاء الودودين -القائمين عليها .. (فريدة النقاش، حلمى سالم ، طلعت الشايب ، مصطفى عبادة) لهمومى كباحث لم يزل على أول الطريق ، ما كان ثمة مبرر قوى للحياة!.

فالكتابة عند كاتب هذه السطور تطرح نفسها كمخرج وحيد للكآبة ، أكتب مقاومة للموت، لأننى لا أستطيع أن أحيا بلا كتابة ، وكان الحلم أن أصبح أحد أفراد أسرة المجلة ، بعد أن تجاوزت محنة الاعتراف ، وأن يشملنى هذا البيت برعايته ، حتى أصبح على أول الطريق بثقة أستمدها من مسئولية تجاه عدد ليس هيناً من القراء ، وثقة هؤلاء النفر فى ، فتصبح الكتابة الأثيرة إلى نفسى ، والبحث الدائم عن الحرية ، هما أهم همومى ، خاصة بعد اعتراف هؤلاء الناس بك، بل وإيمانهم بالرهان عليك.

لقد كان النشر فى هذا المكان ، وبهذه المساحة وبهذا الاحتفاء ، حلم ظننته صعباً ، حتى تحقق فازددت تمسكاً به ، وربما لهذا السبب كان أحد أهم إهداءات كتابى الأول الذى قدر له أن يتزامن مع العدد ٢٠٠ من أدب ونقد إلى فريدة النقاش ، صاحبة اكتشافى ،محبة **وعرفان**!.

كان إيمان هذه النخبة المثقفة بى ..على المستويين الثقافى والإنسانى -هو الحافز على استكمال الحلم، حتى أصبح كتابا أول ، **وكتاباً ثانياً** فى الطريق ، بمعاونة حلمى سالم ، وفريد أبو سعدة اللذين أجبرتهما على بنوتى..

إننى باختصار ابن هؤلاء البشر، ولدت على صفحات مجلتهم ، حملتهم مسئولية كتابتى ، فتحملوا معى هموم حياتى ، مثلهم مثل أمى الغالية الجميلة ، حين بكت وهى تحتضن كتابى بوصفه إبن كل هذه الهموم ، كنجاح يليق بكفاح مرير- بدون أدنى مبالغة -أعوام كثيرة قضيتها بين هم الباحث ، وهم الوطن، وهم المواطن المنشغل- رغم

كل ذلك- بتحصيل أسباب معيشته وأسرته .. بعد أن تأكد أن لحلم الكتابة ، بيت يأويه .. وهو الذى قضى زمناً متمثلا قول النبى.

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى

وقلة حيلتى

وهو انى على الناس)

فمنحه هذا البيت (أدب ونقد) القوة، والحيلة ، وحب الناس .. وإذا كانت أدب ونقد تحتفى بورود المائة الثانية من عمرها الممتد ، فأولى بنا أن نعتز بدورها فى حياتنا.

عقبى للعدد رقم مليون ، من أعداد بيتنا ، ونحن أكثر تمسكاً بحقنا فى الحلم بوطن يحترم قيمة الإنسان -وإن احترق فى قطار- وبحث علمى يقدر قيمة التساؤل بوصفه المؤسس الشرعى للوعى الاستفهامى ، الذى نحتاجه للغد، وإن كرهه أصحاب الأجوبة الجاهزة، والأدمغة العاجزة ، والمناصب الرسمية ، وحلمنا الدائم بمواطن يعيش بحد أدنى من الرفاهية تضمن له ، ولنا حق المعرفة ، حتى يقدر قيمة البحث والتساؤل .

الآن أصبح لى كتاب .. فى أبعد مكان هنا، محاولات على صفحات أدب ونقد ، التى أحترم إنتمائى لها ، إحترامى لانتمائى لأمى .. ألم أقل من البداية .. للحلم بيت يأويه ، وللبيت رب يحميه!!.

شهادة



«إلى .. سيدّة النوافذ»

عبد الحميد البسيونى

هل تسمحين لى يا سيدتى بالكتابة إليك بعد أكثر من عشر سنوات من التلاقى ، كنت أراقبك من بعيد وأنت تبزغين مثل شمس مرّة كل شهر، كنت بعد عودتى من عملى بالعراق قد اختارتنى مدينة الإسماعيلية فأستأجرت بها شقة، ووجدت بها عملاً ، قبل السفر للعراق أقمت بالقاهرة بالقرب منك وأصدرت عام ١٩٧٩ مجموعتى القصصية الأولى« أصوات فى الليل» التى لاقت قبولا معقولا آنذاك ، وطوال خمس سنوات كاملة- مدة إقامتى بالعراق- كان الخيط الذى يصلنى بالكتابة قد انقطع تماما، وبعد العودة أخذت وقتاً فى محاولة وصل هذا الخيط ، بالطبع كنت قد بدأت محاولات الكتابة من

جديد ، كانت القناة أمامى ، قناة السويس» والسفن المحملة بالجنود والمعدات العسكرية ذاهبة لضرب العراق ، استفزنى المشهد فشرعت « أنا الموظف الأعزل» فى النزول إلى الماء ، لكنى كلفت « محمد الدبيكى» بفعل ذلك ، لحظتها اكتشفت تفاهة أن تكون الكتابة بديلاً للفعل ، لكن ماباليد حيلة مثلما يقال ، اكتملت قصة « الأزهار تغير ألوانها » وهى قصة تصدى " الدبيكى" جندى الحرب السابق للسفن الأمريكية ، قرأها الصديق " محمد العريان " أحد مريديك أيضاً ياسيدتى ، فحملها إليك ، وكأنك فى انتظار تلك اللحظة ، فتحت ذراعيك مرحبة بفعل الكتابة الذى هو بديل لفعل الحياة ، كانت حواسك متفتحة وجسدك صاح ، عندها أدركت أن الخيط قد اتصل وأن الحياة تنبثق من جديد ، وأن سيدة النوافذ قد شرعت فى جلو أجهزتها لسماع نبض الوطن وأنك بدأت كأم رؤوم فى ضم أبنائك التائهين ، الملوثين بفعل التناقض المر بين الفعل والكتابة ، الغاضبين ، النشاز ، المطلوبين ، الخارجين على قانون السائد المهترئ والمستقر الآسن ، وأدركت كذلك - ياسيدة النوافذ - أننى قد استطعت أخيراً أن أمتلك مساحة قليلة لأريح رأسى المشتعل فوق فخذك الكبير ، الضارب فى جغرافية الوطن ، وفى شعابه ، وأنه فى فهرسك الجميل وجد اسمى مكانه جنباً إلى جنب مع كبار المقاتلين من أجل الديمقراطية والمستقبل.

لن أحدثك عن المنابر ، ولا عن ثلاثية الكاتب . القارئ. الوسيلة. ولن أقول لك إن بزوغ شمسك الشهرى يجفف الأرض من بركة التخلف ، والمتاجرة بالكتابة ، وأنه يقاوم بلا هوادة ضباب أفكار ماقبل عصر النهضة ، وأنها - أشعة شمسك - تجهز هذه الأرض مثل فلاح أصيل لزراعة شجر المستقبل ، فقط سأذكرك بأنك عندما احتضنت آخر قصة لى « حكاية العضلة القابضة» قد كسبت الرهان بامتياز ، وأثبت لى أنا شخصياً ولكافة أصدقائى بأنك مازلت محافظة على جرأتك وإقدامك فى احتضان الأدب الجديد والنقد الأصيل.

هل تسمحين لى - ياسيدة النوافذ - مرة أخرى - بالكتابة إليك ؟ طبعاً ستسمحين وإلا لماذا لاأفكر فى إرسال كل قصة أكتبها إلى أى نافذة أخرى ، لماذا أنت الوحيدة القادرة على استيعاب نزقى ، وثورتى أحياناً ، وغضبى منك أحياناً أخرى ، إن الخيط الذى اتصل منذ أكثر من عشر سنوات قد صار حبلاً سميكاً ، يربطنا معاً ، فى علاقة حميمة وثرية ، ولم لا ، ألست أنت سيدة النوافذ ؟!

قصـــة



نـــــــزوة

حسين عبد الرحيم

ولجت فاشتبكت ففرت ؟!

وبات الفنار القديم شاهداً على وقفتنا وصعودنا ووقع أقدامنا على رمال الشاطئ البعيد.

مازال الفنار العتيق يدور فى أفلاكه مرسلاً ضوءه الشفيف مستطلعاً الحاصل للفتى والفتاة قرب الثكنات العسكرية .. عند السفينة الخربة الراقدة بالمرسى المهمل ، ولجت " وغداء " فى الظلمة فاستوقفتها بين الكبائن الخشبية المغلقة احتضنتها فلفظ فاهها لسانى ، تأوهت وبانت يداى قابضتين على ريح العاصفة.

اشتبك كف الفتى بأنامل الفتاة ، هدأ خاطره واستكان ، عدد تاريخه جامعاً حصاد وقفاتهما سارت الهوينى على شاطئ الحرير فتبعها ململماً سنوات العمر المنقضية فى شفق الفصول.

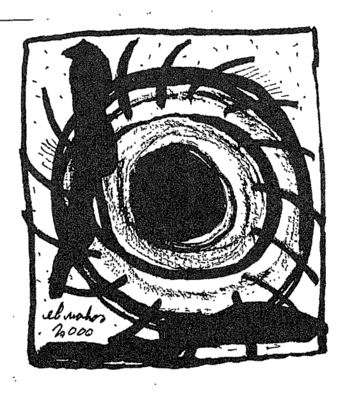


على مقربة من السفينة الخربة لملمت رداء الحرير النبيذى ، خلسة وعن بعد تأكد من شرود الجالسين على مقاعدهم الهزازة وقت الغروب، سارعوا يدنوان من حطام المركب صعد درجات السلم المتهالك وفرد الأصابع مبتسما ، صرخت الفتاة وأعرضت عن الصعود وقت الظلمة ؟!

سكن الليل فلانت وهامت . أفاض فى الحديث منتشياً بانصات الجليس على ضوء الفنار الساطع قبلها فتقبلته قبولاً حسناً حُسن الفتى " حسن " ذاب فى رضابها ، عند الليل انهارت وسقط قراط الماس ، حدقت فى الكبائن الخائية مطلة على الأبواب الموصدة فطاف الفنار ، انكفأت " رغداء العيش "؟!

بحثت عن القرط الحسن فتدلى البطن المتكور يلامس الرمال الناعمة .. هبت الرياح عاصفة فطارت الكبائن توارى الفتى خلف الفنار العتيق الدائر فى الأفلاك مرسلاً ضوءه الشفيف مستطلعاً الحاصل .

نقد



خرائط للنفس .. خرائط للعالم
قراءة فى ديوان الشاعر محمد دغيدى

صبحى شحاته

«ماذا تقول
مهما بلغ سحر بيانك
وبراعة منطقك
وقوة تأثيرك
لشخص مشغول طوال الوقت

بالرقص» ص٤٢.

-فى معرض التفرقة التى لا تريد أن تنتهى بين الشعر والنثر ، قيل :« أإن الشعر يشبه الرقص، فى كونه لا يقصد شيئاً أو غاية واضحة ، بينما النثر يشبه السير ، فالسائر فى العادة يقصد شيئاً أو غاية يذهب إليها ..هل يتناقض هذا مع صنع (خرائط النفس) للشاعر -محمد دغيدى، بما تحمله من رغبة فى إعادة ترتيب الروح/ العالم «للنفس خارطة كخارطة الوجود معلمى» ص٥٤.

فنحن نجد بناء قصصياً يعتمد تعدد الضمائر والحكى ، لا يمكن إذن الاعتماد على أسطورة الأنواع المتمايزة ، إذ ثمة تداخل فى الأنواع : ثمة (نص) ، والراقص بالطبع يقيم علاقة مع جسده بالمعنى «الفوسيولوجى» و«الأنطولوجى» والفنى:

«فى أرضك المغروس فيها كل أطرافك

فى بيتك المبنى من فقرات ظهرك

فى مائك المنساب من دمك المراق

غريب» ٤٨ً.

والغربة واحدة من مفردات الخرائط الجديدة

«سيدى هل هنت حقا

أم أنها -أعنى الحياة -لا تستحق » ص٦٧.

فالغريب دائم التساؤل والدوران حول نفسه ، دون الذهاب إلى أى مكان « أنه قط لم يبرح مكانه» ص٥٣.

ولكنه يحضر بالمعنى «الكرنولوجى» ويستدعى من التاريخ من يتشابه معهم :

١- «شهرزاد» تسكت عن الكلام المباح لتفكر فى الآنى، وهنا :

«البالوعة التى احتضنت «شيماء وهند» ص١٤.

«أم تقع المعجزة الكبرى ويقوم

الإنسان بشئ آخر غير الأكل

وغير الشرب» ص١٦.

ولكنها -أى شهرزاد -توقفت عن التفكير أيضا وارتدت «الأسترتش» ، و«التى

شيرت» ، وذهبت إلى صالة الديسكو ، لاحظ إلى أى مدى فى مقدور اللغة أن تتهكم وتتقنع صاعدة هابطة والعكس، فمن الأعماق المجهولة للتاريخ إلى الواقع الآنى المبتذل حتى الرقص على الطريقة الأوربية : «الديسكو» ، لاحظ أن الإشارة إلى فقد الاتجاه والتخبط والدوران حول الذات متبادل بين الشاعر والوطن، مما يعنى إعادة وجه الوطن المستلب المحاصر بالأمية والجهل (التوقف عن التفكير إلى التفكير) .

٢- إيزيس : (أتراك «إيزيس» اكتفيت

أم مللت العد حين

تسلل العشاق ظهراً

فأراق ماء وجوههم

هذا الغبار»ص٥٩.

وسيكون مكررا الكلام عن أهمية دال «إيزيس» للخرائط الجديدة ، وعن كونها دال مركزى فى الشعر المصرى ، وعموما لاسيما وأن الشاعر فى ديوانه غالبا يدفعه نزوع «إيزيس» الأسطورى للم الشتات وتكوين وخلق العالم من جديد.

٣- يستدعى الشاعر أيضا(النبى محمد) صلى الله عليه وسلم

«ورموك بما أنت برئ منه» ص٢٩.

ولاعزو فالشاعر يقول عن نفسه

«من أطلق هذا الحالم من مرقده

ليغلف كل العالم

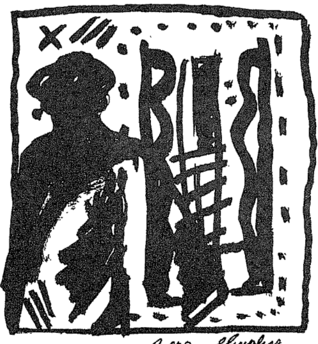
من غيرك يا إلهى» ص١٢ و١٣.

٤- و"ليلى" : «لم أبك «ليلاى» على دمى

كفقدى قلبك المطوى من زمن عليك

فالخامس المشئوم قد أمسى ضريحا »ص٥٦.

ثمة مزيج مركب من الوقوف على الطلل القديم والحديث (هزيمة يونيو ٦٧) والاستشهاد /الموت عشقا فى المرأة الحبيبة والمرأة الوطن ، إننا أمام لعبة بطلها المجاز ، يتم فيها تبادل الأقنعة ومسرحة التاريخ كما لو أن طفلاً دخل غرفة «الكراكيب» وجعل



يلعب بالدُّمى والماسكات ، ولا عزو أيضا فالشاعر يقول عن نفسه:

«لا زلت أملك بهجة» للمكث قرب النافذة » ص٤٩.

٥- يوسف شاهين : ولا يخفى ما يمثله فى تاريخنا المعاصر وما زال ، وهو بالنسبة للشاعر يمثل نموذج الفنان المكتمل الخالد ، الذى حقق العلاقة المثالية بين الفن والمجتمع:

«كنا معك

منذ قررت الاختيار» ص٢١

«رغم ثورتك واجتياحك كنت كالعصفور» ص٢١.

.وهكذا برشاقة وقدرة لاتخالها أبدا الديوان الأول ، الذى تمتد قصائده الواحدة والعشرون فى الزمن من ٩٤ حتى ١٩٩٩ . ولابد أن الشاعر أنتقى أجمل الزهور من الباقة ، فهو الحريص على الجديد :

«مثلى سأمت البطء والتكرار

أن تبقى أحادى المسار» ص٥٠.

..تحية للشاعر -محمد دغيدى- «الديوان -خرائط للنفس».

- ديوان «خرائط للنفس» -محمد دغيدى -نادى أدب منوف- هيئة قصور الثقافة- مايو ٢٠٠٠



سناء البيسي : أموت وأفهم

ربما تكون الفنانة التشكيلية سناء البيسي قد تركت الريشة حينا، لكنها لم تنس الرسم لحظة، فهي ككاتبة مبدعة تصف بالكلمات ما تعجز ألوان الباليتة عن تفسيره. نعيش معها في أسبوعيتها التي ترأس تحريرها (نصف الدنيا) تقدم في فاتحتها قراءة لنبض مصر بناسها وزمانها. تدافع عن مواطن مسكين، تنبه هيئة السكة (الحضيض) قبل الكارثة وتنتقد بعدها من قرأ ولم يع، ترفع آية المحبة للوطن كلمات وآهات. من يتابع مقالاتها يجد الجبرتي يصف مصر الآن بعد أن تسلح بريشة الفنان ومحبرة الكاتب ومشرط الجراح وعدسة منظار يرى بقلبه قبل عينيه ويستدل ببصيرته قبل بصره.

تنتقد في إحدى قصص أو مقالات أو تجليات كتابها الجديد (أموت وأفهم) المشهلاتي، فتقول: وفي السلك التشهيلي يبرز دور المشهلاتي المثقف.. ومطلوب هنا قشور ثقافة ليس إلا، بمعنى مذاكرة الأسماء والألقاب، والعناوين والهوايات، والرغبات والتواريخ، والسقطات والصداقات، وقراءة مقدمات الكتب وليس ما تحوي الكتب، وقلوظة العبارات ذات الرنين فوق اللسان، فالمسئول في الزحمة محتاج لمن يعطيه القرار جاهزا من داخل العلب. والمشهلاتي الخصوصي - لحظه الجميل - رجل مثقف يستطيع التأدية على أكمل وجه بحيث لا مجال لمعترض أن يعترض.. وحقيقة الأمر أنه رجل جاهل، لهذا فيقينه جاهز ومنطقه نهائي ويبيع للمسئول ثقة كاذبة يعتقد أنه وصل إلى بر الأمان واليقين الحقيقي، وهذا غير حقيقي فالثقافة تجعل صاحبها يفكر قبل أن يتحرك، ومن الممكن أن تعطله الثقافة عن الحركة نهائيا.. بينما حامل قشور الثقافة تكفيه معلومات طائرة ليبيع أكاذيب الدنيا على أنها من حقائق الطبيعة البديهية..

وفي الكتاب نقرأ لأستاذتي سناء البيسي عن اجتماع هام مع حضرة الناظر بأولياء الأمور: يطلب منهم بحق أيادي المدرسة البيضاء على ولادهم الساهمة في إعادة بناء سور المدرسة، وشد مسلح غرفة الكانتين، وشراء مقشات وأدوات نظافة للفناء، والتبرع بحصير للمصلى، وكليم أسيوطي لحجرة المدرسين، ومصاريف للتلامذة اليتامى، وأنابيب للمعمل، وأجزخانة للعيادة، وحنفيات لدورة المياه، ومكتبة، وخزتنة، ودولاب إيديال، ولزوم ورشة النجارة، وإعانة للبواب، وفوطة للدادة، وبوتوجاز بفرن لصالة التدبير، وسكر وشاي لعائلات الشهداء، ولافتة نحاس لقائمة الشرف، وسرير سفري لحالات الاغماء، وتليفزيون صغير بالريموت لمتابعة المدرسات للبرامج الثقافية، وسلم معدني وشيكارتين أسمنت وكام قالب طوب تحسبا لاهتزازات ريختر.....

صورة مصر في عمارة يعقوبيان

في العام ١٩٣٤ فكر المليونير هاجوب يعقوبيان عميد الجالية الأرمنية في مصر آنذاك في انشاء عمارة سكنية تحمل اسمه فتخير لها أهم موقع في شارع سليمان باشا وتعاقد لبنائها مع مكتب هندسي ابطالي شهير وضع لها تصميما جميلا.. عشرة ادوار شاهقة من الطراز الاوروبي الكلاسيكي الفخم..الشرفات مزدانة بتماثيل لوجوه اغريقية منحوتة على الحجر والاعمدة والدرجات والممرات كلها بالرخام الطبيعي. وقد اختار الروائي المصري الدكتور علاء الاسواني هذه العمارة مسرحا لروايته الأولى (عمارة يعقوبيان).

ويقول الأسواني أنه علي سطح عمارة يعقوبيان (تم بناء خمسين غرفة صغيرة بعدد شقق العمارة لا تتجاوز مساحة الغرفة مترين جدرانها وابوابها جميعا من الحديد الصلب وتغلق باقفال تسلم مفاتيحها لاصحاب الشقق وكانت للغرف الحديدية اغراض متعددة ونذاك مثل تخزين المواد الغذائية ومبيت الكلاب اذا كانت كبيرة وشرسة..ولم تستعمل تلك الغرف الحديدة قط في مبيت الخدم ربما لان سكان العمارة في ذلك الوقت من الارستقراطيين والاجانب لم يتصوروا امكانية نوم اي انسان في غرفة ضيقة بهذا الشكل كما انهم في شققهم الفاخرة الفسيحة التي كانت تضم احيانا ثماني او عشر حجرات على مستويين بينهما سلم داخلي كانوا يخصصون حجرة للخدم.
ولكن (في عام ١٩٥٢ قامت الثورة فتغير كل شيء بدات هجرة اليهود والاجانب خارج مصر وكانت كل شقة تخلو بهجرة اصحابها يستولي عليها احد ضباط القوات المسلحة اصحاب النفوذ في ذلك العهد حتى جاءت الستينيات فصارت نصف شقق العمارة يسكنها ضباط من رتب مختلفة وقد بدات زوجات الضباط في استعمال الغرف الحديدية بطريقة مختلفة فصارت لاول مرة اماكن مبيت للسفرجية والطباخين والشغالات الصغيرات المجلوبات من قراهن لخدمة اسر الضباط وكانت بعض زوجات الضباط من اصول شعبية فلم يجدن غضاضة في تربية الدواجن) كما يكتب الاسواني في روايته.
هذا الفضاء الروائي الذي مهد له الكاتب ينقلنا الى شرائح اجتماعية مثلت الطبقات الدنيا والمهمشة في المجتمع القاهري والتي احتلت الغرف الحديدية في نهاية القرن العشرين راسما صورة ماساوية لساكني هذه الغرف واقدارهم التي وضعتهم في صراع جدلي مع بقايا رموز السلطات القديمة وعناصر السلطات الجديدة المتمثلة في اصحاب شقق عمارة يعقوبيان.

وشغف الروائي علاء الاسواني (طبيب الأسنان) بالبحث في السوس الذي ينخر المجتمع مع اختزال صورة القاهرة نفسها إلى هذا العمارة بكل تقاطعاتها مع البشر الساكنين فيها والمارين بها والعاملين بالمحال حولها بعد أن رأينا صورة مصر في أحد أحياء القاهرة القديمة كما قدمتها أعمال الروائي الكبير نجيب محفوظ.

السادات في الرواية المصرية

وإذا كان الأسواني يقدم في روايته صورة مصر بعد الثورة فإن شخصية الرئيس السادات أحد رموز هذه الحقبة يتناولها الناقد مصطفى بيومي في أعمال أكثر من روائي: نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس وفتحي غانم وبهاء طاهر وجميل عطيه إبراهيم ويوسف القعيد وجمال الغيطاني وغازي القصيبي. ويقدم المؤلف عنوانه في نهاية الكتاب داعيا القراء والنقاد وربما المبدعين للدخول معه في حوار حول ما سجله من ملاحظات.





نصوص ممنوعة

الكاتب والمترجم ياسر شعبان يجمع في إصداره الجديد (نصوص ٢٠٠٠ الممنوعة) آراء خمسة مبدعين أثارت ردود فعل غاضبة عند نشرها، وهم: وول سوينكا، سلمان رشدي، جاو إرتاي، روجيليو شيلي، وباي داو. والنصوص جميعها مترجمة عن الاصدار الأول لبرلمان الكتاب، وتمثل اختياراته لكتاب من مجتمعات تقهر الكتاب والفنانين مثل الصين وتركيا ونيجيريا، لكن ما جاء بالكتاب من آراء يحتاج إلى نقاش وجدل عميقين.

مسك الليل

القاص أحمد الشريف يقدم في مجموعته (مسك الليل) هذه الاشارات التي يثيرها عالم الرغبات الدفينة والشخوص التي تحتاج سبر أعماقها. تسع قصص تلد لنا لحظات من المتعة والرفض. وله في هذا العدد شهادة لأنه واحد ممن قدمتهم (أدب ونقد) مبدعا وناقدا.

٣ مخبرين وعاشق

التحفظ على العنوان لا يعني أننا لم نستمتع بالنصوص التي تشبه رسائل شفرية تهرب من مخبر ما، نتذكر بها النصوص القصيرة التي قدمها يحيي الطاهر عبدالله ومحمد المخزنجي. يقدم لنا الكاتب والقاص محمد بركة في (٣ مخبرين وعاشق) أكثر من ٣٠ نصا يبدأها بعنوان من كلمة واحدة وكأنه إعادة تعريف أو تفسير بديل للمعنى من وجهة نظره.

Take Away

مجموعة تحمل هذا العنوان باللغة الانجليزية الذي يدل على الوجبات السريعة (أو اللحظات السردية السريعة)، إنها روح القصص التي قدمها المبدع حجاج حسن أدول في سلسلة أقلام مصرية، القصص الساخرة الأداء واللغة تحيي مشاهد أسطورية تنفلت من القرى والمدن والغابات المتحضرة لكنه يقبض عليها بوثوق فى ١٨ نصا قصصيا.







وهج الشرق

الناقد الفنان محمد كمال يحتفي في كتابه الجديد (وهج الشرق) بتجارب ١٤ فنانا هم إبراهيم عبد الملك ورؤوف رأفت وحسن غنيم ورضا عبد السلام وصلاح عناني ومحمد العلاوي وعصمت داوستاشي ومحمد شاكر ورباب نمر ومحمد فايق وشاكر المعداوي وأحمد الجنايني وسعد زغلول ومصطفى مشعل. الكتاب يصدر عن جماعة رؤى في أكثر من ٢٦٠ صفحة ويصاحبه معرض يقام في ٤ أبريل الحالي بنقابة الفنون التشكيلية بدار الأوبرا المصرية لهؤلاء الفنانين. غلاف الكتاب لوحة للفنان الراحل محمود بقشيش وتقديم بقلم الفنان مكرم حنين.

في نقد الاسلام الوضعي

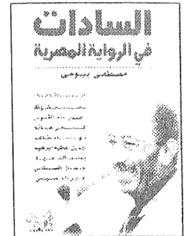
الباحث أيمن عبد الرسول الذي قدمته (أدب ونقد) مسائلا النصوص النقدية والدينية، يجمع مقالاته التي نشر أغلبها في المجلة، بين دفتي كتابه الجديد (في نقد الاسلام الوضعي) الصادر عن ميريت.
قبل الملاحق الثلاثة التي يذيل بها كتابه وهي نصوص للحسن البصري والقاسم الرسي والكندي، يقسم عبد الرسول كتابه الأول إلى أبواب ثلاثة، يمايز فيها بين تراث الوهم ووهم التراث، ويقدم دراسات تطبيقية عن نقد الاسلام الوضعي، وحد الردة، ونقد سلطة النص، والنبي والشاعر، ويختتم بقراءة منهجية للاسلام اليوم تحت عنوان (آفاق جديدة): الدين والنص والتاريخ، نقد العقل الاسلامي متى وكيف، علمنة الاسلام المهمة المستحيلة، الظاهرة القرآنية محاولة للفهم.

قطر الندى

الجهد المذهل الذي يبذله القائمون على (قطر الندوى) المجلة وسلسلة الكتب، تجعلنا نؤكد على أهمية دعم هذه المطبوعات التي تجعل من فقر امكاناتها حاجة تخترع الحلول الجمالية التي تفخر بمصريتها. ونحن نحتاج لألف مجلة مثل (قطر الندى) حتى تصبح مثل هذه المطبوعات المصرية تيارا يصل للأجيال الجديدة، ويضخ فيهم روح قيمة العمل لا روح انجازات السوبرمان، ويغرس فيهم القيم التي تؤمن بعروبة هذا الوطن وإيمانه، في وسط حضارة حديثة تستغل تقنياتها لتنتصر لعقائد الشر وطبائع الثأر وغرائز التدمير. نمد أيدينا للشعراء والرسامين في (قطر الندى) ونقول لهم نحن معكم، وندعو كل دار نشر مصرية وكل مدرسة في كل قرية أن تقرأ المجلة، أو تصدر قطر ندى لها حتى تصبح القطرة نهرا.

صمت الرمل

ضمن سلسلة روايات الهلال يستعيد الكاتب محمد عبد السلام العمري ذاكرة الصحراء في روايته الجديدة (صمت الرمل)، ضمن مساحات تعبيرية جديدة إن لم تكن غير مطروقة أبدا، لا تكاد تتبين حين تقرأها الخط الفاصل بين الواقع الروائي والواقع الذي يعانيه أبناء هذا الوطن.





فرانسيس ستونر سوندرز: الحرب الباردة الثقافية

لا تتوقف أهمية الكتاب الذي ترجمه الزميل طلعت الشايب عند حد كونه يفضح أسماء وأدوارا في الساحة العالمية، بل لأنه يكشف تلك الأساليب والخطط التي اتبعتها المخابرات المركزية الأمريكية لاستقطاب الفاعلين في عالمي الفنون والآداب. لذا لم يكن عجيبا أن تنفد منه طبعة أولى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة، فليس يطلبُ الكتابَ المثقفون وحدهم، بل الأنظمة والمؤسسات التي تريد أن تأخذ درسا خصوصيا في تحطيم الراديكاليين الجدد، أو شرائهم، هؤلاء من يرون في جانب تاريخي ثقافي مظلم اضطلعت به أمريكا ..نبراسهم!

سعدني السلاموني: أول شارع شمال

يتمنى الشاعر السلاموني في إهداء ديوانه المختارات أن يكون معه (إتنين مليون متر ورق أبيض، كنت أفرشهم على وش الدنيا، وأكتب تحت، تحت خالص، شعر). الديوان الصادر عن مكتبة الأسرة يضم أكثر من ٣٠ قصيدة نشرت في دواوينه: عضم خفيف، رخاوي الألم، تصبح على خير، وأول شارع شمال.. عنوان المختارات.

مؤمن سمير: هواء جاف يجرح الملامح

ديوان الشاعر مؤمن سمير، ويحمل عنوان (هواء جاف يجرح الملامح) صدر في سلسلة إبداعات وقد دونت نصوصه بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦. ويجمع بين شعر العامية والفصحى. يقول في مقطع بعنوان (الأيام القادمة): بالتدريج/ مثل دفع مصل منته الصلاحية/ في وريد يهرب في االلحم/ سيظهر/ أن جميع الزعماء الذين أحببناهم/ بصدق/ وحفرنا ملامحهم في حلوقنا/ لم يكونوا إلا أشباحا/ خلقهم مدرسو التاريخ/ كيلا يمضون كل هذا العمر/ وهم صامتون.

أدب ونقد

بطاقة فن

محمد علي

ليس المهم أن نقرأ ونكتب قدر أهمية أن نشعر.

هذا هو (الشعور) الذي يدور في ذهنك وأنت تشاهد لوحات الفنان الفطري محمد علي التي عرضت في أتيليه القاهرة. أبجدية هذا الفنان ليست عربية أو لاتينية، وليست أيضا ٢٨ حرفا فقط، إنما هي الأبجدية التي تتكون من عدد البسطاء والفقراء الذين يجدون أنفسهم في لوحاته ويجد في حياتهم نبضات القلب الذي يضخه في ألوان اللوحات:

البنت التي تحلم بالمستقبل وهي تستذكر دروسها، أو أنها التي تراقب الأفق والنجوم والقمر ابن الجيران، أو أنها الأم التي تراقب السماء حتى تعود طائرة ابنها دون أن تصطدم بالقدر، بائع الخبز الذي يوازن فوق دراجته بين جسده وأكل عيشه، يراقبه البشر والحيوانات التي تفيض بالانسانية، قارنة الفنجان التي نرى في القلل الأكبر حجما منها مصدر المياه والخير، ونجد أيضا الفارس والشاعر والمغني الضرير!!

ولد محمد علي في العام ١٩٣٠، وعمل في حي الصاغة وحيدا بعد أن تركه أبوه صبيا، يرسم الحلي الفرعونية التي يشتريها السياح، وحين يتعرف إلى الشيخ إمام ينتقل للاقامة معه ويعمل عنده منشدا بين أفراد جوقته.

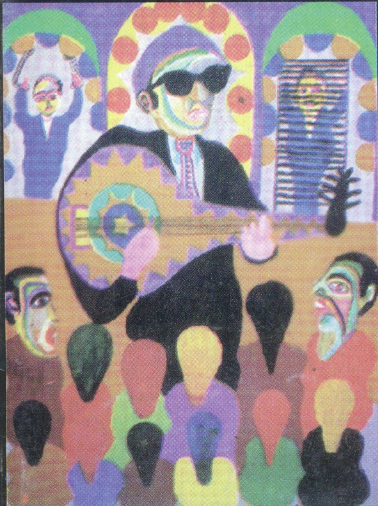
يسجن الشيخ إمام فيرسم محمد علي بالفحم على جدران المنزل سيرة القصائد التي كان يستمع إليها، ثم تمضي الأيام فيضخ التفاؤل سحره في الألوان فتصبح زاهية، تفيض بتلقائية فنان فطري ودفء إنسان صادق.

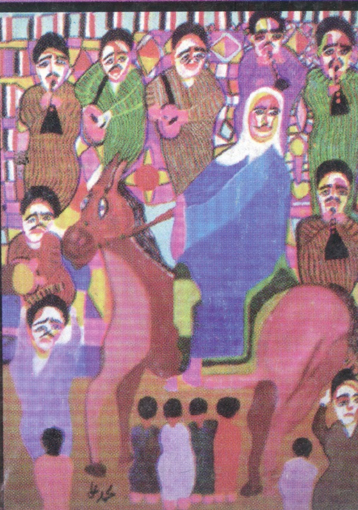
لا يملك محمد علي – مثل كل الصادقين في حلمهم وعملهم – أي مستقبل، ومعاشه الشهري خمسون جنيها فقط (أقل من عشرة دولارات بالسعر الرسمي) ولولا بعض الأشرطة التي يبيعها لتسجيلات المغني البصير لماتت اللوحات قبل أن تولد. ترى من يمنح (باليتة(محمد علي بعض الألوان الجديدة؟

أشرف أبو اليزيد









الأمل للطباعة والنشر   رقم الايداع ٧٥١٢ / ٩٢   «الثمن: جنيهان»